آيات الصفات عند السلف
بين
التأويل والتفويض

من خلال تفسير الإمام الطبري

الدكتور
محمد خير محمد سالم العيسى



د. محمد خير محمد سالم العيسى
آيات الصفات عند السلف بين التأويل والتفويض



آيـات الصفـات عنـد السلـف

بـين

التأويل والتفويض

من خـلال تفسير الإمـام الطـبري

الـدكتـور

محمد خير محمد سالم العيسى

دار الكتاب الثقافي

شكر وتقدير

بعد أن تم بفضل الله تعالى وتوفيقه هذا الجهد الذي أقدمه يُسعدني أن أتقدم بشكري الجزيل لأستاذي الفاضل الدكتور أحمد نوفل، عرفانًا مني بالجميل لتفضله بالإشراف عليها والذي كان لتوجيهاته وسديد آرائه الأثر الأكبر في وصولها إلى هذه الصورة، والتي نرجو من الله أن تكون مقبولة بالرغم من مشاغل أستاذي الكثيرة وأعبائه الكبيرة.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذيَّ الفاضلين: الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم، والدكتور محمّد الخطيب على تكرمهما بمناقشة هذه الرسالة وعلى الجهد الذي بذلاه في تصويب ما هو بحاجة إلى تصويب واستدراك ما فاتني فيها.

ولا أنسى أن أتقدم بخالص شكري إلى أساتذتي في كلية الشريعة على ما قدموه من توجيه ودعم من أجل الوصول بهذه الرسالة إلى الوجه الذي هي عليه.

فجزاهم الله جميعًا خير الجزاء، وأكرمهم بالمثوبة وجزيل العطاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة

الحمد لله الذي تنـــزه عن العيوب، ووجلت من خشيته القلوب إيمانا ويقينـــا بعد أن حجت الألباب عجائب حكمه، وسلمت له العقول بعد ان خصمتـــها لطـــائف حججه، واستولت على القلوب بدائع صنعه، وهتفت في أسماع العالمين السن أدلته، فشهدت انه لا اله إلا هو الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير الذي لـــم يلـــد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وبعد.

فإن الله تعالى قد انزل القرآن عربيا غير ذي عوج فقال تعالـــى :
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [١] واللغة العربية لها مفرداتـــها التي تؤدي معانيها مفردة أو ضمن نص من النصوص، ومن المعروف أن اللغـــة تتطور كما تتطور سائر المخلوقات. ولذلك فإن الوضع الأصلي لأي مفـــردة فـــي اللغة قد يتطور مع الزمن لينتقل من أصل الوضع على المعنى الحقيقي إلى معنـــى مجازي يشترك نوع اشتراك مع المعنى الأصلي للكلمة.

١- الآية (٢) من سورة يوسف.

والانسان قد يعبر عن المعنى عن طريق مجاز او استعارة، او تشبيه، او كناية، والمجاز انواع كثيرة، والكناية اكثر من نوع، الإستعارة انواع، والتشبيه انواع (١).

كما أن للعقل دوره في فهم القواعد المنطقية لمعرفة القواطع العقلية والثوابت(**البديهيات**) واستخدامات اللغة من أجل الوصول من خلال الألفاظ إلى ما يدرك من الحقائق المتعلقة بذات الله تعالى مع المعرفة مسبقا بأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان العقول مهما اوتيت من قدرة وقوة محال عليها ادراك ذاته وصفاته على ما هي عليه في الحقيقة (**كنهه سبحانه وتعالى**) لأنه متى استطاعت العقول إدراكه صارت هذه العقول قادرة، وصار الله تعالى مقدورا عليه، واذا صار مقدورا عليه لم يعد إلهاً فثبت استحالة ذلك ولذلك نهينا عن التفكير في ذات الله لأنه كل ما يخطر ببالك فالله خلاف ذلك.

لذلك كله، وجب على المسلم ان ينفي التجسيم عن الذات ودفع كل من شأنه ان يؤدي اليه او يؤدي إلى التصور عن ذات الله تعالى.

ولما كانت معرفة الله تبارك وتعالى اجل المعارف وأعظمها ومن نالها فقد نال الخير كله إذ بها تنال الرغائب، وتصل بالعبد إلى الله الركائب فيفوز صاحبها بخير الدنيا ونعيم الآخرة بعد ان يفوز برضا الله العظيم. ولما ثبت في كتاب الله انه قد رضي الله عن رسوله ﷺ وعن صحابته حيث قال

١- جولات في الفقهين الكبير والاكبر واصولهما/سعيد حوى ص١٦/طبعة دار الأرقم عمان/الثانية ١٩٨١م .

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ [1]، فإنه لم يكن اعرف من الصحابة وتابعيهم ومن تبعهم بالله عز وجل ذاتا وصفاتاً وافعالا، لذلك فإن السلف رضوان الله عليهم هم الطريق لمعرفة الله تعالى وصفاته لما ثبت من رضا الله تعالى عليهم.

ولهذا فإنني اقدم هذه الرسالة العلمية لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير في كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية بعنوان:

(آيات الصفات عند السلف بين التأويل والتفويض من خلال تفسير الطبري)

ناقلا لأقوال السلف في آيات الصفات من خلال كتاب من كتب السلف وهو (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لإمام من أئمة السلف وهو الإمام الحافظ محمد بن جرير الطبري رحمه الله والذي لا يخفى علمه وفضله على ذي بصيرة، فهو امام منأئمة الفقه والمعرفة والتفسير والتاريخ إضافة إلى الحديث. كما سأبين في هذه الرسالة إن شاء الله.

١- الآية (٢٢) من سورة المجادلة

مسوغات اختياري لهذا الموضوع

وأما اختياري لهذا الموضوع فكان للأسباب التالية:

١. أهمية العقيدة في حياة المسلم والتي هي في الأصل الدافع الفكري للسلوك بوجه عام وعلمها أجل العلوم على الإطلاق فهي أساس معرفة الله تعالى من خلال مصدرها الأول وهو القرآن العظيم والذي به يتم الوصول إلى عبودية الله تعالى والعمل بالمنهج الذي أراده الله تعالى من خلال التصور الإعتقادي الذي يؤديه هذا القرآن العظيم. ومصدرها الثاني وهو السنة النبوية المطهرة الثابتة المقطوع بصحتها.

٢. رغبتي الصادقة في الوقوف على الحقيقة في مسألة صفات الله تعالى ومن ثم تقديمها لطلبة العلم راجيا من الله أن يوفقني للصواب.

٣. كثرة الصيحات في عالمنا الاسلامي بالنكير على اهل العلم ورميهم بالكفر إذا قالوا بالتأويل او التفويض في آيات الصفات وكأن الحق محصورا عند فئة من الناس لا يتجاوزها ولا يكون عند غيرها مما ادى إلى أن ينصبوا أنفسهم قضاة على اقوال اهل العلم من خلال ما يعتقدون هم وحسب . مع أن الاصل أن تفهم الصفات على نحو ينزه فيه المولى جل وعز عن الجسمية ومشابهة الحوادث دون تعطيل لصفاته انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1].

٤. التناقض الذي يقع فيه منكرو التأويل والتفويض إذ أنه عند التأمل الدقيق الفاحص نجد أولئك المنكرين، يلجأون إلى التأويل عندما تصدم النصوص

١- الآية (١١) من سورة الشورى.

القرآنية أو الحديثية مذهبهم مثاله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [1] يؤولون المعية بالعلم ليسلم لهم القول بأن الله في السماء. وهذا خروج عن ظاهر النص وقولٌ بالتأويل إلا أن الجمود يصل عندهم مداه أحياناً فيثبتون لله صفات تعالى الله عنها، كما فعل إبن القيم في كتابه الصواعق المرسلة ٣٣/١ من مختصر صواعقه / مكتبة الرياض بإثبات الجنب إلى الله بل والقول بأن لله جنبين في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾ [2].

٥. محاولة بيان رأي السلف في هذا الموضوع مع بيان من هم السلف الذين يعتبر قولهم فيه وتوثيق ذلك بالوقوف على النصوص وبيان صحة أو عدم صحة نسبة هذه النصوص إليهم.

٦- قناعتي بأنه يجب علي كطالب علم أن ابحث في هذا الموضوع الخطير الذي يتعلق بعقيدة كل مسلم لا سيما أن هذا الموضوع لم يعد مقصورا على العلماء فحسب بل تتحدث فيه العامة بسبب ما ينشر من رسائل هنا وهناك تتكلم في هذا الموضوع دون قطع فيه ببحث دقيق علمي فيه استقصاء لمذهب السلف واقوالهم من مصادرها الأصلية وهي المصنفات التي صنفت والفت في القرون الثلاثة الأولى واهمها واوسعها تفسير الإمام الحافظ محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى. وكذلك من كتب السنن وكتب السير المعتبرة من مثل ما ينقله ويوثقه الحافظ الذهبي في كتابه سير اعلام النبلاء عن ائمة السلف، وما ينقله الترمذي عن اهل القرون الثلاثة في مواضع كثيرة من كتابة السنن.

١- الآية (٤) من سورة الحديد.

٢- الآية (٥٦) من سورة الزمر.

٧- اهمية كتاب (**جامع البيان عن تفسير آي القرآن**) للإمام الحافظ الطبري وموقع مؤلفه من السلف وقربه من التابعين والصحابه مما يشكل اهميته في توثيق نسبة اقوال السلف اليهم لقرب العهد بين المؤلف وبينهم في الزمان وقربه منهم في العمل بالكتاب والسنة والورع والتقوى.

الجهـود السابقـة

هناك كتابات كثيرة في موضوع العقيدة قديما وحديثا وقد اعتمـد اصحابـها على الآيات والأحاديث الواردة في هذا المجال إلا أنه لم يتناول الكتاب السـابقون هذه الآيات من تفسير الإمام الحافظ محمد بن جرير الطبري على وجه الخصـوص سوى تلك الدراسة التي قدمها الدكتور أحمد العوايشه تحت عنوان (دفاع الطـبري عن عقيدة السلف).

وقد تناول الدكتور أحمد العوايشه جوانب العقيدة كلها من خلال رسالته تلـك دون تخصيص آيات الصفات فيها كما أن دراسة الدكتور مع تقديري له كانت على شكل منهجي وضمن توجه مغاير للتوجه الذي سلتكه في هذه الرسالة راجيا تفـهم وجهة نظري دون أي مقصد بالحط من جهده او التقليل من شأنه فإن ذلـك ليس مرادا.

منهجي في البحـث

لقد قمت بجمع الآيات التي وردت في موضوع الصفات وقسمتها على خطـة البحث بحسب موضوعها ثم تناولت المعنى اللغوي إذا دعت الحاجة اليه وبعـد أن نقلت ما استطعت الوصول اليه من أقوال السلف حسب المفهوم الذي توصلت اليـه من تعريف السلف الذين يعتبر قولهم ثم بعد ذلك نقلت اقوال الإمام الطبري في ذلك مخرجا للأحاديث ومعلقا على الأقوال عند الضرورة ثم بعد ذلـك نقلـت اقـوال المفسرين مبتدئا بالزمخشري ثم الرازي ثم ابو حيان وغيرهم ثم أقرر في نهاية كل مبحث ما توصلت اليه من خلاصة الأقوال وكذلك نقلت أقوال السلف فـي تـأويل الأحاديث التي وردت في الصفات وتعليق العلماء عليها راجيـا مـن الله التوفيـق والسداد في الأقوال التي توصلت اليها.

وقد كانت خطتي للبحث ضمن الهيكل التالي :

هيكل البحث :

المقدمة : وتتضمن أسباب اختياري للموضوع، والدراسات السابقه فيه ومنـــــهجي في البحث.

الفصل الأول : التعريف بالسلف

المبحث الاول : من هم السلف

المبحث الثاني : الإمام الطبري وموقعه من السلف وموقعه مـــنِ علـم الحديث وفيه مطالب .

المطلب الأول : التعريف بالطبري: اسمه، نسبه، كنيته، وأصله.

المطلب الثاني : مشايخه وتلاميذه.

المطلب الثالث : آثاره ومؤلفاته

المطلب الرابع : تفسيره والتعريف به ومنهجه بوجه عام.

المطلب الخامس : محنته مع الحنابلة وأثر ذلك على تفسيره.

الفصل الثاني : التأويل والتفويض وآراء العلماء فيهما قديما وحديثا.

المبحث الأول : معاني التأويل لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : الأدلة على التأويل من الكتاب والسنة.

المبحث الثالث : موقف السلف من التأويل بوجه عام.

المبحث الرابع : موقف الطبري من التأويل بوجه خاص.

المبحث الخامس : التفويض لغة واصطلاحا.

المبحث السادس : موقف السلف من التفويض.

الفصل الثالث : الآيات الواردة في الصفات والملحقة بـــها وتفســيرها عنــد السلف من خلال الرواية وطريقة الطبري في تأويلها.

المبحث الأول : الاستواء.

المبحث الثاني : العلو.

المبحث الثالث : المجيء والإتيان.

المبحث الرابع : الطي والقبضه واليد.

المبحث الخامس : الرضى والغضب .

المبحث السادس : الكلام .

المبحث السابع : السمع والبصر.

المبحث الثامن : الحياة .

المبحث التاسع : النفس .

المبحث العاشر : الوجه والعين.

الفصل الرابع : بعض ما ورد من الصفات وما يلحق بها في السنة وتفسيرها عند السلف وفيه مباحث.

الخاتمة :

وتتضمن بيان أن الخلف غير مبتدعين في تأويل الصفات وأن من التأويل ما هو ضرورة لتنزيه الله عز وجل عن الجسمية والمشابهة لغيره وبيان أن السلف لم يكونوا متفقين في تفسير آيات الصفات فهم بين التأويل والتفويض والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

الإسلام دين الله الخالد الذي أنزله خاتماً للأديان وقد جاءت رسالته واضحة بينه في عقائدها وشرائعها وكل تعاليمها، وهذه الرسالة (آيات الصفات عند السلف بين التأويل والتفويض) تناولت فيها الآيات التي ذكرت صفات الله تعالى وأقوال السلف وعلماء التفسير فيها ضمن خطة محددة مبينة وقد تناولت هذا الموضوع في فصول أربعة هي .

الفصل الأول : التعريف بالسلف :

وقد بينت تعريف السلف من خلال اللغة ومن خلال السنة الشريفة، وأنهم أهل القرون الثلاثة الأولى اعتماداً على حديث الرسول ﷺ : (**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**)، كما بينت موقع الإمام الطبري رحمه الله تعالى من السلف باعتبار مولده ووفاته رحمه الله، وأثبت بذلك أنه من السلف من حيث زمن المولد وزمن الوفاة، كما بينت موقعه رحمه الله من علم الحديث، وعلم التفسير وغيرها من العلوم، وعرفت بمشايخه وتلاميذه وسيرته ومنزلته العلمية ، وذكرت أثاره ومؤلفاته سواء منها المخطوطة أو المطبوعة أو المفقودة .

أما الفصل الثاني :

فقد تناولت التأويل والتفويض وأراء العلماء فيهما سلفا وخلفا من خلال بيان المعنى اللغوي للتاويل والتفويض وكذلك المعنى الاصطلاحي لهما، وذكرت فيه الأدلة الملزمة بالتأويل من الكتاب والسنة، ونقلت أقوالا ونصوصا للسلف في

التأويل وكذلك أقوالا لهم في التفويض للخروج بنتيجة واضحة بينة أن السلف كان منهم من يأول في آيات الصفات، ومنهم من يفوض فيها، وأن التأويل والتفويض ليس بدعا من القول وخروجا عن الصواب يؤدي إلى الكفر، بل إن التأويل فيه اتباع لبعض السلف الذين أولوا وكذلك التفويض.

وكذلك فقد ذكرت في هذا الفصل موقف الإمام الطبري من التأويل والتفويض بوجه عام، وأنه رحمه الله كان يؤول بعض الصفات، ويفوض بعضها الآخر، ونقلت نصوصا من تفسيره تبين ذلك بما لا يدع مجالا للشك أو التردد بأنه رحمه الله كان يؤول أحيانا، ويفوض أحيانا أخرى في آيات الصفات شأنه شأن من تقدمه من الصحابة والتابعين ، وكذلك فقد نقلت أقوال المفسرين في هذه الآيات موازنا بين هذه الأقوال ومرجحا ما رأيته أولى بالترجيح حسب طاقتي وعلمي.

وأما الفصل الثالث :

فقد تناولت فيه الآيات التي ذكرت صفات الله تعالى ونقلت ما استطعت الوصول إليه من أقوال السلف فيها ثم اتبعت ذلك بموقف الطبري منها وأقوال علماء التفسير فتناولت موضوع الاستواء المنسوب إلى الله تعالى وبينت أقوال السلف فيه وأن المراد منه ليس الإستواء الحسي كما يرى البعض لان في ذلك محذورات بنيتها من القول بالجهة والتحيز والحد وكذلك تناولت موضوع العلو وذكرت فيه مثلما ذكرت في الإستواء ثم بعد ذلك تناولت موضوع المجيء والاتيان المنسوب إلى الله تعالى وبينت أن المقصود منه ليس الحركة والانتقال من خلال أقوال السلف ومن خلال أقوال المفسرين لما في ذلك من المحاذير كالقول باشغال الله للمكان بعد أن لم يكن به أو القول بالتمدد وكذلك الحلول بالحوادث.

ثم ذكرت الطي والقبضة واليد وبينت أن نسبة ذلك إلى الله من باب المجاز ولا يمكن حمله على الأعضاء الجارحة لما في ذلك من التجسيم ولكون ذلك يتعارض مع بعض آيات القرآن لإن اثبات الأعضاء لله قول بفناء هذه الأعضاء في الآخرة وذلك بأخذ ظاهر قوله تعالى ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ فإثبات اليد والرجل والساق والأصابع وغيرها من الجوارح قول بفنائها باستثناء الوجه بهذه الآية وهذا محال .

وكذلك تناولت صفة الكلام والسمع والبصر والنفس وغيرها وأما الفصل الثالث فقد استكملت الصفات التي لم ترد في القرآن الكريم وذكرتها من الأحاديث الشريفة وقد تناولت فيه مبحث النزول والضحك والهرولة والاصابع والجهات والرجل والقدم والساق والعجب وذكرت تأويلات السلف فيها وبينت أنه لا يمكن حمل ظواهرها على الله لما في ذلك من التشبيه بين الله وبين الخلق مدعما ذلك بالأدلة العقلية وأقوال العلماء ثم ذكرت ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات ، لأكمل بذلك هذه الرسالة في آيات الصفات من خلال أقوال السلف وعلماء التفسير للخروج بنتيجة واضحة أن من السلف من كان يؤول في آيات الصفات وكذلك فإن علماء التفسير قد أولوا فيها وبذلك أختم هذه الرسالة .

الفصل الأول

التعريف بالسلف

المبحث الأول : من هم السلف

المبحث الثاني : الإمام الطبري وموقعه من السلف وموقعه من علم الحديث وفيه مطالب .

المطلب الأول : التعريف بالطبري: اسمه، نسبه، كنيتـــــه، واصله.

المطلب الثاني : مشايخه وتلاميذه.

المطلب الثالث : آثاره ومؤلفاته.

المطلب الرابع : تفسيره والتعريف به ومنهجه بوجه عام.

المطلب الخامس : محنته مع الحنابلة وأثر ذلك على تفسيره.

التعريف بالسلف

المبحث الأول : من هم السلف

قبل أن نبحث في تحديد المعنى الاصطلاحي لمفهوم السلف لا بد من بيان المعنى اللغوي لهذه الكلمة، لما يترتب على ذلك من تحديد للمعنى الاصطلاحي المراد منها.

فالسلف عند اهل اللغة وحسب ما ذكرته المعاجم اللغوية هو :

أ- قال المحدث اللغوي السيد مرتضى الزبيدي في شرح القاموس المسمى (تاج العروس) وما بين الأقواس كلام صاحب القاموس المجد الفيروز أبادي ما نصه .

" (و) للسلف معنيان آخران أحداهما (كل عمل صالح قدمته او فرط لك) فهو سلف، وقد سلف له عمل صالح (و) الثاني (كل من تقدمك من آبائك) وذوي (قرابتك) الذين فوقك في السن والفضل وأحدهم سالف ومنه قول طفيل الغنوي يرثي قومه:

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تقلب

اراد أنهم تقدمونا وقصد سبيلنا أن نموت كما ماتوا فنكون سلفا لمن بعدنا كما كانوا سلفا لنا.

ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح ......[1] ، أ هـ .

ب_ وأصل هذا الكلام أيضا في كتاب لسان العرب لأبن منظور[2] .

ج- قال الراغب

"سلف: السلف المتقدم، قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾[3] اي معتبرا متقدما... ولفلان سلف كريم أي اباء متقدمون جمعه أسلاف وسلوف)[4]...، أ هـ"يتضح مما تقدم أن سلف الأمة، المتقدمون دون المتأخرين منها ومن خلال هذا المعنى اللغوي فإن السلف في المعنى الاصطلاحي يكون كما يأتي.

١- تاج العروس في شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي ١٤٣/٦/دار المعرفة/ بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ .

٢- لسان العرب لابن منظور ١٠/٣٢-٣٤ طبعة دار الفكر، بيروت لبنان.
المعجم الوسيط/مجموعة من علماء الأزهر، ٣٢/١/ دار إحياء التراث العربي/القاهرة ط ٢ تاج العروس شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي ٣٣١/٣ .

٣- الآية (٥٦) من سورة الزخرف .

٤- المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٣٩/الطبعة الاخيرة/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر تحقيق محمد سيد كيلاني ١٣٨١ هـ — ١٩٦١م.

السلف بالمعنى الاصطلاحي :

عمدة تعريف السلف عند المحدثين حديث "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) (١)

ومن هذا الحديث عرف المحدثون والحفاظ والفقهاء السلف بأنهم أهل القرون الثلاثة الأولى.

قال الحافظ ابن حجر: (واستدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم في الفضل وهذا محمول على الغالب والأكثرية، فقد وجد فيمن بعد الصحابة من القرنين من وجدت فيه الصفات المذكورة المذمومة لكن بقلة، بخلاف من بعد القرون الثلاثة فإن ذلك كثر فيهم واشتهر) (٢) أ هـ.

وقال العلامة الفقيه الشيخ إبراهيم الباجوري في شرح جوهرة التوحيد عند قول الناظم ابراهيم اللقاني رحمه الله تعالى.

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

١- رواه البخاري/في الفتح ٣/٧، ط دار المعرفة بيروت، (و) مسلم في باب فضائل الصحابة رقم ٢١٠-٢١٥ شرح النووي ط دار احياء التراث العربي/بيروت والترمذي ٣٨٥٩، ٥٢٢١ طبعة دار احياء التراث العربي ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٧٨/١، ٤٤٢/٤٣٤، ٢٦٧/٤، ٢٧٧ طبعة دار الفكر تحقيق وشرح أحمد شاكر ومسند ابن أبي شيبه ٥٤٨/٧ طبعة دار الفكر ١٩٨٩ الطبعة الأولى والطبري في الكبير ٣٢٠/٢، ٢١٢/١٨ طبعة حمدي السلفي / ط٢ بيروت وسنن البيهقي ١٢٢/١٠، ١٦٠ طبعة دار الفكر بيروت والاحسان في تقريب صحيح إبن حيان موارد ٢٢٨٥ طبعة مؤسسة الرسالة الأولى بيروت ١٤٠٨ هـ، والبغوي في شرح السنة ١٣٨/١٠ ٧٨/٢/ دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ومستدرك الحاكم ١٩١/٣ طبعة دار الفكر بيروت لبنان،والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٥٣/١٢ ط دار الفكر بيروت .

٢- فتح الباري لابن حجر ٧/٧.

قال والمراد بمن سلف من تقدم من الانبياء والصحابة والتـــابعين وتابعيـــهم خصوصا الأئمة الأربعة المجتهدين ...[1] أ هـــ .

فإذا أضفنا هذا إلى ما تقدم عند المحدثين وأهل اللغة، تبين لنا أن السلف هـــم أهل القرون الثلاثة الأولى، وهنا لا بد من بيان معنى القرن لنخرج ببيـــان زمـــن السلف، وماذا تعني كلمة قرن الواردة في لفظ الحديث السابق الذي اعتمده الحفـــاظ والفقهاء في تعريف السلف، وتحديد زمانهم، فالمشهور في معناها شرعا، ولغة، أن القرن مائة عام، يدل على ذلك:

أ - روى البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :

((صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال: أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن رأس مائة سنة فيها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد، فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة)) وإنمـــا قال النبي ﷺ : " لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض" يريد بذلك أنها تخرم ذلـــك القرن [2]، وقد خاطب النبي ﷺ بهذا الحديث أصحابه، وهم قرنه الذين قال فيهم:

" **خير أمتي قرني**" وكذلك قال الحافظ ابن حجر في الفتح:" وقد بين ابن عمـــر رضي الله عنهما في هذا الحديث مراد النبي ﷺ، وأن مراده انه عند انقضاء مائـــة سنة من مقالته تلك، ينخرم ذلك القرن فلا يبقى أحد ممن كان موجودا حـــال تلـــك المقالة، وكذلك وقع بالاستقراء، فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجودا حينئـــذ أبو طفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث أنه كان آخـــر الصحابـــة موتـــا، وغاية ما قيل فيه أنه بقي إلى سنة عشر ومائة وهي رأس مائة سنة من مقالة النبي

١- شرح جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم الباجوري ص ١٢٥.

٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج١ ص ٢١١، ج٢ ص ٧٤.

ﷺ والله أعلم[١] " أ هـ .

وكذلك نقل ابن حجر عن ابن بطال ما نصه :

" قال ابن بطال: إنما أراد رسول ﷺ أن هذه المدة تخترم الجيل الذي هم فيه فوعظهم بقصر اعمارهم"[٢] ، أ هـ.

والقرن في التعريف اللغوي هو : مائة سنة كما في " تاج العروس شرح القاموس" حيث قال وما بين الأقواس كلام الفيروز أبادي : ...

" وقال ثعلب هو الاختيار (لقوله ﷺ لغلام) بعد أن مسح على رأسه(عش قرنا فعاش مائة سنة)، وعبارة المصنف موهمة لأن اول الأقوال التي ذكرها هو اربعون سنة فتأمل وبالأخير فسر حديث أن الله يبعث على رأس كل قرن لهذه الامة من يجدد أمر دينها كما حققه السيوطي رحمه الله تعالى[٣]. أ هـ.

من خلال ما تقدم نستطيع ان نقول بأن القرن مائة عام، فقرن سيدنا رسول الله ﷺ انتهى بموت أبي الطفيل عامر بن واثلة سنة مائة وعشرة هجرية كما قال ﷺ (أرأيتكم ليلتكم هذه)-الحديث وكان ذلك سنة عشرة للهجرة حيث ذكر ابن عمر رضي الله عنهما بأن ذلك كان في آخر حياته ﷺ ، وعلى هذا يبدأ القرن الثاني من سنة مائة وعشرة للهجرة وينتهي سنة مائتين وعشرة للهجرة حيث يبتدئ القرن الثالث، والذي ينتهي سنة ثلاثمائة وعشرة للهجرة وهي سنة وفاة الإمام الحافظ محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى.

١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٧٥.

٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٢١٢/١ .

٣- تاج العروس شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي ج٩ ص٣٠٥.

المبحث الثاني

الإمام الطبري وموقعه من السلف وموقعه من علم الحديث

المطلب الأول - التعريف بالطبري رحمه الله تعالى.

إسمه ونسبه وكنيته ومنـــزلته العلمية:

هو محمد بن جرير بن كثير ابو جعفر الطبري من أهل آمل[١] طبرستان[٢] مولده سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة طلب العلم بعد الأربعين ومـــائتين، وأكثر الترحال ولقي نبلاء الرجال، وكان من افراد الدهر علمـــا وذكـــاء وكـــثرة تصانيف، قل أن ترى العيون مثله، استقر آخر أمره في بغداد، وكان من كبار أئمـة الاجتهاد.

١- آمل مدينة في إقليم طبرستان وهي تقوم على الضفة الغربية لنهر هرهاز، وتبعد اثني عشـــر ميـــلا عن بحر قزوين وهي تقع حاليا في الاتحاد السوفيتي في محلها مدينة جهار جوي ذكره البلاذري فـــي كتابه فتوح البلدان ٦٧٩/٣ وفي معجم البلدان لياقوت الحمـــوي ١١٠/٢، وفـــي طبقـــات المفســـرين للداودي ١١٠/٢.

٢- طبرستان: ناحية بين العراق وخراسان بقرب بحر الخزر ذات مدن وقرى كثيرة وتسمى مـــازندار ذكر ذلك في معجم البلدان ١٣/٤.

قال ابو سعيد بن يونس:

(محمد بن جرير من أهل آمل، كتب بمصر ورجع إلى بغداد وصنف تصانيف حسنة تدل على سعة علمه)[1] . أ هـ .

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه :

(محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب، كان احد أئمة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه احد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله تعالى، عارفا بالقراءات بصيرا بالمعاني فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين عارفا بأيام الناس واخبارهم، وله الكتاب المشهور (اخبار الأمم وتاريخهم)، وله كتاب (التفسير) لم يصنف مثله، وكتاب سماه (تهذيب الآثار) لم ار سواه في معناه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واخبار عن أقاويل الفقهاء، تفرد بمسائل حفظت عنه، ثم يقول:

(قلت كان ثقة، صادقا ، حافظا، رأسا في التفسير، إماما في الفقه والإجماع

١- انظر فهرست إبن النديم ٣٢٦ ط دار المعرفة، لبنان.

تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ٧٤٥/٢ ، تذكرة الحفاظ/ للسيوطي ٧١٠/٢ الطبعة الثانية/ دار الكتب العلمية/بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م. طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣١٠ طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ه-١٩٨٣م.

طبقات المفسرين للداودي/٢/٢٥٠/ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ٣٠١٤هـ - ١٩٨٣م.

البداية والنهاية لابن كثير ١٤٥/١١ طبعة مكتبة المعارف بيروت الثانية ١٩٧٧م. لسان الميزان لابن حجر ١٠٠/٥/ طبعة دار الفكر بيروت لبنان، الرسالة المستطرفة ص ٣٣ للسيد محمد بن جعفر الكتاني/ طبعة دار الكتب العلمية الأولى ١٤٠٠ هـ طبقات الشافعية للسبكي ١٢٠/٣ التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي٢٥٠/١/طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت/لبنان.

والاختلاف، علامة في تاريخ الناس، عارفا بالقراءات، وباللغة، وغير ذلـــك قــرأ القرآن ببيروت على العباس بن الوليد)[١].

وقال الخطيب :

(سمعت علي بن عبيد الله اللغوي يحكي أن محمد بن جرير مكـــث أربعيــن سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة) وقال :

وبلغني عن ابي حامد الأسفرايني الفقيه أنه قال: لو سافر رجل إلى الصيــن يحصل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرا [٢] .

وكان ابو جعفر قد نظر في المنطق، والحساب، والجبر، والمقابلة، وكثير من فنون أبواب الحساب وفي الطب أخذ منه قسطا وافرا يدل عليه كلامه في الوصايا.

لكن شهرته طارت في علوم التفسير والقراءات والحديــث والفقــه والتــاريخ فضلا عما عرف من الفنون والألوان الثقافية الأخرى [٣] .

وقال أبو محمد الفرغاني:

ثم كتب محمد بن جرير كتاب "التفسير" الذي لو ادعى عالم أن يصنــف منــه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي على علم مفر د مستقصى لفعل.

١- سير اعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ١٤/٢٦٩-٢٧٠/طبعة مؤسسة الرسالة الثانية/بيروت لبنان، البداية والنهاية لابن كثير ٨٤٥/١١ الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٣٥/٨، دار احياء التراث - بيروت ١٤٠٢هـــ - ١٩٨٢ م لسان الميزان لابن حجر ١٠١/٥.

٢- سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٧٢/١٤، البداية والنهاية لابن كثير ١٤٥/١١.

٣- انظر الطبري السيرة والتاريخ للدكتور عبد الرحمن العزاوي ص ٧٥، طبعة دار الشؤون الثقافيـــة العامة بغداد ١٩٨٩.

وكان محمد بن جرير ممن لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات، من جاهل، وحاسد، وملحد، فأما أهل الدين والعلم فغير منكرين علمه وزهده في الدنيا ورفضه لها وقناعته - رحمه الله - بما كان يرد عليه من حصة من ضيعة خلفها عليه ابوه بطبرستان يسيرة [١] .

قال الفرغاني :

وحدثني هارون بن عبد العزيز : قال ابو جعفر الطبري :" اظهرت مذهب الشافعي، واقتديت به ببغداد عشر سنين وتلقاه مني ابن بشار الأحول استاذ ابن سريج".

قال هارون :

" فلما اتسع علمه أداه اجتهاده وبحثه إلى ما اختاره في كتبه ".

وقال الفرغاني :

(وكتب إلى المراغي قال :" لما تقلد الخاقاني الوزارة وجه الي ابي جعفر الطبري بمال كثير فامتنع من قبوله، فعرض عليه القضاء فامتنع، فعرض عليه المظالم فأبى، فعاتبه اصحابه وقالوا : لك في هذا ثواب وتحيي سنة قد درست. وطمعوا في قبول المظالم، فباكروه ليركب معهم لقبول ذلك فانتهرهم وقال:

(قد كنت أظن لو رغبت في ذلك نهيتموني عنه) قال : فانصرفنا خجلين[٢].

قال ابو محمد الفرغاني:

حدثني ابو بكر الدينوري قال : لما كان وقت صلاة الظهر من يوم الاثنين

١- سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٧٤/١٤ .

٢- المرجع السابق ٢٧٤/١٤ - ٢٧٥.

الذي توفي فيه -في اخره- ابن جرير طلب ماء ليجدد وضوءه، فقيل له : تؤخر الظهر تجمع بينها وبين العصر فأبى، وصلى الظهر مفردة والعصر في وقتها أتم صلاة واحسنها.

وقد حضر وقت موته جماعة منهم : ابو بكر بن كامل فقيل له قبل خروج روحه: يا ابا جعفر: أنت الحجة فيما بيننا وبين الله فيما ندين به، فهل من شيء توصينا به من امر ديننا، تبينه لنا نرجو به السلامة في معادنا؟ فقال الذي ادين الله به واوصيكم به هو ما ثبت في كتبي فاعملوا به وعليه [1].

قال أحمد بن كامل :

(توفي ابن جرير عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاث مائة، ودفن في داره برحبة يعقوب يعني بغداد قال : ولم يغَير شيبه، وكان السواد فيه كثيرا، وكان أسمر الأدمة، أعين نحيف الجسم، طويلا، فصيحا، إلى أن قال: ورثاه خلق من الأدباء وأهل الدين، ومن ذلك قول أبي سعيد بن الأعرابي :

حدث مفظع وخطب جليل ... دق عن مثله اصطبار الصبور
قام ناعي العلوم أجمع لما ... قام ناعي محمد بن جرير [2]

موقع الطبري من السلف

مما تقدم ذكره في البحث الأول "من هم السلف" ومما ذكرناه في المبحث الثاني عند بيان مولد الأمام محمد بن جرير الطبري وبيان وفاته نخلص إلى القول بأنه رحمه الله تعالى كان مولده ووفاته في القرن الثالث الهجري الذي شهد رسول

١- سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/٢٧٦ .

٢- سير اعلام النبلاء للذهبي ١٤/٢٨٢، البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٤٥.

الله ﷺ لأهله بالخيرية، وما ذكره علماء الرجال عن محمد بن جرير الطبري، وعلمه، وفضله، وزهده وأخلاقه، وسمعته، يشهد على أن الطبري لم يكن من السلف الصالح رضي الله عنهم زمانا وحسب، بل كان منهم سلوكا، وورعا، وعلما، وعدالة.

ومما تقدم تحقيقه وبيانه والكشف عنه يتبين لنا بوضوح أن الحافظ ابن جرير الطبري، واحد من أعلام السلف الصالح الذين يعتد بقولهم، ويأخذ برأيهم، فرحمه الله، ورضي عنه، وجزاه عن أمته وعن نبيه ﷺ خير الجزاء.

موقعه من علم الحديث

لقد كان الإمام الطبري رحمه الله تعالى حافظا محدثا بارعا في علم الحديث فهو من أئمة الحديث وأهل الرواية الواسعة والضبط المتقن.

قال ابن حجر في لسان الميزان:

قال الخطيب :

كان ابن جرير أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله وكان ممن جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله تعالى عارفا بالقراءات بصيرا بالمعاني، فقيها بالأحكام عالما بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها،ناسخها ومنسوخها، عارفا بأقاويل الصحابة والتابعين، والحلال والحرام ، عارفا بأيام الناس واخبارهم ... [1]أ هـ.

١- لسان الميزان لابن حجر ١٠١/٥ -١٠٢، سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٦٩/١٤، الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٣٥/٨ البداية والنهاية لابن كثير ١٤٦/١١ تذكرة الحفّاظ للسيوطي ص ٣١٠ ط دار الكتب العلمية/ بيروت

ونقل ابن كثير عن ابن خزيمة قال :

(قال ابن خزيمة لو كتبت عنه لكان خيرا لك من كل من كتبت عنه قلت: وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق، لا تأخذه في ذلك لومة لائم، وكان حسن الصوت في القراءات على احسن الصفات، وكان من كبار الصالحين، وهو أحد المحدثين الذين اجتمعوا في مصر في أيام ابن طولون، وهم محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروباني، ومحمد بن جرير الطبري[١].

وقد أخذ الحديث عن الشيوخ الفضلاء[٢]، وكان رحمه الله يكثر من الأحاديث النبوية الشريفة لأنه درس الحديث على كبار المحدثين في عصره والذين كان لهم التأثير الواضح على الطبري[٣].

يقول صاحب معجم المؤلفين :

(محمد بن جرير بن يزيد الطبري مفسر، مقرئ محدث مؤرخ فقيه أصولي مجتهد[٤]، ويكفي أن نعلم أن تفسيره رحمه الله تعالى أكثر ما يعتمد على الرواية وهو أصل من أصول التفسير بالمأثور، بل هو عمدة هذا الفن، إضافة إلى ما فيه من التفسير بالرأي، كل هذا يقرر موقع الإمام الطبري من علم الحديث، بل يؤكد أنه في المقدمة من علماء الحديث، فرحمه الله تعالى وجزاه خير الجزاء عن أمته وعن نبيه ﷺ وتلك الشهادات من كبار العلماء تدل على ذلك الموقع الرفيع في علم الحديث.

١- البداية والنهاية لابن كثير ١٤٦/١١.

٢- الفهرست لابن النديم ص ٣٢٦.

٣- الطبري السيرة والتاريخ د. عبد الرحمن حسين العزاوي ص ٥٩/دار الشؤون الثقافية العامة بغداد الطبعة الاولى ١٩٨٩م.

٤- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٤٧/٩ / دار احياء التراث العربي/ بيروت / لبنان.

المطلب الثاني – مشايخه وتلاميذه :

طلب الإمام الطبري رحمه الله تعالى العلم صبيا ورحل في سبيله يافعا لم يبلغ مبلغ الرجال "فرحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة، سنة ست وثلاثين فلم يزل طالبا للعلم مولعا به إلى أن مات[1].

وقد التقى رحمه الله تعالى بكبار العلماء في عصره وحضر دروسهم وتعلم منهم أو روى عنهم مباشرة وأبرز شيوخه:

سمع محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وإسماعيل بن موسى السدي، وإسحاق ابن أبي اسرائيل، ومحمد بن أبي معشر، حدثه بالمغازي عن أبيه، ومحمد بن حميد الرازي، وأحمد بن منيع، وأبا كريب محمد بن العلاء، وهناد بن السري، وأبا همام السكوني، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني، وبندرا، ومحمد بن المثنى، وسفيان بن وكيع، والفضل ابن الصباح، وعبدة بن عبد الله الصّغّار، ومسلم بن جنادة ويونس بن عبد الأعلى ويعقوب الدّورقي، وأحمد بن المقدام العجلي، وبشر بن معاذ العقدي، وسوّار بن عبد الله العنبري، وعمر بن علي الفلاس، ومجاهد بن موسى، وتميم بن المنتصر، والحسن بن عرفه، ومهنّا بن يحيي، وعلي ابن سهل الرملي، وهارون بن إسحاق الهمذاني، والعباس بن الوليد العذري، وسعيد بن عمر السكوني، وأحمد بن أخي بن وهب، ومحمد بن معمر القيسي، وابراهيم بن سعيد الجوهري، ونصر بن علي الجهضمي، ومحمد بن عبدالله بن بزيع، وصالح بن مسمار المروزي وسعيد ابن يحيى الأموي وناصر بن عبد الرحمن الأدومي، وعبد الحميد بن بيان السكري، وأحمد بن ابي سريج الرازي، والحسن بن الصباح البزار، وأبا عمار الحسين بن حريث [2].

١- لسان الميزان لابن حجر ١٠٢/٥.

٢- سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٦٨/١٤ -٢٦٩.

وزاد ابن النديم في الفهرست: أبي جريج وعبد الله بن اسماعيل الهباري، وعمران ابن موسى القزاز وقرأ الفقه على داوود وأخذ فقه الشافعي عن الربيع ابن سليمان بمصر وعن الحسن ابن محمد الزعفراني ببغداد، وأخذ فقه مالك عن يونس بن عبد الأعلى وبني عبد الحكم محمد وعبد الرحمن وسعد واخذ فقه اهل العراق عن مقاتل بالري[1] وغيرهم امما كما ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء.

أما تلاميذه، فقال الذهبي في سير اعلام النبلاء: حدث عنه : أبو شعيب عبد الله ابن الحسن الحراني وهو أكبر منه وابو القاسم الطبري واحمد بن كامل القاضي وأبو بكر الشافعي، وأبو احمد بن عدي، ومخلد بن جعفر الباقرجي والقاضي أبو محمد بن زبر، وأحمد بن القاسم الخشاب، وأبو عمر بن أحمد بن حمدان وأبو جعفر أحمد بن علي الكاتب"، وعبد الغفار بن عبيد الله الحضيني[2] وابو المفضل محمد بن عبد الله الشيباني والمصلى بن سعد، وخلق كثير[3] منهم ابراهيم بن حبيب السقطي، وأحمد بن عبد الله الجبي وأحمد بن يحيي - ابو الحسن المنجم-، وعبد الواحد بن عمر، وعبد الله بن احمد بن جعفر-أبو محمد الفرغاني-،وعثمان بن أحمد الدينوري، وعلي بن الحسن بن محمد، وعلي بن عبد العزيز الدولابي، والفضل بن الفرات وغيرهم[4].

١- الفهرست لابن النديم ص ٣٢٦.

٢- في كتاب الطبري السيرة والتاريخ ص١١٠ مضبوطة الحصيبي نسبة إلى الحصيب والدبريده بن الحصيب الأسلمي.

٣- سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٩/١٤.

٤- الطبري السيرة والتاريخ للدكتور عبد الرحمن العزاوي ص ١٠٧ - ١١٢.

المطلب الثالث - أثاره ومؤلفاته :

الإمام الطبري مفسَر محدث لغوي نحوي عروضي، وهب حياته للعلم، وقد ادرك العلم صبيا ورحل في سبيله يافعا لم يبلغ مبلغ الرجال، فرحل في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة كما تقدم، وقد كان عازفا عن الدنيا تاركا لها ولأهلها، يرفع نفسه عن التماسها، وقد كان محبا للبحث والعلم وطلبه، وشد الرحال من أجله، ودأب في الاستزادة من ينابيعه في بغداد الأم، والبصرة والكوفة وواسط وغير ذلك من المدن العربية يومئذ، وما كان حبه للعلم ليقف عند حد كما يستشف ذلك من سيرته[1]، ولذلك كثرت مؤلفاته حتى قال ياقوت : إن قوما من تلاميذ ابن جرير حصروا أيام حياته، منذ أن بلغ الحلم إلى أن توفي وهو ابن ست وثمانين، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته فصار منها في كل يوم أربع عشرة ورقة، وهذا لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق[2]، ولذا فقد ترك الطبري رحمه الله تعالى آثارا ضخمة، ومؤلفات جمة، منها المطبوع ومنها المخطوط، وهذا ما سأبينه في هذا المطلب بإذن الله تعالى.

أولاً : الآثار الموجودة وهي قسمان:

أ- الآثار المطبوعة

١. اختلاف الفقهاء :

وقد ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنف مثله ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل[3] مما كان له أثره في محنته مع الحنابله كما سأبينه في حينه وقد ذكره الذهبي في

١- الطبري السيرة والتاريخ للدكتور عبد الرحمن العزاوي ص ٨٧ .

٢- المرجع نفسه ص ١٢٣.

٣- الكامل في التاريخ لابن الاثير ١٣٤/٨.

كتابه سير أعلام النبلاء باسم كتاب اختلاف علماء الأمصار، فقال وتم لـــه كتـــاب اختلاف علماء الأمصار[1] وقد نقل ذلك عن ياقوت قال:

وكتابه اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الاسلام معــــروف للنـــاس والطبري على قيد الحياة وكتاب اختلاف علماء الأمصار-والـــذي يســـمى ايضـــا اختلاف الفقهاء- فليرويا-ذلك عني... " على خلاف كتاب اختلاف الفقهاء الذي لـــم يعرف إلا بعد وفاة الطبري وهو أربعة أجزاء مخطوط-مكتبة برلين رقـــم ٤١٥٥ ودار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٣٢٠هـــــ/١٩٠٢م) وطبـــع أيضـــا بمطبعـــة الموسوعات والترقي-تركيا وطبع كذلك بدون تاريخ ببيروت[2].

٢. تاريـــخ الطبـــري [3]:

وهذا هو الاسم الذي اشتهر به، ويسمى تاريخ الأمم والملوك، ويعـــد أوفـــى عمل تاريخي بين مصنفات العرب والمسلمين، بدأه بعد المقدمة بذكر الدلالة علـــى حدوث الزمان، ثم ذكر آدم وما كان بعده من أخبار الأنبياء والرسل، وصولا إلـــى ظهور الرسول العربي ﷺ، وبعثته وذكر الخلفاء الراشـــدين، والدولـــة الأمويـــة، والدولة العباسية[4]. ولهذا الكتاب تكملات وذيول مثل :

(صلة تاريخ الطبري) : لعريب بن سعد القرطبي، وكتاب (لوامع الأمـــور) لأبي إسحاق إبراهيم بن حبيب السقطي الكوفي الطبري وهو أحد تلاميذ الطـــبري،

١- سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٧٣/١٤.

٢- الطبري السيرة والتاريخ للدكتور عبد الرحمن العزاوي ص ١٢٨.

٣- سير اعلام النبلاء الذهبي ٢٧٣/١٤، الكامل لابن الاثير ١٣٥/٨ طبقات الحفاظ ص ٣١٠ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٤٧/٩.

٤- الطبري السيرة والتاريخ للدكتور عبد الرحمن العزاوي ص ١٢٨.

(وتكملة تاريخ الطبري إلى ما بعد سنة ٥١٢هـ) لمحمد بن عبد الملك الهمداني وغير ذلك من التكملات والذيول[١] وله مختصرات منها.

ما ذكره ابن النديم في قوله :

(وقد اختصر هذا الكتاب وحذف أسانيده جماعة منهم رجل يعرف بمحمد بن سليمان الهاشمي وآخر ..) ومن أهل الموصل أبو الحسن المشطاطي المعلم[٢]وغير ذلك من المختصرات.

وله ترجمات إلى اللغة الفرنسية والتركية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية وغيرها. وله عدة طبعات تصل إلى ستة[٣].

٣. تفسير الطبري[٤]:

ويسمى جامع البيان عن تأويل القرآن أو كتاب تفسير محمد بن جرير الطبري قال أبو محمد الفرغاني:

(تم من كتب محمد بن جرير كتاب التفسير، الذي لو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقصى لفعل[٥]) وهذا يدل على عظمة هذا الكتاب وسعته وسنفرد له مطلبا خاصًا في هذا الفصل بإذن الله (أنظر المطلب الرابع ص (٤١).

١- الطبري السيرة والتاريخ للدكتور عبد الرحمن العزاوي ص ١٢٩.
٢- الفهرست لابن النديم ص ٣٢٧.
٣- الطبري السيرة والتاريخ للدكتور عبد الرحمن العزاوي ص ١٣٢ -١٣٤.
٤- انظر طبقات الحفاظ/ للسيوطي ص ٣١٠ وسير اعلام النبلاء ٤٧٣/١٤، معجم المؤلفين ١٤٧/٩ الفهرست لابن النديم ص ٣٢٧ الكامل لابن الآثير ١٣٦/٨.
٥- سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٧٣/١٤.

وللكتاب مختصـرات قام بها جماعة لضخامته منها :

قال ابن النديم :

كتاب التفسير لم يعمل أحسن منه وقد اختصره جماعة منهم أبو بكـر ابـن الأخشيد وغيره[١] ومختصر ألفه أبو يحيى محمد بن صمادح التجيبي[٢].

وللكتاب عدة ترجمات، إلى الفارسية والتركية وقد طبع لأول مرة فـي (٣٠) جزء بالقاهرة وطبع طبعه أحسن من السابقة في المطبعة الأميرية ببولاق القـاهرة سنة ١٣٢٢هـ- ١٣٣٠-١٩٠٤-١٩١١ [٣]. وطبعت أجزاء منـه دار المعـارف بمصر.

٤. كتاب صريح السنه / في أوراق .

ومن الكتب المطبوعة للطبري رسالته المعروفة بكتاب صريح السنه وقد ذكر فيها ما يدين به ويعتقده[٤].

١- الفهرست لابن النديم ص ٣٢٧.

٢- الطبري السيرة والتاريخ ص ١٣٧.

٣- سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٧٣/١٤.

٤- الطبري السيرة والتاريخ ص١٣٨.

ب- الآثــار المخطوطــة

١- كتاب تهذيب الآثار

ذكره ابن النديم[1] بهذا الاسم، ولم يتمه وقد قال عنه ياقوت الحموي " كتـــاب تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار وهو كتـــاب يتعـــذر على العلماء مثله، ويصعب عليهم تتمته، وهو كتاب جامع في الحديث، وهو مرتب على وفق أوائل رواة الحديث، أي على وفق صحابة رسول الله ﷺ وقد ابتدأه بمـــا أسنده الصديق مما صح عنده سنده، وتكلم على كل حديث منه بعلله وطرقـــه ثـــم فقهه، واختلاف العلماء وحججهم، وما فيه من المعـــاني والغريـــب والـــرد علـــى الملحدين، فتم منه مسند العشرة، وأهل البيت، والموالي، وبعض مسند ابن عبـــاس فمات قبل تمامه[2]، ومنه نسخ خطية في كوبريلي وفي عاطف أفنـــدي، وفـــي دار الكتب المصرية وغيرها[3].

٢- كتاب الهيمان :

وهي قصة النطاق وقد ذكرها الخطيب البغدادي وعنوانها قصة الذي ضـــاع هيمانه بمكة، نسخة منه في دار الكتب المصرية/القاهرة [4].

١- الفهرست لابن النديم ص ٣٢٧، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٧٣/١٤ معجم المؤلفين لعمر رضا كحّاله ١٤٧/٩ طبقات الحفاظ ص ٣١١.

٢- سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٧٣/١٤.

٣- الطبري السيرة والتايخ والعزاوي ص ١٣٩.

٤- المرجع السابق ص ١٣٩.

٣- كتاب رسالة التبصير في الدين :

وقد ذكره الذهبي باسم كتاب (التبصير وهي رسالة إلى أهل طبرستان يشرح فيها ما تقلده من أصول الدين[١] وهو في مخطوط اسكوريال ثاني[٢].

٤- كتاب القراءات:[٣]

وقد ذكره ياقوت باسم كتاب (القراءات) ومرة اخرى باسم كتاب (القراءات وتنزيل القرآن) ومرة ثالثة باسم كتاب (الفصل بين القراءة ...) وهو يشتمل على كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام لأنه كان عنده عن أحمد ابن يوسف الثعلبي عنه. وعليه بني كتابه [٤].

وله ايضا كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام وكتاب الخفيف في أحكام شرائع الإسلام وكتاب تاريخ الرَجال وكتاب البسيط وهو كتاب عظيم خرج منه كتاب الطهارة واكثر كتاب الصلاة وآداب الحكام وكتاب المحاضر والسجلات وكتاب مراتب العلماء وكتاب المناسك وله أيضا كتاب الفضائل وتكلم فيه على تصحيح حديث غدير خم[٥].

١- سير اعلام النبلاء ٢٧٣/١٤.

٢- الطبري السيرة والتاريخ ص ١٤٠.

٣- الفهرست لابن النديم ص ٣٢٧، سير اعلام النبلاء ٢٧٣/١٤.

٤- انظر الطبري السيرة والتاريخ ص ١٤٠.

٥- سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٧٣/١٤ -٢٧٤.

ثانياً : الآثار المفقــودة :

وهناك كثير من الكتب التي ذكرها العلماء منسوبة للإمام الطبري مفقـــودة، منها ما سبق ذكرها مثل كتاب آداب المناسك، وكتاب المحاضر والسجلات، وكتاب الصلاة، وكتاب الطهارة، وكتاب مراتب العلماء، والذي يظهر هنا أن هذه الكتـــب المذكورة هي أبواب من كتاب المبسوط والله أعلم، حيث ذكر الذهبـــي فـــي سـير أعلام النبلاء أنها أبواب من كتابه المبسوط.

وأما ما هو منسوب له أيضا، فهناك كتب كثيرة منها :

كتاب اختيار الأقاويل وكتاب الأدر في الأصول، وكتاب الإعتذار للحنابلـــة، وكتاب آداب النفوس، وكتاب الخفيف في أحكام شرائع الإسلام، وكتـــاب بسـيط القول في أحكام شرائع الإسلام وكتاب الدلالة على النبوة، وكتاب الــرد علـى ذي الأسفار، وكتاب الشرب، وكتاب الشروطَ او كتاب أمثلة العدول، وكتـــاب طـرق الحديث، وكتاب الفتوى، وكتاب اللباس، وكتاب اللطيف في أحكام شرائع الإســلام، وكتاب مختصر الفرائض، وكتاب المسترشد، وكتاب المســـند المجـرد، وكتـاب الوصايا، وكتاب الوقف وكتاب الموجز في الأصول وغيرها(١).

المطلب الرابع - تفسيره والتعريف به ومنهجه بوجه عام.

أ- التعريف بالتفسير

يسمى تفسـير الطـبري ب " **جـامع البيـان عـن تـأويل القـرآن** " أو " **كتاب التفسير** " أو كتاب تفسير محمد بن جرير الطبري، كما تقدم فـــي الفصـل السابق، وهو من أجل التفاسير وأعظمها على الاطلاق، حيث ان التفسير عمومـــا

١- انظر الطبري السيرة والتاريخ د. عبد الرحمن العزاوي ص ١٥١ - ١٦٢.

كان عندما انتهى إلى الطبري في أوائل القرن الثالث نهرا مزبدا ذا ركام ورواسب، قد انصَب إلى بحر خضم عباب فامتزج بمائة وتشرب عناصره وصفا إليه زبده وتطهر لديه من ركامه ورواسبه[1].

وقد نقل الذهبي رحمه الله في قصة تصنيفه عن هارون بن عبد العزيز قال : (قال أبو جعفر. استخرت الله وسألته العون فيما نويته من تصنيف التفسير قبل أن أعمله ثلاث سنين فأعانني)[2].

وحدث القاضي أبو عبد الله القضاعي : حدثنا علي بن نصر بن الصبّاح حدثنا أبو عمر عبيد الله بن السمار وأبو القاسم بن عقيل الوراق.

أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه :

(انتشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا: قالوا كم يكون قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا : هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه ! فقال : إنا لله! ماتت الهمم. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولما أن أراد أن يملي التفسير قال لهم نحوا من ذلك ، ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ[3].

ولَما كان الإمام الطبري جامعا لأطراف العلوم الحديثية والفقهية والنحوية والعروضية والتاريخية والقراءات كما تقدم، فقد جاء تفسيره دائرة معارف غنية بالتفسير بالمأثور، زاخرة بأقوال الفقهاء، وتوجيهها وترجيح الراجح منها عنده، مستدلا على ما ذهب إليه باللغة والنحو وأشعار العرب.

١- التفسير ورجاله محمد الفاضل بن عاشور ص ٤٧/دار الكتب الشرقية/تونس/ الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

٢- سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٧٤/١٤.

٣- المرجع نفسه ،٧٤/١٤، طبقات المفسرين للداوودي ١١٧/٢.

وتفسير الإمام الطبري يعتبر من أقوم التفاسير وأشهرها كما يعتبر الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي وإن كان في الوقت نفسه مرجعا غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي نظرا لما فيه من الاستنباط وتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض ترجيحا يعتمد على النظر العقلي والبحث الحر الدقيق[1].

بل إن البعض يرى أن الأساس فيه هو أنه تفسير يغلب عليه الجانب العقلي فيقول محمد الفاضل بن عاشور:

وبهذه الطريقة أصبح تفسير ابن جرير الطبري تفسيرا علميا يغلب فيه جانب الأنظار غلبة واضحة على جانب الآثار، حتى أنه لو اقتصر فنَه على مجرد عزو الأقوال المتخالفة لأربابها وجرد عن طويل الأسانيد وتكررها لبقي وافيا تمام الوفاء بما يقصد له من كشف دقائق المعاني القرآنية، وما يستخرج منها من الحكم والأحكام على اختلاف المذاهب والآراء ... إلى أن يقول :

فلذلك يصح أن نعتبره تحولا في منهج التفسير، ذا أثر بعيد قطع به التفسير ما كان يربطه إلى علم الحديث من تبعية ملزمه، ... وأن الذين يعتبرون تفسير الطبري تفسيرا أثريا أو من صنف التفسير بالمأثور إنما يقتصرون على النظر إلى ظاهره بما فيه من كثرة الحديث والإسناد، ولا يتدبرون في طريقته وغاياته التي يصرّح بها من إيراد تلك الأسانيد المصنّفة المرّتبة الممحّصة.

فليس غريبا إذاً أن تكون لهذا التفسير منزلة عظيمة عند العلماء الذين اتفقوا على جلالة قدره، وأنه لا غنى لطالب التفسير عنه، وفي هذا يقول ابن النديم:

١- التفسير والمفسرين دكتور محمد حسين الذهبي ٢٠٧/١.

(لم يعمل احسن منه). وقال عنه أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفراييني.

لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصّل تفسير محمد بن جرير الطبري لم يكن كثيرا.

وقال الخطيب : لم يصنف أحمد مثله.

قال الحاكم :

(سمعت أبا بكر بن بالويه يقول : قال لي أبو بكر بن خزيمة: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير قلت : بلى، كتبة عنه إملاء، قال كله؟ قلت نعم، قال في أي سنة؟ قلت : من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين ومائتين: قال فاستعاره مني أبو بكر، ثم ردّه بعد سنين، ثم قال: لقد نظرت فيه من أوّله إلى آخره وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير ولقد ظلمته الحنابلة[١]. وقال النووي " أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري[٢].

وهذه الشهادة للدَلالة على ما في هذا الكتاب من علم غزير واسع كما ذكر الدكتور الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون ، والكتاب يقع في ثلاثين جزءا من الحجم الكبير[٣] مطبوع في اثني عشر مجلدا.

ب- منهجه في التفسير بوجه عام

لقد درج الإمام الحافظ محمد بن جرير الطبري في تأليف كتابه على منهج علمي لم يسبق إليه في تحقيق دلالات القرآن وبيان معانيه بحيث يتتبع مطالعة

١- سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٧٣/١٤.

٢- الإتقان في علوم القران للسيوطي ١٩٠/٢ .

٣- التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي ٢٠٧/١ ، ٢٠٨.

ألفاظ القرآن كلمة كلمة وآية آية وقد اختار للدلالة على صنيعه كلمة ما كان يختارها متعاطو التفسير من قبله وهي كلمة التأويل والتي التزمها في ترجمة كل فصل من فصوله من المقدمات الواسعة المبسوطة إلى كلامه في تأويل الإستعاذه ثم البسملة إلى فيوض بياناته على الآيات معنونا كلا منها على طريقة ملتزمة مطردة بقوله : " القول في تأويل قوله تعالى كذا "[١] .

وقد ابتدأ كتابه بخطبة ورسالة في التفسير بينّ فيها ما خصَ الله به هذا القرآن من الإعجاز والبلاغة والفصاحة التي باين بها القرآن سائر الكلام، ثم ذكر مقدمات في الكلام في التفسير وفي وجوه تأويل القرآن وبيان الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرهم من بعض أجناس الأمم وبيان القول في اللَغة التي نزل فيها القرآن من لغات العرب وبيان أن القرآن أنزل على سبعة احرف والردّ على من قال : إن فيه أشياء من غير الكلام العربي وذكر الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن ثم ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي ثم ذكر بعض الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة، ثم ذكر بعض الأخبار التي غلط في تأويلها منكرو القول في تأويل القرآن ثم القول في تأويل أسماء القرآن وسورة وآية بحيث بدأ يتتبع مطالعة ألفاظه كلمة كلمة وآية اية فبدأ بتفسير الإستعاذة ثم الفاتحة وهكذا[٢].

وقد كان الطبري رحمه الله تعالى يبدأ بتفسير الآية برأيه ثم يبدأ بالإستشهاد على ما قاله بما يرويه بسنده عن السلف من الصحابة والتابعين قائلا: " وبمثل الذي

١- التفسير ورجاله محمد الفاضل بن عاشور ص ٤٩.

٢- أنظر التفسير الطبري ١/ ٢ -٣٨.

قلنا من ذلك قال أهل التأويل " هذا إذا كان المعنى متفقا عليه أما إذا كان المعنى غير متفق عليه فيقول :" وبمثل الذي قلنا من ذلك قال جماعة من أهل التأويل(١) ولا بد هنا من بيان موقف الطبري من بعض القضايا وهي:

أولاً : موقفه من التفسير بالرأي :

صنف كثير من أهل العلم تفسير الطبري على أنه من الكتب التي أخذت بالمأثور، بل وظن أنه يقتصر عليه، وذلك أن الذين يعتبرون تفسير الطبري تفسيرا أثريا أو من صنف التفسير بالمأثور إنما يقتصرون على النظر إلى ظاهره بما فيه من كثرة الأحاديث والإسناد(٢)، وكذلك بالنظر إلى المقدمة التي ذكر فيها بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي حيث يذكر رحمه الله تعالى جملة من الروايات بهذا الخصوص منها قوله (وحدثنا أبو كريب قال : حدثنا محمد بن بشر وقبيصه عن سفيان عن عبد الأعلى قال : حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال: رسول الله ﷺ: (من قال في القرآن بغير علم فليبتؤا مقعده من النار(٣)) وقال أيضا، حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن ليث عن بكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال من تكلم في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) (٤) وغيرها من الروايات.

١- التفسير ورجاله محمد الطاهر بن عاشور ص ٥٢.

٢- المرجع السابق ص ٥٥.

٣- رواه الترمذي في التفسير ١٩٩/٥ برقم ٢٩٥٠ وقال الترمذي حديث حسن صحيح رواه أبو داوود في الفضائل وغيرهم انظر فيض القدير ٦/ ١٩٠ وصححه السيوطي .

٤- رواه الترمذي عن ابن عباس (وصححه المناوي)، داوود في باب العلم.

ثم يخلص الطبري إلى القول:

(قال أبو جعفر وهذه الأخبار شاهدة على صحة ما قلنا من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه بل القائل في ذلك برأيه وإن اصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله برأيه لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق وإنما هو إصابة خارص وظان والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم .. وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده فقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (1)، فالقائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله ﷺ الذي جعل الله إليه بيانه قائل بما لا يعلم وإن وافق قيله ذلك في تأويل ما أراد الله به من معناه لأن القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا يعلم وهذا هو معنى الخبر الذي حدثنا به ابن العباس بن عبد العظيم العنبري وبسنده عن جندب أن رسول الله ﷺ قال :" من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ "(2) يعني ﷺ أنه أخطأ في فعله بقيله برأيه وإن وافق قيله ذلك عين الصواب عند الله لأن قيله فيه برأيه ليس بقيل عالم أن الذي قال فيه من قول حق وصواب) (3)

1- الآية (33) من سورة الأعراف.

2- رواه الثلاثة عن جندب الإمام أحمد 233/1 الطبراني في الكبر 175/2 والبغوي في شرح السنة 258/1 وأبو داود برقم 3652.

3- أنظر تفسير الطبري 26/1 -27.

من خلال ما تقدم ونقلناه من هذه المقدمة في تفسير الطبري يتضح أن ما ذكره الطبري رحمه الله تعالى لم يكن مرادا به كل من قال في تفسير القرآن برأيه وإنما كان ذمه على من يقول برأيه بالشروط التالية:

أ- فيما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ أو بنصبه الدلالة عليه.

ب- القائل في تأويل القرآن بغير علم، مستقلا في التفكير دون الرجوع إلى العلم الراجع للصحابة رضوان الله عليهم أو لتابعين، والمنقول عنهم نقلا مستفيضا.

ثم إن الناظر في تفسير الطبري رحمه الله تعالى يرى أن الطبري نفسه كان عندما ينتصب للقول في تأويل الآية يسردها ثم يقول يعني تعالى بذلك" ويفصح ببيانه المعنى المراد معتمدا ربط السياق والعود بمراجع الكلام إلى معاقدها الواردة في مواضيع أخرى من القرآن العظيم ومتمسكا بما يدور عليه المعنى من دلالة المفردات اللغوية على المعاني التي هي مستعملة فيها ببيان المعنى الأصلي للمفرد والمعنى المنقول إليه مع بيان مناسبة النقل والإستشهاد بالشعر العربي، ثم ينتقل إلى دعم ما ذهب إليه بما ينقل عن المتكلمين في التفسير من قبله[1] وإذا كان في الآية قولان أو اكثر فإنه يعرض لكل ما قيل ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة[2]. مثال ذلك من تفسيره رحمه الله : (القول في تأويل قوله جل ثناؤه).

١- التفسير ورجاله محمد الفاضل بن عاشور ص ٥١.

٢- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ٢١٠/١.

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ﴾ [1] قال أبو جعفر والسفهاء جمع سفيه ثم يبين المعاني للألفاظ إلى ان يقول كالذي حدثني به موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماد ..الخ ثم يذكر مجموعة من الروايات في تفسير الآية[2].

ثانياً : موقفه من القراءات:

الإمام الطبري رحمه الله تعالى عالم بالقراءات كما تقدم وقد ألف كتابا مستقلا بهذا الموضوع، وقد كان رحمه الله تعالى يعنى بذكر القراءات في تفسيره وينزلها على المعاني المختلفة[3] إلا أن الطبري رحمه الله تعالى كان يختار قراءة منها ويرجحها على غيرها وإن كانت المرجوحة من القراءات السبعية أو العشرية وهذا مما أخذه العلماء عليه رحمه الله تعالى ومثال ذلك ترجيحه لقراءة "ملك" على قراءة " مالك " في سورة الفاتحة وقد استدل لرأيه بقوة حيث يقول في ذلك "قال ابو جعفر وأولى التأويلين بالآية وأصح القراءتين في التلاوة عندي التأويل الأول وهي قراءة من قرأ " ملك " بمعنى **(الملك)** لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك إيجابا لانفراده بالملك، وفضيلة زيادة الملك على المالك، إذ كان معلوما أن لا ملك إلا وهو مالك وقد يكون المالك لا ملكا. وبعد فإن الله جل ذكره قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ أنه مالك جميع العالمين، وسيدهم ومصلحهم، والناظر لهم،والرحيم بهم في الدنيا والآخرة بقوله رب

١- انظر تفسير الطبري ١/١٠١.

٢- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١/٢١٤.

٣- نفس المصدر السابق.

العالمين، فأولى الصفات من صفاته جلّ ذكره أن يتبع ذلك ما لم يحوه قوله : ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة إذ كانت حكمته الحكمه التي لا تشبهها حكمة وكان في إعادة وصفه به في قوله ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ مع تقارب الآيتين وتجاور الصفين وكان في إعادة ذلك تكرار ألفاظ مختلفة بمعان متفقة لا تفيد السامع ما كرر منه فائدة به إليها حاجة[١].

ثالثاً : موقفه من الأحكام الفقهية :

كان الامام الطبري رحمه الله تعالى يهتم كثيرا بالاحكام الفقهية، والدراس لهذا التفسير يرى آثارا للأحكام الفقهية يعالج فيها ابن جرير أقوال العلماء ومذاهبهم ويخلص من ذلك كله برأي يختاره لنفسه[٢].

وقد كان يعتبر ذلك عنصرا لا غنى للتفسير عنه قوي الإعتماد عليه وملائمة الأنظار من الأقوال فكثيراً ما يرد حديثا في تأويل آية بأنه خلاف ما تقرر عند الفقهاء من الحكم[٣]، مثال ذلك ما نصه: عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾[٤].

١- انظر تفسير الطبري ١/٥٠.

٢- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١/٢١٩.

٣- التفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور ص ٥٣.

٤- الآية (١٨٤) من سورة البقرة.

قال حدثني المثنى قال حدثنا الحجاج قال حدثنا حماد عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ قال هم الذين يتكلفونه ولا يطيقونه الشيخ والشيخة.

وبسنده عن عكرمة أنه كان يقرؤها وعلى الذين يطيقونه فأفطروا.

وبسنده ايضا عن ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله وعلى الذين يطيقونه قال بلغنا أن الكبير إذا لم يستطع الصوم يفتدى من كل يوم بمسكين، قلت الكبير الذي لا يستطيع الصوم، هو الذي لا يستطيعه إلا بالجهد قال بل الكبير الذي لا يستطيعه بجهد ولا بشيء، أما من استطاع بجهد فليصمه ولا عذر له في تركه.

وبسنده عن عبدالله بن أبي يزيد ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ ﴾ الآية كان يعني الشيخ الكبير.

قال ابن جريج : وأخبرني ابن طاووس عن ابيه أنه كان يقول نزلت في الكبير الذي لا يستطيع صيام رمضان فيفتدى من كل يوم بطعام مسكين)... أ هـ.

ثم يخلص بعد ذلك إلى القول : وأولى الأقوال في تأويل الآية قول من قال ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ منسوخ بقوله تعالى ذكره ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ لأن الهاء في قوله وعلى الذين يطيقونه من ذكر الصيام، ومعناه وعلى الذين يطيقون الصيام فدية طعام مسكين فإذا كان كذلك وكان الجميع من أهل الإسلام مجمعين على أن من كان مطيقا من الرجال الأصحاء المقيمين غير المسافرين صوم شهر رمضان فغير جائز له الإفطار

والإفتداء منه بطعام مسكين كان معلوما أن الآية منسوخة هذا مع ما يؤيد هذا القول من الأخبار التي ذكرناها وهي قوله (حدثني محمد بن عمر وقال ثنا عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعطاء عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ ﴾ قال يكلفونه فدية طعام مسكين واحد قال فهذه الآية منسوخة لا يرخص فيها إلا للكبير الذي لا يطيق الصيام أو مريض يعلم أنه لا يشفى)[1]

رابعاً : موقفه من الشعر والمعروف من كلام العرب:

كان الإمام الطبري رحمه الله تعالى يرجع إلى شواهد الشعر العربي القديم بشكل واسع متبعا في ذلك ما أثاره ابن عباس في ذلك[2]، إلى جانب الإستعمالات اللغوية بجانب النقول المأثورة وجعلها مرجعا موثوقا به عند تفسير العبارات المشكوك فيها[3].

ومن الأمثلة على استعماله للشعر والمعنى اللغوي معا ما نصه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ [4].

١- انظر تفسير الطبري ٢/٨١ - ٨٢.

٢- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١/٢١٧.

٣- المرجع نفسه .

٤- الآية (٦٠) من سورة الانعام .

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ قل لهم يا محمد والله أعلم بالظالمين والله هو الذي يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسادكم ويعلم ما جرحتم بالنهار يقول ويعلم ما كسبتم من الاعمال بالنهار ومعنى التوفي من كلام العرب استيفاء العدد كما قال الشاعر:

إن بني آدم ليسوا من أحد   لا توفاهم قريش في العدد [1].

خامساً : موقفه من الإجماع :

للإجماع سلطان كبير على رأي الإمام الطبري وفيما يذهب إليه وقد ذكر ذلك الدكتور الذهبي فقال بأن ابن جرير في تفسيره يقدر إجماع الأمة ويعطيه سلطانا كبيرا في اختيار ما يذهب إليه من التفسير[2] مثال ذلك:

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ،في سورة الفاتحة قال ما نصه:

(قال أبو جعفر أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وكذلك في لغة العرب[3]. ... ولذلك لم يذكر لنفسه رأيا لورود الإجماع على هذا المعنى .

سادساً : موقفه من الإسرائيليات :

لقد أخذ الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره من القصص الإسرائيلي وكان يرويها بإسناده إلى كعب الأحبار ووهب بن منيه وابن جريج والسدي

١- انظر تفسير الطبري ١٣٧/٥.

٢- التفسير والمفسرون للدتور محمد حسين الذهبي ٢١٣/١.

٣- انظر تفسير الطبري ٥٧/١.

وغيرهم[١] ومثاله ما رواه السدي بسنده عن ابن جريج وقال ابن عباس لما دخلوا الباب قالوا حبة في شعيرة في تفسير قوله تعالى[٢] ﴿وقالوا حطة﴾ وما رواه بسنده أيضا عن ابن جريج عن عطاء ومجاهد قوله " فومها " قال الحنطة[٣] إلى غير ذلك من الروايات.

سابعاً : موقفه من علم الكلام:

كان الإمام الطبري عالما ممتازا بأمور العقيدة وقد ألف كتابا بهذا الخصوص وهو رسالته إلى أهل طبرستان كما تقدم ذكره ولذلك نرى أنه تعرض في تفسيره لبعض النواحي الكلامية عند كثير من آيات القرآن مما يشهد بأنه كان ممتازا في أمور العقيدة فهو إذا ما طبق أصول العقائد على ما يتفق مع الآية أفاد في تطبيقه[٤] مثال ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [٥] قال أبو جعفر الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه ذكر خمسة منها... ثم قال ومنها العلو والارتفاع كقوله القائل استوى فلان على سريره يعني به علوه عليه وأولى المعاني بقوله جل ثناؤه ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ . علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله ثم استوى إلى السماء

١- انظر التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ٢١٤/١ - ٢١٥.
٢- انظر تفسير الطبري ٢٤٢/١.
٣- أنظر تفسير الطبري ٢٤٦/١.
٤- التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي ٢٢٠/١.
٥- الآية (٢٩) من سورة البقرة.

الذي هو بمعنى العلو والإرتفاع هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوّله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوّله بالمجهول من تأويله المستنكر ثم لم ينج مما هرب منه فيقال له زعمت أن تأويل قوله استوى أقبل أفكان مدبرا عن السماء فاقبل إليها فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير قيل له فكذلك فقل علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال. ثم لن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه لأنبأنا عن فساد قول كل قائل في ذلك قولا لقول أهل الحق فيه مخالفا وفيما بيّنا منه ما يشرف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى[١]. هذا بالإضافة إلى أن الإمام الطبري رحمه الله تعالى كان يهتم بمسائل النحو بما يفيد النص ويخدمه في كثير من تأويل آيات القرآن العظيم وكان منصرفا عما لا فائدة منه[٢] . في تأويل الآيات من الأقوال التي للفكر فيها نظر.

١- انظر تفسير الطبري ١/١٥٠ .

٢- انظر التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١/٢١٦، ٢١٨.

المطلب الخامس : محنته مع الحنابلة وأثر ذلك على تفسيره:

استقر الطبري رحمه الله تعالى في آخر حياته في بغداد[١] ولما دخلها وأخذ ينشر فيها كتبه، ويصنف ما جمعه من المعلومات في رحلاته ويقرر مذهبه الذي انتهى إليه، وفكره الذي وصل إليه بعد لقاء الشيوخ وتمحيص الأقوال وتحقيق الآثار والأحاديث للخلوص بعد ذلك إلى مذهبه الجريري المستقل ببغداد مما أدى إلى أن يواجه مشكلة عظيمة.

وهي التعصب المذهبي (**معارضة الحنابلة**) والذين كانوا لا يحصون كثرة في بغداد كما ذكر ذلك ابن الأثير في كتابه الكامل فشغبوا عليه وقالوا فيه ما أرادوا[٢] ووقعوا فيه[٣]، ولهذه العداوة أسبابها نذكر من هذه الأسباب ما يلي:-

الأول : أن ابن جرير رحمه الله تعالى كان قد وصل بعد التمحيص والبحث إلى أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى كان حافظا محدثا ولم يكن فقيها ولذلك لمَا صنف الإمام الطبري كتابه " **اختلاف الفقهاء** " كما تقدم لم يذكر فيه الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى، وهذا رأيه الذي وصل إليه وكان يؤيد ذلك أن الإمام أحمد لم يصنف كتابا واحدا في الفقه إنما كان همه رحمه الله تعالى الحديث، وتمييز صحيحه من ضعيفه، ويثبت ذلك وقائع لا تحصر مذكورة في عدة كتب منها في ترجمته في " سير أعلام النبلاء" للذهبي[٤].

---

١ - سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٦٩/١٤.

٢ - الكامل في التاريخ لابن الاثير ١٣٤/٨.

٣ - انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ١٨٨/١١، ١٨٩.

٤ - الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٣٤/٨.

فلمّا لم يذكر الإمام بن جرير الطبري رحمه الله تعالى قول الإمام أحمد بين أقوال العلماء والفقهاء في كتابه المذكور سأله الحنابلة لِمَ لَم تذكر إمامنا في الكتاب؟

فقال لهم : لم يكن فقيها، وإنما كان محدثا فاشتدّ ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون كثرة في بغداد فشغبوا عليه وقالوا ما أرادوا[١].

وثارت ثائرتهم عليه وحاربوه ومنعوه من الخروج من بيته ورموه بالحجارة حتى جاء صاحب الشرطة ومعه ألوف من الجند يمنع عنه العامه وهم الناس الذين أثارتهم الحنابلة وحرّضوهم عليه وقادوهم في محاربته والكيد له وقد شهد الأئمة على ذلك وأن الحافظ المفسّر الفقيه الإمام الجليل محمد ابن جرير الطبري قد ظلم من قبل الحنابله.

قال أبو بكر بن خزيمة (ولقد ظلمته الحنابلة) [٢].

الثاني : أن الطبري رحمه الله تعالى قد أظهر مذهب الإمام الشافعي ببغداد عشر سنوات كما ذكر ذلك الفرغاني : فقال وحدثني هارون بن عبد العزيز : قال لي أبو جعفر الطبري: أظهرت مذهب الشافعي واقتديت به ببغداد عشر سنين وتلقاه مني ابن بشار الأحول أستاذ ابن سريج[٣] ثم ما لبث بعد ذلك أن استقل بمذهبه الجريري قال هارون فلما اتسع علمه أداه اجتهاده وبحثه إلى ما اختاره في كتبه[٤].

---

١ - سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٧٤/١٤.

٢ - المرجع نفسه ٢٧٥/١٤.

٣ - المرجع نفسه ٢٧٥/١٤.

٤ - الحرقوسيه نسبة الى الامام احمد بن حنبل ذلك لأنه رحمه الله تعالى من بني حرقوس،أنظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي/ دكتور حسن إبراهيم ٣٤٩/٣.

الثالث : لأنه ألف كتابا في الرّد على الحرقوسية[1] **(أي الحنابلة)** وكان على رأس الحنابلة الذين ألبوا العامة على ابن جرير وحرّضوهم عليه وقادوا تلك الفتنة الحافظ أبو بكر بن أبي داوود.

قال الذهبي في السير (وكانت الحنابلة حزب ابي بكر بن أبي داوود، فكثروا وشغبوا على ابن جرير ، وناله أذى ولزم بيته، نعوذ بالله من الهوى) [2].

وقال الحافظ ابن الأثير في الكامل(وكانت الحنابلة تمنع من الدخول عليه) [3].

وقال ابن كثير (ومن الجهلة من رماه بالإلحاد وحاشاه من ذلك كله بل كان أحد أئمة الإسلام علما وعملا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وإنما تقلدوا ذلك عن أبي بكر محمد بن داوود الظاهري[4] حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم وبالرفض) [5].

وابو بكر هذا هو عبد الله بن سليمان وسليمان هو الإمام أبو داوود السجستاني صاحب السنن – وقد وصفه أبوه – أبو داوود بأنه كذّاب قال: الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في " **لسان الميزان** " سمعت أبا داوود يقول : ابني عبد الله كذّاب. قال ابن صاعد : كفانا ما قاله أبوه فيه. ثم قال ابن عدي : سمعت موسى بن القاسم بن الأشيب يقول : حدثني أبو بكر

---

١ – سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٧٧/١٤.

٢ – الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٣٥/٨.

٣ – ظن ابن كثير أن أبا بكر هو بن محمد بن داود الظاهري الفقيه والصواب أنه ابن أبي داود السجستاني صاحب السنن كما ذكر ذلك الحافظ بن حجر في لسان الميزان ٣٦٢/٣.

٤ – البداية والنهاية لابن كثير ١٤٦/١١.

٥ – لسان الميزان ابن حجر ٣٦٣/٣ طبعة دار الفكر.

سمعت إبراهيم الأصفهاني يقول : أبو بكر بن أبي داوود كـذّاب. وسـمعت أبا القاسم البغوي، وقد كتب إليه أبو بكر بن ابي داوود رقعة يسأله عن لفـظ حديث لجدّه، فلما قرأ رقعته قال. أنت عندي منسلخ من العلم. وسمعت عبدان يقول . سمعت أبا داوود السجستاني يقول ومن البـلاء أن عبـد الله يطلـب القضاء[1]. أهـ.

وأبو بكر هذا، كان ناصبيا ثم أظهر أنه تاب، ومن ذلك أنـه كـان يتحـدث بمثالب موضوعة مكذوبة في حق سـيدنا علـي رضـي الله عنـه وكـرّم وجهه، من ذلك:

ما ذكره الذهبي وهو قوله:

" سمعت محمد بن الضحّاك بن عمرو بن أبي عاصم يقول: أشهد على محمد بن يحيى بن منده بين يدي الله أنه قال أشهد على أبي بكر بن ابي داوود بين يدي الله أنه قال روى عن الزهري عن عروة قال: (حفيت أظافير فلان مـن كثرة ما كان يتسلق على أزواج النبي ﷺ) [2].أ هـ وبسبب ذلـك رد عليـه الحافظ محمد بن جرير الطبري وصنف كتابا ذكر فيه تصحيح حديث غديـر خم الذي فيه ذكر فضل سيدنا علي رضي الله عنه وكرم وجهه وهـو قولـه ﷺ : (من كنت مولاه فعليّ مولاه) [3].

---

١ - لسان الميزان ابن حجر ٣٦٣/٣ طبعة دار الفكر.

٢ - لسان الميزان ابن حجر ٣٦٤/٣. وقد كان يعنى بقوله "فلان" سيدنا علي بن أبـي طـالب كـرم الله وجه، وهذا ظاهر يؤكده أن الحافظ ابن حجر نقل بعد ذلك بأسطر عن أبي بكر بن أبـي داوود أنـه قال بعد ما تاب عن ذلك:

كل الناس في حل، إلا من رماني ببغض علي بن ابي طالب رضي الله عنه.

٣ - قال في فيض القدير ٢١٧/٦، رواه أحمد عن البراء وعن بريده (ت،ن، والضياء عن زيد بن أرقـم وقال (ح) وقال ابن حجر حديث كثير الطرق استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد منها صحاح ومنـها حسان وقال الهيثمي رجال أحمد ثقات وقال في موضع آخر رجاله رجال الصحيح.

قال الذهبي : في السير (ولما بلغه-أي ابن جرير الطبري-أن أبا بكر بن أبي داوود تكلم في حديث غدير خم، عمل كتاب الفضائل "فبدأ بفضل أبي بكر، ثم عمر، وتكلّم على تصحيح حديث غدير خم، واحتج لتصحيحه ولم يتم الكتاب[١].

وقد كان ابن جرير ممن لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظم ما لحقه من الأذى والشناعات، من جاهل، وحاسد وملحد فأما أهل الدين فغير منكرين علمه وزهده في الدنيا ورفضه لها وقناعته رحمه الله تعالى بما كان يرد عليه من حصته في ضيعة خلفها له أبوه بطبرستان يسيره[٢].أ هـ.

وقيل لابن جرير: إن أبا بكر بن أبي داوود يملي في مناقب علي رضي الله عنه، فقال تكبيرة من حارس[٣].

وإنما ذكرنا أقوال العلماء في أبي بكر بن أبي داوود وقدمنا إشارة الذهبي له بالهوى. لمعاداته لابن جرير ولانه سبب محنته مع الحنابلة وقد أشاع هذا الرجل- ابو بكر- علي ابي جعفر رحمه الله تعالى أمورا عديدة منها :

رميه بالإلحاد،

ومنها رميه بالرفض،

ومنها رميه بالتشيع ومنها أنه كان يتفق مع المعتزلة بعض الإتفاق[٤].

---

١ - سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٧٤/١٤.

٢ - انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٣٦/٨ والسير للذهبي ٢٧٤/١٤.

٣ - سير أعلام النبلاء ٢٧٧/١٤.

٤ - البداية والنهاية لابن كثير ١٤٦/١١، الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٣٤/٨.

ورغم كل هذه المعاداة فقد بقي ابن جرير صابرا على محنته هذه ثابتا على عقيدته ومذهبه مع محاولته أحيانا إيضاح موقفه من إمامهم وإرضائهم إلا أنهم ما ازدادوا عليه إلا حقدا وله إلا أذى.

ومن موقفه المصرح بثقته بذاته وإحقاقا للحق الف كتابا في الإعتذار للحنابلة لا لضعفه وإنما لتوضيح رأيه وحكمته في ذلك [١].

وبقي الحنابلة على موقفهم في عدائه حتى توفي رحمه الله تعالى ودفن في داره ليلا خوفا من الحنابلة لأن العامة منهم اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً [٢] إلا أن الناس لمّا علموا بذلك اجتمعوا من سائر الأقطار وصلّوا عليه بداره التي دفن بها ومكث الناس يترددون إلى قبره شهورا يصلّون عليه[٣].

وهذا الحقد عليه يصوّر مدى المعاناة التي عاناها ابن جرير الطبري رحمه الله، ومدى الأذى الذي لحق به منهم مما حمله على التأليف في الاعتذار منهم، ومجاملتهم بعض الشيء، ونحن نعلم أن كتاب التفسير قد أملاه الطبري كما ذكر ذلك الذهبي في سير اعلام النبلاء وقد تقدم ذكره سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين ومئتين[٤]، وهذا يعني أنه أملاه في بغداد في أواخر حياته وكل من طالع في تفسيره يلمس، حقيقة ثابتة لا يمكن تجاهلها وهي أن الحافظ ابن جرير لم يكن راوية حديث وأخبار يؤدي ما يحفظ فقط، بل كان عالما ممحصا للأقوال محققا للآثار لا سيما وأنه من أئمة الإجتهاد ومن اولى النظر والفهم، لذلك نجده في تفسيره يعطي المعنى

---

١ – معجم الأدباء ٥٩/١٨.

٢ – انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٣٤/٨، البداية والنهاية لابن كثير ١٤٦/١١.

٣ – انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٤٧/١١.

٤ – سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٧٣/١٤.

المراد من وراء الآية ويذكر ما يتعلق بها من الأخبار والآثار بسرد الأقوال المختلفة في تأويلها ثم يقرر رأيه في المعنى مدللا على ذلك كما تقدم ذكره من خلال منهجه.

ونحن إذ نطالع تفسير الإمام الطبري رحمه الله تعالى خصوصا في آيات الصفات نجده يجمع الأقوال المختلفة في تأويلها ونجده في بعض الأحيان مؤولا دون تراجع وفي بعض الأحيان يوجد في عباراته ما يدل على تراجعه مجاملة لغيره. وأن هناك من العلماء من تكلم في ذلك ومنهم العلامة المحدث محمد زاهد الكوثري حيث يقول ما نصه .ولم ينفع سعيه في إرضائهم بإدخال كليمات في تفسيره وفي بعض كتبه الأخر، والمكره له أحكام، والحكاية مبسوطة في تجارب الأمم لابن مسكويه ومعجم الأدباء لياقوت وكامل ابن الأثير)[1].

ومن الأمثلة على التأويل عند الإمام الطبري ما نصه :

القول فيْ تأويل قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [2] اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الآية أنه وسع السموات والأرض فقال بعضهم هو علم الله تعالى ذكره وذكر من قال ذلك بسنده عن ابن عباس وسع كرسيه قال كرسيه علمه[3].

---

١ - مقالات الكوثري المحدث محمد زاهد الكوثري ص ٣١٧.

٢ - الآية(٢٥٥) من سورة البقرة .

٣ - اخرجه البيهقي في الأسماء والصفات فقال وروينا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال علمه/ ص ٣٩٢ الطبري ٧/٣ الجزء الثالث.

وبسند آخر عن ابن عباس مثله وزاد ألا ترى قوله ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾[1] وقال آخرون الكرسي موضع القدمين وذكر أسانيده بذلك إلى أن يقول :

قال أبو جعفر ولكل قول من هذه الأقوال وجه ومذهب غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثني به عبد الله بن أبي زياد القطواني قال ثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق بن عبد الله بن خليفة قال أتت امرأة النبي ﷺ فقالت أدع الله أن يدخلني الجنة فعظم الرب تعالى ذكره ثم قال :

إن ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾ وأنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال بأصابعه فجمعها وإن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد من ثقله[2]، حدثني عبد الله بن أبي زياد قال ثنا يحيى بن أبي بكر عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر عن النبي ﷺ بنحوه[3].

إلى أن يقول وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيره عن سعيد بن جبير عنه أنه قال هو علمه وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾ على أن ذلك فأخبر أنه لا يؤده حفظ ما

---

١ – اخرجه الطبري في جامع البيان ٣/٧/المجلد الثالث.

٢ – رواه البزار(١/٢٩ برقم ٣٩)كشف الأستار وأبو يعلى في مسنده ذكر ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد١٠/٥٩ من طريق أبي إسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفه عن سيدنا عمر مرفوعا.

٣ – الحديث تكلم فيه العلماء كابن الجوزي وقال هذا حديث مختلف جدا والقول مبسوط في المتن.

علم وأحاط به في السموات والأرض وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [١] فأخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شيء فكذلك وسع كرسيه السموات والأرض وأصل الكرسي العلم ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسه[٢].

فما الذي يدعو الإمام الحافظ المحدث الفقيه النحوي صاحب الأفق الواسع أن يقول: (غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله ﷺ ثم يذكر بسنده المتقدم الحديث (إن كرسيه وسع السموات والأرض وأنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ... الخ) وهذا الحديث تكلم فيه العلماء قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى روى الدار قطني من حديث أبي إسحاق عن عمر: (أن امرأة ..) وذكر الحديث ثم قال .

(هذا حديث مختلف جدا، فتارة يروى عن عبدالله بن خليفة عن عمر عن رسول الله ﷺ وتارة عن عمر موقوفا عليه. وقد رواه أبو إسحاق عن ابن خليفة عن ابن عمر قال: (إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرحل وهو موضوع ورواه ابن جرير عن عبد الله بن خليفة كما تقدم وروى أبو بكر المروزي أن ابن خليفة قال:

قال رسول الله ﷺ (الكرسي الذي يجلس عليه الرب ما يفضل منه إلا مقدار أربعة أصابع).

---

١ - الآية (٧) من سورة غافر.

٢ - انظر تفسير الطبري ٣/٧-٨.

قلت : هذا على ضد اللفظ الأول وكل ذلك من تخليط الرواة وسوء الحفظ والأليق فما يفضل منه مقدار أربع أصابع: والمعنى قد ملأه بهيبته وعظمته ويكون هذا ضرب مثل يقرب عظمة الخالق وقول الرواة: إذا قعد وإذا جلس من تغييرهم أو من تعبيرهم بما يظنونه من المعنى كما قال القائل: ثم إستوى على العرش قعد، وإنما قلنا هذا لأن الخالق سبحانه وتعالى لا يجوز أن يوصف بالجلوس على الشيء فيفضل من ذلك الشيء، لإن هذه صفة الأجسام(١).أهـ

كما أن الحديث فيه علتان :

الأولى : أن أبا إسحاق السبيعي اختلط بآخره(٢).

والثانية : أن الذهبي قال عبدالله بن خليفة في "الميزان" لا يكاد يعرف(٣) ، وكذلك قال عنه ابن كثير في سماعه من عمر نظر، وقال عن الحديث ثم منهم من يرويه موقوفا ومرسلا ومنهم من يزيد فيه زيادة غريبة والله أعلم(٤).

فهل يأخذ بحديث هذا حاله متنا وسندا في مسائل العقيدة؟ وهل الإمام الحافظ الفقيه الطبري رحمه الله يمكن أن يأخذ في تفسيره لآيات في الإعتقاد بمثل هذا الحديث؟

ومما يزيد الأمر إثارة للتساؤل أن الإمام الطبري رحمه الله يعود في نهاية تفسير الآية فيقول: ما نصه

---

١ - انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ٢٤٨ تحقيق الشيخ حسن السقاف.

٢ - انظر تقريب التهذيب ٧٣/٢.

٣ - ميزان الإعتدال للذهبي ٤١٤/٢ / دار المعرفة/ بيروت تحقيق علي محمد البجاوي ط١ / ١٣٨٢ هـ.

٤ - البداية والنهاية لابن كثير ١١/١.

(وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس رضي الله عنه الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد عنه أنه قال : هو علمه وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره ﴿ وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ ﴾ ثم يحشد من الأدلة ما يقوى هذا الرأي يذكر دعاء الملائكة وذكر المعنى اللغوي للكرسي والكراسة حيث قال :

(فأخبر أنه لا يؤده حفظ ما علم وأحاط به في السموات والأرض وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فأخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شيء فكذلك وسع كرسيه السموات والأرض وأصل الكرسي العلم،وفيه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة). أ هـ.

مما تقدم نلاحظ أن قولين متضادين للإمام الطبري نفسه قد وردا في تأويل هذه الآية، أما القول الأول فتبين أنه غير مقبول من خلال ما تقدم.

وأما القول الثاني الذي يراه الطبري صوابا والله أعلم وهو ما دلّل عليه، وهذا يثير في النفس أحد أمرين.

الأول : أن القول الأول مدسوس على كتاب الإمام الطبري خصوصا ونحن نعلم فضل الإمام الطبري وعلمه ونعلم أن الأثر المتقدم موضوع كما تقدم. خصوصا وأن المخطوط الوحيد لهذا الكتاب قد وجد في مكتبة أمير حائل والذي طبع على أساسه هذا التفسير وهذا يزيد من إثارة التساؤل في النفس كما ذكر ذلك الدكتور الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون ١/٢٠٧-٢٠٨.

الثاني : أن يكون الإمام الطبري رحمه الله تعالى قد ذكر هذا إرضاء لمن آذاه وألب عليه العامة. والله أعلم.

الفصل الثاني

التأويل والتفويض وآراء العلماء فيها قديما وحديثا

المبحث الأول : معاني التأويل لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : الأدلة على التأويل من الكتاب والسنة

المبحث الثالث : موقف السلف من التأويل بوجه عام

المبحث الرابع : موقف الطبري من التأويل بوجه خاص

المبحث الخامس : التفويض لغة واصطلاحا

المبحث السادس : موقف السلف من التفويض

التأويل والتفويض وآراء العلماء فيها قديما وحديثا

المبحث الأول : معاني التأويل لغة واصطلاحا

أ- معنى التأويل في اللغة:

للتأويل في اللغة معان عـدة منها[١]:

الأول : "الأول" بالتخفيف: بمعنى الرجوع، آل الشيء يؤول أولا ومـــالآ. رجــع، وأول إليه الشيء رجعه، وألت عن الشيء : ارتددت.

الثاني : " أول" بالتشديد " : أوّل الكلام تأوّله: دبّره وقدّره وأوّله وتأوله : فسّره.

الثالث : أن المراد بالتأويل نقل ظاهر اللّفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج الــى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، قاله ابن الأثير.

الرابع : قاله أبو منصور الماتريدي: أولت الشيء تؤوله، إذا جمعتـــه وأصلحتـــه، فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه.

الخامس : التأويل تفسير الرؤيا وفي التنــزيل هذا تأويل رؤياي من قبل[٢].

السادس : من الإيالة، وهو السياسة.

السابع : التأويل: المرجع والمصير مأخوذ من آل يؤول إلى كذا : صار إليه.

---

١ - انظر لسان العرب لابن منظور ٣٢/١٠ -٣٤ .
المعجم الوسيط لمجموعة علماء ٣٢/١.
تاج العروس شرح القاموس : الزبيدي ٣٣١/٣.

٢ - الآية ١٠٠ سورة يوسف.

ب- التأويل في الاصطلاح :

للتأويل في الإصطلاح عدة معان أيضا حيث اختلف العلماء في ذلك على أقوال عدة سنذكر بعضها :

الأول : أن التأويل والتفسير بمعنى واحد، فالتأويل مرادف للتفسير وبه قال بعض السلف مثل مجاهد، فهو يعني بقوله :" إن العلماء يعلمون تأويله" يعني القرآن، وكذلك الطبري رحمه الله تعالى بقوله " القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا " وبقوله " اختلف أهل التأويل في هذه الآية فإن مراده التفسير[١]، وقد ذكر ذلك صراحة فقال: " وأما معنى التأويل عند العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير، وأصله من آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه "[٢] . أهـ

الثاني : أن التأويل معناه توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما يظهر من الأدلة .

وقال الماتريدي: والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا[٣].

ويقول الذهبي : إنه صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به. وهو عند المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة[٤].

---

١ – التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي ١٧/١، مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٥/١ .

٢ – تفسير الطبري ١٢٣/٣ الجزء الثالث.

٣ – الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٧٣/٢.

٤ – التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي ١٨/١.

الثالث : أن التأويل هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وإن كان خبرا فتأويله نفس الشيء المخبر عنه[١].

الرابع : ان التأويل هو نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ. قاله ابن الأثير[٢].

وقال الجرجاني في التعريفات التأويل في الشرع، صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنه مثل قوله تعالى ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ [٣] إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلاً[٤]، وهو قريب من الثالث.

الخامس : أن التأويل والتفسير بينهما عموم وخصوص، وأن التفسير أعم استعمالا من التأويل، وأكثر استعمالا في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها[٥].

والذي تميل إليه النفس أن التأويل مرادف للتفسير من خلال ما تقدم من معانيه في اللغة وما اختاره بعض السلف رضوان الله عليهم، فهو بمعنى التفسير والنسبة بينهما التساوي، ذلك أن الآيات إذا كانت مما اشكل معانيها وأريد إيضاحها

---

١ – المرجع السابق ١٧/١.

٢ – لسان العرب لابن منظور ٣٣/١٠.

٣ – الآية (٣١) من سورة يونس.

٤ – التعريفات للجرجاني ص ٥٠ – ٥١ ط ٣ دار الكتب العلمية بيروت.

٥ – الاتقان في علوم القران للسيوطي ١٧٣/٢.

أو كانت مما يحتمل وجوها من المعاني وأريد ترجيح واحد منـــها أو ممـــا يجـــب صرف ظاهر لفظها إلى غيره مع وجود دليل على ذلك فما الذي يقصده المفســـر؟ أليس إيضاح المعنى المراد من الآية بما هداه الله إليه من الفهم بمـــا تحتملـــه مـــن وجوه اللغة؟ سواء كان ذلك يسمى تفسيرا أو تأويلا، فإن المقصود الوصـــول إلـــى المعنى المراد، والتفسير معناه الإيضاح والتبيين وفي لسان العرب، (فسر الشـــيء أبانه، والتفسير مثله، والفسر كشف المعنى المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل) [١]، وكذلك التأويل كما ذكره أبو منصور الماتريدي أنه جمع معاني ألفـــاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه والذي يراه الطبري في كتابه جامع البيـــان فـــي تفسير القرآن أن التأويل بمعنى التفسير كما تقدم وإن كان هناك اختلاف في المعاني الدقيقة كما بينته سابقا والله أعلم.

وقد ورد لفظ التأويل في القرآن الكريم على عدة معان تتضمن معنى التفسير كما قال أهل العلم بالتفسير نذكر منها.

أولاً : قولـــه تعـــالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [٢]. فهو بـــهذه الآية بمعنى التفسير قالـــه الطـــبري والـــرازي والألوســـي والزمخشـــري والقرطبي [٣].

---

١ – لسان العرب لإبن منظور ٥/٥٥ .

٢ – الآية (٧) من سورة آل عمران.

٣ – انظر تفسير الطبري ٣/١٢٣ جـ٣، تفسير الرازي ٧/١٨٩، تفسير روح المعاني الألوسي ٢/٨٢ ط دار الفكر الكشاف للزمخشري ١/٣٣٨، تفسير القرطبي، ٢/١٥٤ مجلد ٢.

ثانياً : قوله تعــــالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ (١) .

قال الطبري : وقد قيل إن قوله وأحسن تأويلا : أي جزاء ذلك، وذلك الجزاء هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه، ومثله قال القرطبي(٢).

وقال الزمخشري أي أحسن عاقبه وقيل : أحسن من تأويلهم .. ومثله قال أبو حيان، وقاله قتاده والسدي وابن زيد عاقبة، وقيل : أحسن من تأويلكم(٣).

وكل هذا يمكن أن يقال فيه إنه العاقبة والمرجع وحسن التأويل، لأن الأمــور تتكشف على حقيقتها بظهور العاقبة، وبيان ذلك من الله وهذا معنى التفسير.

ثالثاً : قولــه تعــالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ (٤).

قال الطبري :[(إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ) إلا ما يؤول إليه أمرهم من ورودهم على عـذاب الله وصليهم جحيمه وأشباه هذا مما أوعدهم الله به، وقد بينّا معنـــى التــأويل

---

١ – الآية (٥٩) من سورة النساء.

٢ – انظر تفسير الطبري ١٢٣/٣ جـ٣، تفسير القرطبي ٢٦٣/٥.

٣ – انظر الكشاف للزمخشري ٥٢٤/١، البحر المحيط لأبي حيان ٢٧٩/٣.

٤ – الآية (٥٣) من سورة الأعراف.

فيما مضى بشواهده بما أغنى عن إعادته)][1]..وسبق ذكره في الآية الأولى في هذا البحث.

وقال القرطبي : تأويله ترجع إلى الكتاب، وعاقبة الكتاب ما وعد الله فيه من البعث والحساب وقال مجاهد: تأويله جزاؤه أي جزاء تكذيبهم قال قتادة: تأويله عاقبته ومثله قال الزمخشري في كشافه، وهي ترجع إلى معنى الكشف والبيان عن العاقبة التي يؤول إليها المكذبون، ومثله قال أبو حيان[2].

رابعاً : قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾[3].

والتأويل بمعنى التدبر قاله الزمخشري[4] وقال القرطبي : أي لم يأتهم عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم[5].

وقال أبو حيان : وتأويله على هذا يريد به ما يؤول إليه أمره كما هو في قوله ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾[6] وهو بمعنى انكشاف العاقبة ونزول العذاب والله أعلم.

---

١ – انظر تفسير الطبري ١٤٥/٥ الجزء الثامن.

٢ – انظر القرطبي ٢١٧ – ٢١٨/ ٤جـ ٧، الكشاف للزمخشري ١٠٩/٢ البحر المحيط لأبي حيان ٣٠٦/٤.

٣ – الآية (٣٩) من سورة يونس.

٤ – الكشاف للزمخشري ٣٤٨/٢.

٥ – تفسير القرطبي ١٩١/٤ جـ ٩.

٦ – البحر المحيط لأبي حيان ١٥٨/٥ (٤٧).

وهناك آيات كثيرة جاءت في مواقع مثل آيات سورة يوسف،(ويعلمـــك مـــن تأويل الأحاديث) الآية (٦) وقوله (إلا نبأتكما بتأويله) الآية (٣٧) وغيرها وكلها في معنى تفسير الرؤيا وهذا يعني كشفها وبيانها لمن رأى في منامه شيئا وطلب تأويله أي تفسيره- ذكر ذلك أهل التفسير.

المبحث الثاني

الأدلة على التأويل من الكتاب والسنه

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [1].

يقول الامام الحافظ محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى : في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ... الآية ﴾ ما نصه:

وقال آخرون : بل معنى ذلك وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا".

وذكر بسنده من قال ذلك فقال :

حدثني محمد بن عمرو وقال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : " أنا ممن يعلم تأويله" وبسنده عن مجاهد وعن الربيع " ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [2] ... أ هـ.

---

١ - الآية (٧) من سورة آل عمران.

٢ - تفسير الطبري ١٢٢/٣ الجزء الثالث.

ويقول الفخر الرازي في تفسيره عند قوله تعالى:﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ :

(القول الثاني إنما يتم الكلام عند قوله : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [1]، وعلى هذا القول يكون العلم بالمتشابه حاصلا عند الله وعند الراسخين في العلم، وهذا القول أيضا مروي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين[2].

ويقول الآلوسي عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ .... الآية ﴾ : " الآية في موضع ضمير يتبعون باعتباره العلة الأخيرة، أي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله" والحال أن التأويل المطابق للواقع كما يشعر به التعبير بالعلم والإضافة إلى الله تعالى مخصوص به سبحانه وبمن وفقه عزّ شأنه من عباده الراسخين في العلم، أي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه[3].

ومن السنة ما ورد عن الرسول ﷺ انه كان يدعو لابن عباس فيقول "اللهم علمه التأويل"[4]، وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول-كما تقدم- أنا من الراسخين أنا ممن يعلم تأويله[5].

---

١ - الآية (٧) من سورة آل عمران.

٢ - التفسير الكبير للفخر الرازي ، ١٩٠/٧.

٣ - روح المعاني للآلوسي ٨٢/٢

٤ - رواه البخاري / فتح ١٦٩/١.

٥ - المنار محمد رشيد رضا ١٦٧/٣، الطبري ٢٢/٣ ج٣.

فإذا ما أضفنا إلى ما تقدم قـــول الله تعـــالى : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (1) وقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ ﴾ (2)، فما الذي يمكننا قوله؟! هل نثبـــت لله تعالى صفة النسيان ثم نقول نسيان لا كنسياننا ؟! نعوذ بالله من ذلـــك وإن تجــرأ بعض المجسمة الذين أثبتوا لله ما ليس له ولا من صفاته فقالوا ذلك فماذا يكون الرد على قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (3) ؟! فالله عز وجل ينفي صفـــة النسيان عن نفسه بهذه الآية الكريمة، وهل يمكن الجمع بين هذه الآية والآيتين قبلها بغير التأويل؟ لهذا ننقل أقوال علماء التفسير بمعنى النسيان الذي اضافه الله تعـــالى لذاته بقوله ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ وبقوله ﴿ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ ﴾ .

يقول الفخر الرازي في تفسيره :

ثم قال ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ واعلم أن هذا الكلام لا يمكـــن إجــراؤه على ظاهره لأنا لو حملناه على النسيان على الحقيقة لما استحقوا عليـــه ذمـــا، لأن النسيان ليس في وسع البشر، وأيضا فهو في حق الله محال فلا بد من التأويل، وهو من وجهين :

الأول : معناه أنهم تركوا أمره حتى صار بمنـــزلة المنسي، فجازاهم بأن صـــيرهم بمنـــزلة المنسي من ثوابه ورحمته، وجاء هذا على أوجه الكـــلام كقولـــه ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ .

---

1 - الآية (67) من سورة التوبة.

2 - الآية (14) من سورة السجدة.

3 - الآية (64) من سورة مريم.

الثاني : النسيان ضد الذكر، فلما تركوا ذكر الله بالعبادة والثناء على الله، تــرك الله ذكرهم بالرحمة والإحسان، وإنما حسن جعل النسيان كناية عن ترك الذكــر لأن من نسي شيئا لم يذكره، فجعل اسم الملزوم كنايه عن اللازم[١]... أ هـ

ويقول الإمام الحافظ الطبري رحمه الله تعالى :

وأما قوله : (نسوا الله فنسيهم، فإن معناه تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمـره فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته[٢].

ويقول القرطبي :

النسيان هنا الترك،أي تركوا ما أمرهم الله به فتركهم الله في الشك[٣].

وكذلك ذكره الزمخشري فقال :

﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أغفلــوا ذكــره ﴿ فَنَسِيَهُمْ ۗ ﴾ فتركــهم مــن رحمتــه وفضله[٤].

وذكر أبو حيان أن قتادة قال :

تركوا طاعة الله وطاعة رسوله ﴿ فَنَسِيَهُمْ ۗ ﴾ ، أي تركهم من الخير أمـــا من الشر فلم ينسهم[٥].

---

١ – التفسير الكبير للفخر الرازي ١٢٩/٨.

٢ – تفسير الطبري ٢٨٧/٢.

٣ – تفسير القرطبي ١٩٩/٨.

٤ – الكشاف الزمخشري ٢٨٧/٢.

٥ – البحر المحيط لأبي حيان ٦٨/٥.

ويقول الشوكاني :

والنسيان، الترك: أي تركوا ما أمرهم به فتركهم من رحمتــه وفضلــه لأن النسيان الحقيقي لا يصح إطلاقه على الله سبحانه وإنما أطلق عليه هنا مــن بــاب المشاكلة المعروفة في علم البيان[1].

بعد هذه الأقوال لعلماء التفسير ليس لعاقل أن يقول عن الله عز وجل أنّا نثبت له نسيانا لكن ليس كنسياننا على غرار ما يقولونه يســمع لا كســمعنا ويبصــر لا كبصرنا إلى ان يقولوا يجلس على عرشه ولكن لا كجلوسنا !! تعالى الله عن ذلــك علوا كبيرا بل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [2].

فالقول في مثل هذه الأمور يقود إلى تصور المعاني مما يؤدي إلى التجســيم والتشبيه والله تعالى منــزه عن المشابهة والمشاكلة والله اعلم.

أما السنة المطهرة التي تحملنا على التأويل بل قد ورد النص على التأويل في الحديث الذي رواه مسلم من قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال :

" يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تع٠ده؟ أما علمت أنك لوعدته لوجدتنــي عنده؟ [3] ..." الحديث .

---

١ – فتح القدير للشوكاني ٣٧٩/٢.

٢ – الآية ١١ من سورة الشورى.

٣ – صحيح مسلم ١٩٩٠/٤ برقم ٢٥٦٩.

وهنا لا يصح قطعا أن نثبت لله تعالى صفة المرض، لأن من أثبت ذلــــك لله كفر، وبالنظر في الحديث نجد أنه أوّل المرض الذي نسبه تعــــالى لنفســه بقولــه " **مرض عبدي فلان** " ولذلك يذكر الإمام النووي في شـــرحه لصحيـح مسـلم أن العلماء قالوا إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى والمراد العبد تشــريفا للعبـد وتقريبا له : ومعنى وجدتني عنده أي : وجدت ثوابي وكرامتي(١).

وكذلك فعل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أئمة الاجتهاد والحفــاظ فــي التأويل على هدى من الكتاب والسنة وقد ورد التأويل عن كثـــير مــن الصحابـة والتابعين والأئمة المجتهدين من سلف هذه الأمة المشهود لهم بالخيريـــة والهدايـة وسأبين في المبحث القادم موقف السف من قضية التأويل مع ذكر آرائهم وبعـــض تأويلاتهم بإذن الله.

---

١ - شرح مسلم للإمام النووي ١٦/١٢٦.

المبحث الثالث

موقف السلف من التأويل بوجه عام

ليس من الصواب أن نقرر محتويات مكان ما بمجرد المرور أو النظر إليه من نافذته، ولن يكون حكمنا على ما فيه وافيا ولا واقعيا دون الولوج لذلك المكان من بابه والتحقق مما فيه ليكون تقريرنا بما فيه مطابقا للواقع، وحديثنا عنه صوابا وحقا.

لذلك فإن المسألة التي نحن بصدد الحديث عنها

(مسألة التأويل عند السلف رضوان الله عليهم فيما يتعلق بهذا الموضوع) تحتاج منا إلى البحث والتنقير والاجتهاد للتعرف على أقوال السلف، من أجل الوقوف على الحقيقة من هذه الأقوال في الأحاديث والآيات التي يشكل فهمها، والتي اصطلح أهل العلم على تسميتها بالمتشابه إذا أنه بالبحث الصادق المخلص سيتضح لنا بكل جلاء حقيقة هذا الموقف من أجل الخروج بنتيجة تحل لنا التساؤل الذي فرضه أولئك النفر الذين يكفّرون ويشتمون كل من يؤول ظنا منهم أنهم وقفوا على الحقيقة بكل أبعادها، وما عرفوا أن الجهل المركب هو حال كل من لا يعرف وهو يظن أنه يعرف.

وهذا التساؤل هو :

هل التأويل، بدعة،ضلالة، حدثت بعد القرون الثلاثة الأولى؟

أم أنه سنة، واتباع، واقتداء، درج عليها سلفنا الصالح، الصحابه والتابعون فمن بعدهم؟

وللإجابة على هؤلاء ننقل أقوال السلف في هـــذا الموضـــوع تحديـــدا فـــي (المتشابه من الآيات والأحاديث التي وردت في هذا الباب).

أولا : أقوال السلف في تأويل بعض الآيات:

إن من تصفح ونقر وبحث واجتهد في البحث عن رأي السلف الصالح وكبار الأئمة والمحدثين في القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية فإنه سيجد أقـــوال ونصوصا لا تكاد تحصى وردت عنهم في مسألة التأويل فيما يتعلق بآيات الصفـات (المتشابه) وكذلك الأحاديث الشريفة المتعلقة بالصفات أيضا.

وهنا أعرض بعضا من أقوالهم على سبيل الاستدلال لا الحصر في هذه القضية.

أ- لقد أوّل الصحابة والتابعون ومن بعدهم قوله تعالى :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [١] بالقوة.

ذكر من قال ذلك:

١- روى الطبري بسنده قال : حدثني على حدثنا أبو صالح قال حدثني معاويـة عن علي عن ابن عباس : قوله ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ ﴾ بقوة [٢].

٢- وروى الطبري بسنده قال " حدثني الحرث قال حدثنا الحسن قـــال حدثنـــا ورقاء جميعا عن أبي نجيح عن مجاهد قوله ﴿ بِأَيۡيْدٍ ﴾ بقوة[٣].

٣- وروى بسنده أيضا عن قتادة فقال :

---

١ - الآية ٤٧ من سورة الذاريات.

٢ - انظر تفسير الطبري ٦/١١/الجزء ٢٧.

٣ - انظر تفسير الطبري ٦/١١/الجزء ٢٧.

حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾ بقوة [1].

٤- وروى بسنده عن زيد وبسنده عن سفيان جميعا قال ﴿ بِأَيۡيْدٖ ﴾ بقوة[2].

ب- لقد أوّل ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى :

﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ [3] بأنه يوم حرب وشدة.

وفي رواية أخرى قال أمر عظيم وقال ابن عباس هي أشد ساعة في يوم القيامة.

وكذلك قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل يبدو عن أمر شديد[4].

وروى الإمام الطبري أيضا عن مجاهد قوله " يوم يكشف عن ساق" قال شدة الأمر [5].

وبسنده عند قتادة قال : عن أمر فظيع جليل[6] .

وبسنده عن سعيد بن جبير قال عن شدة الأمر[7].

---

١ – المرجع السابق.

٢ – المرجع السابق

٣ – الآية (٤٢) من سورة القلم.

٤ – انظر تفسير الطبري ٢٤/١٢/ الجزء ٢٩.

٥ – المرجع السابق.

٦ – انظر تفسير الطبري ٢٤/١٢/ الجزء ٢٩.

٧ – المرجع السابق.

ج- أوّل ابن عباس قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [١] بالعلم وقد تقدم.

د- أوّل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قوله ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [*] أنه جاء ثوابه، روى ذلك البيهقي في كتابه مناقب الإمام عن الحاكم عن ابي عمر بن السماك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأوّل قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ أنه ثوابه، ثم قال البيهقي وهذا إسناد لا غبار عليه[٢] ونقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢٣٧/١٠.

هـ- تأويل الإمام أحمد بن حنبل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾ [٣] على أكثر من وجه كما نقل صاحب الأبانة[٤] فقال:

فمثلا في قوله تعالى لموسى ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ ﴾ [٥] أي في الدفع عنكما.

وفي قوله تعالى : ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ [٦] يقول في الدفع عنا.

---

١ - الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

* - الآية (٢٢) من سورة الفجر.

٢ - انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ١٢-١٣.

٣ - الآية (٤) من سورة الحديد .

٤ - انظر الإبانة عن أصول الديانه/ لأبي الحسن الأشعري/ تحقيق الدكتورة فوقيه/توزيع دار صادر/ القاهرة الطبعة الاولى ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م، ص ٩٨.

٥ - الآية (٤٦) من سورة طه.

٦ - الآية (٤٠) من سورة التوبة.

ثم هناك وجه آخر وهو في النصر على العدو فلدينا قوله تعالى ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (١)

ثم هناك من قوله تعالى ما يعني بعلم فيهم مثل قوله ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ (٢).

أما قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ (٣) يعني في العون على فرعون.

وبهذا يتبين ثراء الألفاظ في القرآن الكريم وأهمية معرفة وجوه الاستعمال على اختلافهما من أجل الكشف عما يتضمنه النص المنزل من معنى . أ هـ

و- أوّل سفيان قوله تعالى ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ يقول بأمرنا.

هذه بعض النصوص الواردة عن السلف رضوان الله تعالى عليهم في بعض آيات الصفات يتبين منها أن السلف لهم تأويلات كان لا بد منها لتنزيه الخالق جلّ وعلا عن مشابهة غيره وسنعرض لذلك بالتفصيل في الفصل الثالث من هذه الرسالة بإذن الله تعالى.

---

١ - الآية (٢٤٩) من سورة البقرة.

٢ - الآية (١٠٨) من سورة النساء.

٣ - الآية (٦٢) من سورة الشعراء.

ثانياً : الأقوال والنصوص الواردة عنهم في تأويل بعض الأحاديث الشريفة:

أ- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : " قلنا يا رسول الله أنرى ربنا تعالى ذكره قال : " هل تضارّون في رؤية الشمس إذا كان صحوا؟ " قلنا لا يا رسول الله قال " أفتضارّون في رؤية القمر إذا كان صحوا ؟ " قلنا لا قال : فإنكم لا تضارّون في رؤية ربكم إلا كما تضارّون في رؤيتهما، ثم ينادي مناد ليذهب كل قوم مع من كانوا يعبدون فذكر الحديث وفيه (فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟ فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد كل مؤمن ... الحديث وفي رواية مسلم يكشف الله عن ساقه)[1].

وفي رواية البخاري هذا اللفظ لسعيد بن ابي هلال، وهو لفظ منكر قال الإسماعيلي في قوله عن ساقه نكرة، ثم ساق بطريق حفص بن ميسرة بلفظ يكشف عن ساق من غير ضمير وقال هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة ولا يظن أن الله تعالى ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[2]:

يقول العلامة محمد زاهد الكوثري: (وأما لفظ هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟: فيقولون الساق) فقد وقع في بعض روايات الحديث دون بعض في الصحيحين ففي سند البخاري ابن بكير وابن أبي هلال وفي سند مسلم سويد بن سعيد[3].

---

١ – الحديث رواه البخاري فتح / باب التوحيد ٤١٩/١٣ رقم ٧٤٣٩ ومسلم بشرح النووي كتاب الإيمان ٢٥/٣.

٢ – انظر الاسماء والصفات للبيهقي تحقيق محمد زاهر الكوثري ص ٣٤٤.

٣ – أنظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٤٥ قال في التقريب ٣٤٠/١ سويد لين الحديث وقال في التقريب يحيى بن عبدالله بن كثير ٣٥١/٢ وتكلموا في سماعه عن مالك.

ب- أوّل الإمام احمد بن حنبل قوله ﷺ (ما خلق الله شيئا أعظم من آية الكرسي فقال أبو عبد الله ما كان ينبغي أن يحدث بهذا - يعني خلف البزار- في هذه الأيام- يريد زمن المحنة- فقال أحمد بن حنبل لمّا أورد عليه الحديث الذي نصه " ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي[1]، إنّ الخلق واقع على السماء والأرض وهذه الأشياء لا على القرآن.

ج- أوَل الامام أحمد بن حنبل أيضا قوله ﷺ (تجيء يوم القيامة سورة البقرة)[2]الحديث قال انما هو الثواب[3].

د- أوّل الامام البخاري رحمه الله تعالى الضحك بالرحمه في حديثه ﷺ الذي يرويه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلنا ما عندنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ :

" من يضيف هذا " فقال رجل من الأنصار : أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت : ما عندنا إلا قوت الصبيان فقال هيئي طعامك وأصلحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا العشاء فهيأت طعامها وأصلحت سراجها ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته وجعلا يريانه كأنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبحا غدا على رسول الله ﷺ

---

١ - ذكره الترمذي في سننه ١٦١/٥، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٧٨/١٠.

٢ - البداية والنهاية لابن كثير ٣٢٧/١٠.

٣ - انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ١٣-١٤.

فقال قد ضحك الله الليلة- أو عجب- من فعلكما[1] وأنـــزل الله عــز وجــل :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[2].

قال البخاري معنى الضحك الرحمة [3].

هـ- أوّل النظر بن شميل - وهو : الإمام الحافظ اللغوي من رجال الستة ولد سنة مائة واثنين وعشرين للهجرة قوله ﷺ (حتى يضع الجبار فيها قدمه) [4] أي من سبق في علمه أنه من أهل النار.

قال أبو سليمان وقد تأول بعضهم الرجل على نحو من هذا. وأبو سليمان هـــو الخطابي رحمه الله تعالى.

وقد تأول بعضهم على نحو من هذا قال والمراد به استيفاء عدد الجماعة الذيـــن استوجبوا دخول النار قال :

والعرب تسمي جماعة الجراد رجلا، كما سموا جماعة الظباء سربا، وجماعــة النعام خيطا، وجماعة الحمير عانة قال هذا وإن كان اسما خاصا لجماعة الجراد فقد يستعار لجماعة الناس على سبيل التشبيه[5].

و- أول سفيان بن عيينه قوله ﷺ (آخر وطأة وطئها الرحمان بوج) [6]. أي آخــر غزاة غزاها الرسول ﷺ [1].

---

١ - رواه البخاري ١١٩/٧-١٢٠ فتح الباري، ومسلم ١٦٢٤/٣ وانظر الترمذي ٤٠٩/٥ حديث ٣٣٠٤ شاكر.

٢ - الآية (٩) من سورة الحشر.

٣ - انظر الأسماء والصفات للبيهقي تحقيق محمد زاهد الكوثري ص ٤٧٠.

٤ - رواه البخاري ٥٩٤/٨ فتح الباري، ومسلم ٢١٨٨/٤ وغيرهما.

٥ - الاسماء والصفات للبيهقي تحقيق محمد زاهد الكوثري.

٦ - رواه الطبراني في الكبير (٢٤١/٢٤ برقم ٦١٤ و ٦٠٩، والحديث ضعيف وسنده منقطع.

هذه مجموعة من النصوص من أقوال السلف الصالح سقناها لبيان أن من السلف من يؤول في آيات الصفات وفي الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في هذا الباب وأنه يتضح لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن من أوّل من الخلف ليس مبتدعا ولا ضالا ولا مضلا بل إنه متبع للسلف وأنه ليس داخلا في عموم قوله ﷺ " من قال في القران بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"[٢]. وما أجمل ما نقله المناوي في فيض القدير بيان المراد من هذا الحديث حيث قال :

قال ابن الأثير : النهي يحتمل وجهين:

أحدهما : أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتناول القرآن على وفقه محتجا به لغرضه ولو لم يكن له هوى لم يلح له منه ذلك المعنى وهذا يكون تارة مع العلم كمن يحتج منه بآية على تصحيح بدعته عالما بأنه غير مراد بالآية، وتارة يكون مع الجهل بأن تكون الآية محتملة فيميل فهمه إلى ما يوافق غرضه، ويرجحه برأيه وهواه، فيكون فسر برأيه إذ لولاه لم يترجح عنده ذلك الاحتمال ، ...

والثاني : أن يتسارع إلى تفسيره بظاهر العربية بغير استظهار بالسماع والنقل، يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، والاختصار والحذف والإضمار، والتقديم والتاخير، فمن لم يحكّم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد العربية

---

١ – انظر دفع شبه التشبيه باكف التنزيه لابن الجوزي تحقيق الشيخ حسن السقاف ص ٢٢١.

٢ – رواه الترمذي عن ابن عباس في التفسير برقم ٢٩٥٠ وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

كثر غلطه، ودخل في زمرة مـــن فسّـــر القـــرآن بغـــير علـــم، فـــالنقل والسماع لا بد منـــهما أولاً، ثـــم هـــذه تســـتبع التفـــهم والاســـتنباط ولا مطمع من الوصول إلى الباطن قبـــل إحكـــام الظـــاهر)[١]... أ هـــ فيض القدير.

١ - فيض القدير للمناوي طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت ١٩٠/٦.

مما تقدم نستطيع القول جازمين بأن التأويل من منهج السلف رضوان الله عليهم بل إن البعض ينقل اتفاق السلف والخلف على صرف النصوص المتشابهة عن ظاهرها المستحيلة على الله تعالى، واعتقاد أن هذه الظواهر غير مرادة للشارع قطعا.

قال الإمام السبكي رحمه الله تعالى :

(أجمع السلف والخلف على تأويل الآيات المتشابهة تأويلا إجماليا بصرف اللفظ عن ظاهرة المحال على الله تعالى لقيام الأدلة القاطعة على أنه تعالى مخالف للحوادث، ثم بعد اتفاقهم على صرف النص عن ظاهرة ذهب السلف إلى تفويض معاني هذه المتشابهات إلى الله تعالى وحده بعد تنزيهه عن ظواهرها المستحيلة)[١].

إذن فالسلف رضوان الله عليهم كانوا بين التأويل والتفويض، وأن هذا التفويض كان في الكيفية والمعاني المرادة للحق سبحانه وتعالى عند من فوّض منهم، يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى:

(اختلفوا في آيات الصفات وأخبارها هل يخاض فيها بالتأويل أم لا، فقال قائلون تتأول على ما يليق بها وهذا اشهر المذهبين للمتكلمين:

وقال آخرون : لا تتأول بل يمسك عن الكلام في معناها ويوكل علمها إلى الله تعالى ويعتقد مع ذلك تنزيه الله تعالى وانتفاء صفات الحادث عنه، فيقال مثلا:

---

١ - انظر شرح جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم الباجوري ص ١٥٣.

نؤمن بأن الرحمن على العرش استوى ولا نعلم حقيقة معنى ذلك والمراد به مع أننا نعتقد أن الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [١] وأنه منزه عن الحلول وسمات الحدوث وهذه طريقة السلف أو جماهيرهم إذ لا يطالب الانسان بالخوض في ذلك فإذا أعتقد التنزيه فلا حاجة إلى الخوض في ذلك والمخاطرة فيما لا ضرورة فيه بل لا حاجة إليه، فإن دعت الحاجة الى التأويل لرد مبتدع ونحوه تأولوا حينئذ وعلى هذا يحمل ما جاء عن العلماء في هذا والله اعلم) [٢] ... أهـ

يفهم من كلام الإمام النووي رحمه الله تعالى، أن السلف ليسوا جميعا مجمعين على مسألة التأويل فهو يقول هذه طريقة السلف أو جماهيرهم على أن الأغلب وهذا ما يفهم من استخدامه للفظ (جماهيرهم) مع مسألة التأويل، لأن من فوض في آيات الصفات قد أيقن بعد أن قام التأويل في ذهنه ففوّض معانيها مع اعتقاد التنزيه لله تعالى عن سمات الحلول والحدوث والانتقال فالله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [٣] ولم يذكر أن السلف قالوا بالجلوس على العرش أو انهم أثبتوا لله نزولا على الحقيقة أو قالوا بشيء من ذلك لأن هذه صفات المخلوقين والله عز وجل منزه عن الحوادث، وهذا أيضا هو ما قاله الإمام السبكي رحمه الله تعالى : " أجمع السلف والخلف على تأويل الآيات المتشابهة

١ – الآية (١١) من سورة الشورى.

٢ – المجموع شرح المهذب للإمام النووي ط، شركة العلماء ٢٥/١.

٣ – الآية (١١) من سورة الشورى.

تأويلا إجماليا كما تقدم .. "[1] أما الذين يقولون بإثبات ذلك على الحقيقة كما يقولون مع تصورهم بأن الله عز وجل مثلا استوى بمعنى جلس على العرش وترك بمقدار أربعة أصابع أو انه بيد ورجل وقدم وأصابع وغير ذلك على الحقيقة متصورين أنهم أهل الحق مدعين أن ذلك هو رأي السلف ومعتقدهم متجاهلين أقوال السلف في التاويل والتفويض فهم بحاجة إلى معرفة الحق والتمسك به حتى ينجوا عند الله تعالى نسأل الله السلامة من الشرك فهو الأول والآخر ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

---

١ - انظر شرح جوهرة التوحيد ص ١٥٣.

المبحث الرابع

موقف الإمام الطبري من التأويل بوجه خاص

قد تبين مما سبق موقف السلف من التأويل بوجه عام، وفي هـــذا المبحــث نطرح موقف الإمام الطبري رحمه الله تعالى من التأويل باعتباره واحدا من السلف الصالح أهل القرون الثلاثة الاولى بل هو من أعيان العلماء في تلك القرون بعلمــه وعمله ونحن معنيون بدراسة هذا الموضوع من تفسيره.

لم يختلف الإمام الطبري عن الصحابة والتابعين في موقفه من التــأويل وأن ما طرحه بعض العلماء من أن الطبري قد كان خصما لأصحاب الرأي المســتقلين في التفكير على إطلاق ذلك كما ذكر الدكتور الذهبي رحمه الله تعالى فـــي كتابــه التفسير والمفسرون ليس دقيقا حيث قال:

(ثم هو يخاصم بقوة أصحاب الرأي المستقلين في التفكير ولا يزال يشدد فـي ضرورة الرجوع الى العلم الراجع الى الصحابة او التابعين والمنقول عنـــهم نقــلا صحيحا مستفيضا) [1]، وإنما قصد الإمام الطبري الذين يفسرون برأيهم معتمديـــن بذلك على اللغة وما يفهم منها فحسب أو أولئك الذين ينطلقون في التفسير مما يقـوم في رؤوسهم من المعاني كما ذكر ذلك الإمام الطبري نفسه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا

---

١ – التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي ١/ ٢١٠.

يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [1].

فيقول : " يعني بقوله جل ثناؤه ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ ﴾ ما تشابهت الفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات ليحققوا بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ما هم عليه ومن الضلالة والزيغ عن محجة الحق تلبيسا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل وتصاريف معانيه) [2].

ويقول أيضا عند قوله تعالى : ﴿ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ ﴾ : (ما تشابه من آي القرآن يتأولونه إذا كان ذا وجوه وتصاريف في التأويلات على ما في قلوبهم من الزيغ وما ركبوه من الضلالة) [3].

ولقد أفرد الطبري في تفسيره فصلا في الحث على تعلم التفسير فقال:
(ذكر بعض الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسر من الصحابة). ذكر فيه مجموعة من الروايات نختار منها قوله:

" حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن مسلم بن مسرون قال كان عبد الله-يعني ابن مسعود-لتصريحه بذلك في رواية آخرى-يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار إلى أن يقول: قال

١ - الاية (٧) من سورة آل عمران.
٢ - تفسير الطبري ١١٨/٣ الجزء الثالث.
٣ - المرجع نفسه ١٢١/٣ الجزء الثالث.

أبو جعفر (وفي حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والتبيان بقوله جل ذكره لنبيه ﷺ ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [1] وقوله ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ وما أشبه ذلك من آي القرآن التي أمر الله عباده وحثهم على الإعتبار بأمثال آي القرآن والاتعاظ بمواعظه ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آية لأنه محال أن يقال له ولا يعقل تأويله إعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان الأعلى، معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه ثم يتدبره ويعتبر به[2] ... أ هـ

ولتوضيح موقف الإمام الطبري رحمه الله تعالى من التأويل ننقل بعضا من أقواله في هذا المبحث على سبيل المثال لا الحصر على أننا سنبين بمزيد من الإيضاح في موضعه من الفصل الثالث بإذن الله تعالى :

أ- تأوّل الإمام الطبري رحمه الله قوله تعالى ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [3] حيث قال، وأما قوله نسوا الله فنسيهم فإن معناه تركوا الله أني يطيعوه ويتبعوا أمره فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته) [4] وهو بهذا يتأوّل النسيان بالترك.

---

١ - الآية (٢٩) من سورة ص .

٢ - تفسير الطبري ٢٧/١ - ٢٨ الجزء الأول .

٣ - الآية (٦٧) من سورة التوبة .

٤ - انظر تفسير الطبري ١٢١/٦ الجزء العاشر.

ب- تأوّل الإمام الطبري قوله تعالى ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [١] فقال (وقوله على ما فرطت في جنب الله يقول على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به قصرت في الدنيا في طاعته) [٢].

ج- وكذلك تأوّل مجاهد قوله في جنب الله يقول في أمر الله[٣].

د- والسدى تأويلها بمعنى أمر الله[٤].

هـ- وقد تأوّل الإمام الطبري رحمه الله قوله تعالى ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [٥] فقال تجري السفينة التي حملنا نوحا فيها بمرأى منا ومنظر الى غير ذلك من التأويلات نذكرها في موضعها بإذن الله تعالى[٦].

أوّل الإمام الطبري قوله تعالى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [٧] فقال :

قال أبو جعفر والقراءة التي لا استجيز القراءة بغيرها ولتصنع بضم التاء لإجماع الحجة من القراء عليها وإذا كان ذلك كذلك فأولى التأويلين به التأويل الذي

---

١ - الآية (٥٦) من سورة الزمر.

٢ - انظر تفسير الطبري ١١/١٣/الجزء ٢٤.

٣ - المرجع السابق.

٤ - المرجع السابق.

٥ - الآية (١٤) من سورة القمر.

٦ - انظر الطبري ١١/٥٦ / جزء ٢٧.

٧ -الآية (٣٩) من سورة طه.

تأوّله قتادة وهو وألقيت عليك محبة مني ولتغذى على عيني ألقيت عليك محبة مني وعنى بقوله تعالى ذكره على عيني بمرأى مني ومحبة وإرادة)[1]. أ هـ

وغير ذلك من التأويلات الكثيرة المبثوثة في ثنايا تفسيره رحمه الله والتي سنذكرها في بابها بإذن الله تعالى ...

وإذا ما أضفنا هذه التأويلات إلى ما تقدم في هذا المبحث يتضح لنا بما لا يدع مجالا للشك أن الإمام الطبري رحمه الله تعالى كان يتأول بعض آيات الصفات شأنه في ذلك شأن من تقدمه من الصحابة والتابعين وذلك تنزيهاً لله تعالى عن مشابهة الحوادث بما ينسجم مع جلال الله تعالى وقدره وهيبته، وهذا يؤكد أن التأويل أمر درج عليه السلف ولا بد منه في فهم كثير من آيات الصفات لسلامة عقيدتنا من التشبيه أو التجسيم وأن المؤوّلين لم يكونوا مبتدعين فيه بل هم متبعون لمن سبقهم من سلف الأمة الصالح رضوان الله عليهم ولا يصح التشنيع عليهم ورميهم بالضلالة والإنحراف عن الحق بحال من الأحوال لأنهم على الحق بإذن الله تعالى شأنهم في ذلك شأن من تقدمهم من السلف الصالح رضي الله عنهم.

---

١ – تفسير الطبري ٨/١٢٣/ الجزء ١٦.

المبحث الخامس

التفويض لغة واصطلاحاً

أولاً : التفويض في اللغة :

قال ابن منظور في لسان العرب[١]:

" فوض إليه الأمر: صيّره إليه وجعله الحاكم فيه"، وفي حديث الدعاء " وفوّضت أمري إليك"[٢]، أي رددته إليك، يقال فوّض أمره إليه وجعله الحاكم فيه، ومنه حديث الفاتحة ... " فوّض إلى عبدي"[٣].

وقال في المعجم الوسيط [٤]:

" فوض الأمر إليه : جعل له التصرف فيه ".

وقال الراغب في مفرداته تحت مادة فوض[٥]:

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [٦] أرده إليه، وأصله من قولهم فوضى بينهم ومنه شركة المفاوضة.

---

١ – لسان العرب لابن منظور ٧/٢١٠ باب الضاد فصل الفاء.

٢ – اخرجه مسلم في باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة مجلد ج٤ ص ١٥/مسلم بشرح النووي ط٢ دار احياء التراث العربي ١٩٧٢.

٣ – فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/١٠٩ كتاب الدعوات ط دار المعرفة بيروت.

٤ – المعجم الوسيط ٢/٧٠٦.

٥ – المفردات للراغب الأصفهاني؟ ط البابي الحلبي/مصر القاهرة/الطبعة الأخيرة (١٣٨١هـ –١٩٦١م ص ٣٨٧.

٦ – الآية ٤٤ من سورة غافر.

ثانياً : التفويض في الإصطلاح :

قال العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري في شرح جوهرة التوحيد[1]:

"والمراد من التفويض صرف اللفظ عن ظاهرة مع عـــدم التعــرض لبيـــان المعنى المراد منه بل يترك ويفوّض علمه إلى الله تعالى بـــأن يقــول : الله أعلــم بمراده".

فالتفويض هو ترك الخوض في بيان المعنى المراد من النص ورد الأمر إلى الله تعالى في ذلك مع اعتقاد التنــزيه، أي تنــزيه الله عن كل ما يخطر في الذهــن من مشابهة

المخلوقات، اي التسليم في معناها لله تعالى مع اعتقاد التنــزيه.

يؤكد هذا المعنى الاصطلاحي ما سنذكره بإذن الله تعالى في المبحث التـــالي وهو موقف السلف من التفويض، وذلك بنقل نصوص من اقوالهم فـــي تفســيرهم لبعض آيات وأحاديث الصفات راجيا من الله التوفيق والسداد.

١ - جوهرة التوحيد، العلامة إبراهيم الباجوري ص ١٤٩.

المبحث السادس

موقف السلف من التفويض

لقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أكثر تسليما لله تعالى وطاعة لأمـره وفهما لكتابه الكريم. والسير على نهجهم ليس بدعا من القول أو والعمل بـل هـو عين الصواب وأساس الفلاح في الدنيا والآخرة.

ولبيان موقف السلف من آيات الصفات ننقل فيما يلي نصوصا من أقوالـهم فيما يتعلق بهذه القضية لنكون على بينة من الأمر فلا تزل بنا القدم فنجنح إلى غير الصواب ونسير على غير هديهم فتضل بنا الطريق، نسأل الله الهدى والرشاد.

نقل الإمام الترمذي في سننه[1] ما يبين معنى التفويض عند أئمة أهل العلـم من المحدثين وكبار الائمة المجتهدين في القرون الثلاثة الأولى وهي قرون السلف فقال:

(والمذهب عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابـن المبارك وابن عيينه ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الاشياء ثم قالوا :

(نروي هذه الاحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف).

وهذا الذي اختاره أهل الحديث، أن تروى هذه الاشياء كما جاءت

ويؤمن بها

ولا تفسر

ولا تتوهم

ولا يقال كيف

---

١ – سنن الترمذي ٦٩٢/٤.

وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه " أ.هـ

وأهم ما يبرز ويظهر مسألة التفويض عند السلف من هذه الفقرة التي نقلها الترمذي عنهم وهو منهم رحمه الله تعالى قوله :

" ولا تفسر " وقوله " ولا تتوهم ".

فإنه في اللفظ الأول يتبين معنى تفويض المعاني الى الله تعالى.
وفي اللفظ الثاني تقرير التنزيه لله تعالى عن مشابهة الحوادث أو المخلوقات وهناك عبارات عديدة لأئمة السلف في القرون الثلاثة الأولى يؤكد ذلك ويبينه بما لا يدع مجالا للشك في أن من مذهب السلف التفويض ننقل منها:
قول الإمام أحمد بن حنبل فيما رواه عنه الخلال بسند صحيح[1].

" نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى ".

ومن ذلك أيضا قول الامام مالك أخرجه البيهقي[2] عن عبد الله بن وهب قال: (كنا عند مالك فدخل رجل فقال:يا أبا عبد الله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[3] كيف استوى)؟ فأطرق مالك فأخذته الرخصاء[4] ثم رفع رأسه فقال الرحمن على

---

١ – نقلها الشيخ المحدث محمد زاهد الكوثري عن الخلال في تعليقه على دفع شبه التشبيه ص ٢٨ ط المكتبة التوفيقية القاهرة ١٩٧٦.

٢ – انظر الفتح ٤٠٧/٣ وقال الحافظ سنده جيد ط دار المعرفه / بيروت.
وانظر الاسماء والصفات للبهيقي بتحقيق العلامه الكوثري ص ٤٠٨.

٣ – الآية (٥) من سورة طه.

٤ – الرخصاء: قال المجد الفيروز ابادي في القاموس في مادة رخص ص ٨٢٩: عرق يغسل الجلد كثرته/ط مؤسسه الرسالة.

العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وما أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه " أ. هـ

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : ١٣/٤٠٧ :

وأخرج البيهقي[١] من طريق أبي داود الطيالسي قال :

وكان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانه لا يحددون ولا يشبهون ويروون هذه الاحاديث ولا يقولون كيف.

قال أبو داود:

قال البيهقي : وهو قولنا "

وعلى هذا مضى أكابرنا " أ هـ

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ايضا [٢].

" وأسند اللالكائي في سننه عن محمد بن الحسن الشيباني قال :

(اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير). أ.هـ

وروى البيهقي[٣] بسنده " أن سفيان بن عيينه يقول :

(كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه). أ.هـ

---

١ - فتح الباري لابن حجر ٣/٤٠٧ ط دار المعرفة

٢ - انظر الفتح ١٣/٤٠٧.

٣ - فتح الباري ابن حجر ٣/٤٠٦.

وقال ابن حجر في الفتح .

" أخرج أبو القاسم اللالكائي في كتابه السنة من طريق الحسن البصري عن أمه عن أم سلمة أنها قالت :

" الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر"

ومن طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سئل كيف استوى على العرش؟ فقال : (الإستواء غير مجهول والكيف غير معقول وعلى الله الرسالة وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم) انتهى مع تحفظنا على قوله وعلى الله الرسالة فإن الله لا يجب عليه شيء!!!

وقد ذكر البيضاوي[١] رحمه الله تعالى أن التفويض هو مذهب السلف فقال :

" المبحث الرابع في صفات أخرى أثبتها الشيخ[٢]، وهي الاستواء واليد والعين والوجه، بالظواهر الواردة بذكرها وأولها الباقون وقالوا :

المراد بالاستواء الاستيلاء، وباليد القدرة، وبالوجه الوجود، وبالعين البصر، والأولى اتباع السلف في الإيمان بها والرد إلى الله تعالى " أ. هـ

وكذلك قال الإمام الجويني[٣] في الرسالة النظامية :

(فعلى ذي الدين أن يعتقد تنزيه الباري عن صفات المحدثين ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها إلى الرب تعالى بعد أن ذكر أن أئمة السلف

---

١ – القاضي ناصر الدين البيضاوي، طوالع الأنوار من مطالع الأبصار ط١ دار الجيل بيروت والمكتبة الأزهرية القاهرة ١٤١١هـ– ١٩٩١ ص ١٩٠.

٢ – الشيخ هو أبو الحسن الأشعري .

٣ – الإمام الجويني الرسالة النظامية ص ٢٣– ٢٤.

ذهبوا إلى الإنكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب تعالى ".

مما تقدم يتبين لنا ويتضح جليا أن التفويض عند السلف قام على قاعدتين أساسيتين هما :

الأولى : عدم الخوض في تأويل المشكلات من الألفاظ الواردة في الآيات أو الأحاديث والمتعلقة منها بصفات الله سبحانه وتعالى ومن الادلة على هذه القاعدة قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (١).

الثانية : نفي التشبيه، وهو تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق بوجه من الوجوه ومن الادلة على ذلك قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ (٢).

---

١ – الآية (٧) من سورة آل عمران.

٢ – الآية (١١) من سورة الشورى.

وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن أبي بن كعب لما قال المشركون له أنسب لنا ربك " فأنزل الله ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ سورة الاخلاص فالصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ولا شيء يموت إلا سيورث وأن الله عز وجل لا يموت ولا يورث ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [١].

قال :

" لم يكن له شبيه ولا عدل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ الآية ١١ من سورة الشورى. رواه الترمذي في سننه[٢] وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٣].

وخلاصة القول أن السلف رضوان الله تعالى عليهم كانوا يفوضون علم معاني الآيات إلى الله تعالى هذا فيما يختص بآيات الصفات يؤكد هذا ما قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى بعد أن نقل عن الإمام مالك أنه قال في أحاديث الصفات أمروها كما جاءت بلا تفسير ما نصه:

" فقولنا في ذلك وبابه : الإقرار، والإمرار، وتفويض معناه إلى قائله الصادق المعصوم[٤].

---

١ - الآية (٤) من سورة الاخلاص.

٢ - سنن الترمذي ٤٥٢/٥ طبعة شاكر.

٣ - المستدرك للحاكم ٥٤٠/٢.

٤ - سير اعلام النبلاء للذهبي ١٠٥/٨.

ملاحظة : لفظه المعصوم لا تطلق إلا على النبي ﷺ ولا تطلق على الله تعالى لأن الله هو العاصم قال تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ ﴾ ، الآية (٣٣) غافر، وقال ايضاً ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ .

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح في مسألة الصفات إن فيها ثلاثة مذاهب نقلا عن ابن المنير وذكر المذهب الثالث فقال: "الثالث : إمرارها على ما جاءت مفوضا معناها إلى الله تعالى "[١]

ثم قال بعد ذلك مباشرة :

" قال الطيبي : هذا هو المذهب المعتمد وبه يقول السلف الصالح"

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ايضا مائلا للتفويض :" والصواب الإمساك عن أمثال هذه المباحث والتفويض إلى الله تعالى في جميعها والاكتفاء بالإيمان بكل ما أوجب الله في كتابه أو على لسان نبيه ... " [٢] أ . هـ

وقال الحافظ أيضا نقلا عن الحافظ ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى في تقرير التأويل والتفويض معا:

" وقال ابن دقيق العيد في العقيدة: نقول في الصفات المشكلة إنها حق وصدق على المعنى الذي أراده الله ومن تأولها نظرنا فإن كان تأويله قريبا على مقتضى لسان العرب لم ننكر عليه، وان كان بعيدا توقفنا عنه ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه"[٣] أ. هـ

---

١ – فتح الباري ٣٩٠/١٣.

٢ – فتح الباري ٣٨٣/١٣.

٣ – فتح الباري ٣٨٣/١٣.

وممن فوّض في معاني آيات الصفات من السلف الإمام محمد بن جرير الطبري فعلى مقتضى ما سبق وقدمناه من المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للتفويض وما نقلناه من أقوال السلف في تقرير ذلك بأن التفويض هو الإقرار والإمرار دون التعرض للتفسير وبيان المعنى وتنزيه الله تعالى من خيال التشبيه كما قالوا قراءتها تفسيرها وسنذكر بعض الأمثلة من تفسير الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير بعض الآيات المشتملة على الصفات.

المثال الأول :

يقول الإمام الحافظ محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تأويل قوله تعالى ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [١] ما نصه.

" يقول تعالى ذكره (رضي الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا لله في الوفاء له بما وعدوه من العمل بطاعته واجتناب معاصيه ورضوا هم عن الله تعالى في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه "[٢] أ . هـ

فهو رحمه الله تعالى يؤول قول الله تعالى ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ فيقول رضي الله عن هؤلاء أي أن تفسيرها قراءتها كما قال سفيان بن عيينه تفسيرها قراءتها وكما قال غيره من السلف الإقرار والإمرار أو أمروها كما جاءت. لم يزد على ذلك كلمة واحدة فرضي الله عن سلفنا الصالح وجزاهم عن الأمة خير الجزاء.

---

١ - الآية (١١٩) من سورة المائدة.

٢ - تفسير الطبري ٩١/٥ جزء (٧).

المثال الثاني :

يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تأويل قوله تعالى ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [1] ما نصه :

" يقول تعالى ذكره وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفا صفا بعد صف"[2] أ . هـ وهو هنا أيضا يورد الآية وتأويلها عنده كما هي دون تغيير أو زيادة أو نقص إقرارا وإمرارا.

المثال الثالث :

يقول الإمام الحافظ محمد بن جرير الطبري في تأويل قوله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن ٢٧). ما نصه

(يقول تعالى ذكره كل من على ظهر الأرض من جن وأنس فإنه هالك. ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام)[3]. أ. هـ

من خلال هذه الامثلة يتبين لنا أن الإمام الطبري العالم بآيات الله تعالى وتأويلها كان من منهجه العملي في تفسير آيات الصفات الإقرار والإمرار دون أن يزيد على لفظ القرآن شيئا فهو إنما يفوض بذلك معاني هذه الألفاظ إلى قائلها سبحانه وتعالى مثله مثل كثير من الصحابة والتابعين.

---

١ - الآية (٢٢) من سورة الفجر.

٢ - تفسير الطبري ١١٨/١٢ جزء ٣٠ .

٣ - تفسير الطبري ٧٨/١١ جزء ٢٧ .

وبعد ما تقرر وتوضح من بيان مذهب التفويض وثبوته عند الأئمة والحفاظ المحدثين من السلف بما لا يدع مجالا للشك فإنه من العجب بمكان قول الشيخ ابن تيمية في كتابه الموافقه أن التفويض من شر أقوال أهل البدع والالحاد حيث قال ما نصه[1](فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والالحاد). أ.هـ

ولكي لا نظلم الرجل فقد رجعت إلى كتابه الموافقة والذي يبين فيه معنى التفويض المراد ذمه فوجدته على التفويض الذي قدمت الحديث عنه وذلك خوفا من أن يكون للتفويض الذي يذمه الشيخ مفهوما غير الذي قدمنا حيث قال .

(وأما التفويض فمن المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله) ويقول وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا أنه لم يبين لنا الحق ولا أوضحه مع أمره لنا أن نعتقده).

وهنا يجب ان نتسال ما هي حدود العقل في التفكير في الذات؟ وهل نهينا عن التفكير في ذات الله؟ وهل التفويض الذي تكلم عنه العلماء في غير الآيات التي تذكر ذاته العلية سبحانه وتعالى؟ وهل العلماء يعرفون تفسير كل شيء في القرآن الكريم؟ هذه الاسئلة عليها خلاف ليس هنا موضعه. وهذا ما دفع الشيخ إلى القول:

وأما على قول أكابرهم إن معاني هذه النصوص المشكلة المتشابهة لا يعلمه الا الله وأن معناها الذي أراده الله بها هو ما يوجب صرفها عن ظاهرها، فعلى قول

---

١ – بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول المطبوع على هامش منهاج السنة ص١١٦-١١٧ طبعة دار الكتاب .

هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا الملائكة ولا السابقون الأولون وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه إلى أن يقول ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيانا للناس) أ. هـ

والحقيقة لا أدري من اين جاء بهذه الإلزامات وهذه النتيجة؟ وأنا أقول وهل الانبياء والرسل والملائكة مدركون لذات الله وكنهه؟ والجواب عندي ان لا لأن الله قال لا تدركه الأبصار ولو كانت من الانبياء والإدراك غير النظر وليس هنا محل بسط الخلاف في هذا ولكن نقول بأن ذات الله لا يمكن عقلها من أي عاقل ولو كان نبيا والتفويض إنما وقع عند العلماء في صفات هذه الذات التي لو استطاع العقل أن يدركها لصار العقل قادرا والله تعالى مقدورا عليه وهذا محال في حق الله ومن هنا وقع التفويض في صفات الذات.

ولذلك استغرب كيف يقول الشيخ ذلك القول مع أن التفويض ثابت عند السلف كالشمس في رابعة النهار وليس هذا الأهم الخطير هنا ولكن الأهم ان يصف الشيخ ابن تيمة من قال بالتفويض بالإلحاد ويرميهم بقوله انهم من اهل البدع.

ونسأل الله السلامة من هذا وما أغربه من قول لا استطيع تفسيره أو الاجابه عنه.

وممن قلد الشيخ ابن تيميه في هذا الامر الشيخ الالباني في تعليقه على سنة ابن ابي عاصم ص ٢١٢ من الطبعة الثانية المكتب الاسلامي !!

الفصل الثالث

الآيات الواردة في الصفات وملحقة بها وتفسيرها عند السلف من خلال الرواية وطريقة الطبري في تأويلها.

المبحث الأول	:	الإستـــواء
المبحث الثاني	:	العـــلـــو
المبحث الثالث	:	المجيء والإتيـــان
المبحث الرابع	:	الطـــي والقبضة واليـــد
المبحث الخامس	:	الرضـــى والغضب
المبحث السادس	:	الكـــلام
المبحث السابع	:	السمـــع والبصـــر
المبحث الثامن	:	الحيـــاة
المبحث التاسع	:	النفـــس
المبحث العاشر	:	الوجـــه والعيـــن

المبحث الأول

الاستـــواء :

أولاً : الآيـــات الكريمـــة التي وردت في الاستـــواء:

أ- قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١).

ب-قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢).

ج- قـــال تعـــالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣).

د- قال تعـــالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (٤).

---

١ - الآية (٢٩) من سورة البقرة.

٢ - الآية (٥٤) من سورة الأعراف.

٣ - الآية (٣) من سورة يونس.

٤ - الآية (٢) من سورة الرعد.

هـ- قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [1].

و قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ [2].

ز- قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [3].

ح- قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [4].

ثانياً : معنى الاستواء في اللغة :

قال في لسان العرب : [5].

قال الليث : الاستواء فعل لازم من قولك سويته فاستوى، قال أبو الهيثم : العرب تقول: استوى الشيء مع كذا وبكذا إلا قولهم للغلام إذا تم شبابه. واستوى

---

١ - الآية (٥) من سورة طه.

٢ - الآية (٥٩) من سورة الفرقان.

٣ - الآية (٤) من سورة السجدة.

٤ - الآية (٤) من سورة الحديد.

٥ - لسان العرب لابن منظور ١٣/٤١٠ - ٤١٤.

الشيء: اعتدل والاسم السواء، يقال:سواء عليَ قمت أو قعدت، وقوله عــزَ وجــل ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (١)

كما تقول : قد بلغ الأمير من بلد كذا وكذا واستوى إلى بلد كذا معناه قصــد بالاستواء اليه.

وقيل استوى إلى السماء صعد أمره إليها، وفسره ثعلب فقال أقبل إليها، وقيـل استولى.

قال الفراء: الاستواء في كلام العرب على وجهين:

أحدهما : أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته.

والثاني : أن يستوي من اعوجاج فهذان وجهان.

ووجه ثالث أن تقول : كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى علي يشــاتمني، على معنى أقبل إلي وعليَ، فهذا قوله عز وجل ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

قال الفراء، وقال ابن عباس:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ صعد وهذا كقولك للرجــل: كــان قائمــا فاستوى قاعدا قال: وكل في كلام العرب جائز.

وقول ابن عباس : صعد إلى السماء أي صعد أمره إلى السماء. ا هــ لســان العرب. قال الراغب في مفرداته(٢).

---

١ - الآية (٢٩) من سورة البقرة.

٢ - المفردات للراغب ص ٢٥١.

استـــوى يقـــال على وجهيـــن :

احدهما : يسند اليه فاعلان فصاعدا نحو استوى زيد وعمرو في كذا

والثاني : أن يقال لاعتدال الشيء في ذاته نحو ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ [1].

ومتى عدي بعلى اقتضى معنى الاســـتيلاء كقولـــه ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [2].

وقيل معناه : استوى له ما في السموات وما في الارض أي استقام الكل على مـــراده بتســـوية الله تعـــالى إيـــاه كقولـــه تعـــالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ [3].

وقيل استوى كل شيء بالنسبة اليه فلا شيء أقرب اليه من شـــيء إذ كـــان تعالى ليس كالأجسام الحالّة فكان دون مكان.

وإذا عدي بإلى اقتضى معنى الانتهاء إليه إما بالذات أو بالتدبير وعلى الثاني قوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [4].

---

١ - الآية (٦) من سورة النجم.

٢ - الآية (٥) من سورة طه.

٣ - الآية (٢٩) من سورة البقرة.

٤ - الآية (١١) من سورة فصلت.

ثالثاً : أقــوال السلف في الاستواء:

أ- أخرج أبو القاسم اللالكلائي في كتاب (السنة) من طريق الحسن البصري عــن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت :

" الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإقرار به إيمان والجحــود بــه كفر "[1].

ب- روى البيهقي بسنده عن يحيى بن يحيى قال :

(كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله " الرحمن على العــرش استوى" فكيف استوى؟ قال فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرّحضاء ثــم قــال : (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنــه بدعة وما أراك إلا مبتدعا، فأمر به أن يخرج)[2].

ج- وكذلك قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن وهو شيخ الإمام مالك عندما سئل: كيف استوى؟ فقال : (الاستواء غير مجهول، والكيــف غــير معقــول، وعلــى الله الرسالة، وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم)[3].

د- وســئل ذو النــون[4] المصــري عــن قولــه تعــالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

---

١ - فتح الباري ٤٠٦/١٣، وعقيدة التوحيد في فتح الباري شــرح صحيــح البخــاري ص٢٢٧، أحمــد عصام الكاتب منشورات دار الافاق الجديدة بيروت.

٢ - انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٠٨، وفتح الباري ٤٠٧/١٣.

٣ - فتح الباري لابن (٤٠٦/١٣)، وعقيدة التوحيد في فتح الباري/أحمد عصام الكاتب ص ٢٢٧-٢٢٨.

٤ - ذو النون المصري: هو الزاهد شيخ الديار المصرية ثوبان بن إبراهيم وقيل فيض بن أحمــد، وقيــل غير ذلك روى عن مالك والليث وابن لهيعه وسفيان بن عيينه، وعنه أحمــد بــن صبيــح الفيومــي وربيعة بن محمد الطائي وغيرهم. قال ابو يونس كان عالما فصيحا حكيما، قال يوســف بــن احمد البغدادي كان أهل ناحيته يسمونه الزنديق فلما مات أظلت الطــير جنازتــه فــاحترموا قــبره بعــد موته/انظر السير ٥٣٢/١١-٥٣٣ مطبعة حسان ١٩٧٢.

﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ فقال : " أثبت ذاته ونفى مكانه، فهو موجود بذاته، والأشياء موجودة بحكمه كما شاء سبحانه "[1]

هـ- وأخرج البيهقي بسنده من طريق أبي بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب في مذهب أهل السنة فيما جرى بين محمد بن إسحاق بن خزيمة، وبين أصحابه فذكرها وذكر فيها ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [2] بلا كيف وقال : " الآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي رضي الله عنه وإليها ذهب أحمد بن حنبل) [3] .

ونقل ابو يعلى في طبقات الحنابلة أن الإمام أحمد بن حنبل يقول في معنى " **الاستواء** " : هو العلو والارتفاع، ولم يزل الله تعالى عاليا رفيعا قبل أن يخلق عرشه، فهو فوق كل شيء، والعالي على كل شيء. وإنما خص الله العرش لمعنى فيه مخالف لسائر الأشياء، والعرش أفضل الأشياء وأرفعها. فامتدح الله نفسه بأنه على العرش استوى، أي علا عليه. ولا يجوز أن يقال: استوى بمماسة، ولا بملاقاة. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل، ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش"[4] أ.هـ .

---

١ – الرسالة القشيرية/لأبي القاسم عبد الكريم القشيري/تحقيق د.عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ص٤٥ طبعة دار الكتب الحديثة/ القاهرة.

٢ – الآية (٥) من سورة طه

٣ – انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٠٩.

٤ – انظر طبقات الحنابلة/للقاضي أبي الحسين محمد بن ابي يعلى ص(٢٩٦-٢٩٧)طبعة دار المعرفة بيروت.

وذكرنا فيما تقدم قول سفيان بن عيينة في هذه الآيات وأمثالها وأنـــه قـــال : أمروها كما جاءت وكذلك قال عبد الله بن المبارك ومالك فيما رواه عنهم الــترمذي في الجامع[1].

قال إمام الحرمين الإمام الجويني في الرسالة النظامية :

" قد اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت فـــي الكتـــاب والســـنة وامتنع على أهل الحق فحواها، وإجراؤها على موجب ما تبرزه إفهام أرباب اللسان منها فرأى بعضهم تأويلها والتزام هذا المنهج في آي الكتاب وفيما صح من ســـنن النبي ﷺ ، وذهبت أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهـــر علـــى مواردها وتفويض معانيها إلى الرب سبحانه[2].

فقول امام الحرمين هذا لا يمنع وجود التأويل عند السلف لذا فإنني بعد الــذي ذكرته من نصوص في التفويض سأذكر فيما يلي أقوالا لعلماء السلف في التأويل:

قال الربيع بن حبيب[3]

" بلغني عن ابن مسعود والضحاك بن مزاحم أنهما قـــالا: (اســـتوى علـــى العرش أي استولى عليه وعلى الاشياء كلها فخضعت ودانت)، وقد تقـــول العـــرب استوت لفلان دنياه: أي أتته على ما يريد، واستوى بشر على العـــراق والحجـــاز، واستوى لنا الأمر، واستوى فلان على ما فلان يريدون : احتوى عليه وحازه ونحو ذلك .

---

١ – انظر عقيدة التوحيد في فتح الباري/احمد عصام الكاتب ص ٢٢٩.

٢ – الرسالة النظامية/لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني ص ٢٣/مطبعـــة الأنـــوار/ ١٩٨٤/ تصحيح وتعليق المحدث العلامة محمد زاهد الكوثري.

٣ – مسند الجامع الصحيح/ للربيع بين حبيب ص ٣٩ الجزء ٣.

وقال أيضا[1] :

" أما ما قاله ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد من علو الذكر واستواء المجد والقهر، أو يكون على ما قالت اليهود المشبهة لله تعالى بأوصاف خلقه إذ قالت: إنه لما فرغ من خلق السموات والأرض واستوى على العرش وضع إحدى فخذيه على الأخرى واستراح فكذبهم الله بقوله : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [2] وبقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [3]وما أشبه ذلك من كتاب الله عز وجل فألزموه الوهن والعجز والنصب قاتلهم الله أنى يؤفكون". أ.هـ

وقال ايضا[4] : " وقال الحسن - يعني الحسن البصري " :

ارتفع ذكره وثناؤه ومجده على خلقه ولا يوصف الله تبارك وتعالى بزوال من مكان إلى مكان.

قال " وسئل هشيم[5] عن ذلك فقال : كان أصحابنا يقولون قهر العرش وقال الحسن في قوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [6] أي استوى أمره وقدرته إلى السماء، وقوله ثم استوى على العرش يعنى استوى أمره وقدرته ولطفه

---

١ - مسند الجامع الصحيح/للربيع بن حبيب ص ٣٩ الجزء (٣).

٢ - الآية (٣٨) من سورة (ق).

٣ - الآية (١١) من سورة الشورى.

٤ - مسند الجامع الصحيح/ الربيع بن حبيب ص ٣٦ جزء (٣).

٥- هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي إمام ثقة مات سنة ١٨٣هـ وقد قارب الثمانين وهو من رجال الستة انظر تقريب التهذيب ترجمة رقم ٧٣١٢/طبعة دار الرشيد سوريا حلب/ الطبعة الأولى ١٩٨٦.

٦ - الآية (١١) من سورة فصلت.

فوق خلقه ولا يوصف الله بصفات الخلق ولا يقع عليه الوصف كما يقع على الخلق" اهـ .

وسئل جعفر بن نصير[1] عن قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[2] فقال: استوى علمه بكل شيء فليس شيء أقرب اليه من شيء.

وقال جعفر الصادق : (من زعم ان الله في شيء أو على شيء فقد اشرك إذ لو كان على شيء لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصورا ولو كان من شيء لكان محدثا "[3].

رابعاً : الاستواء عند ابن جرير الطبري

من أئمة السلف الذين أوّلوا معنى الاستواء الإمام المحدث الحافظ محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى فهو يقول بعد أن ذكر في تفسيره جامع البيان المعاني اللغوية للاستواء وذكر من قال بها ما نصه[4]:

(وأولى المعاني بقوله جل ثناؤه ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾[5] علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات).

---

١ – جعفر بن نصير ويعرف بالتائب حدث عن أبي الأشعث أحمج بن المقدام، روي عنه محمد بن مخلد الدوري كما في تاريخ بغداد ١٩٢/٧ طبعة دار الفكر.

٢ – الآية(٥) من سورة طه.

٣ – الرسالة القشيرية/لابي القاسم عبد الكريم القشيري/تحقيق د.عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف ص ٤٥ طبعة دار الكتب الحديثة/ القاهرة مطبعة حسان ١٩٧٢.

٤ – انظر تفسير الطبري ١٥٠/١ الجزء الأول.

٥ – الآية (٢٩) من سورة البقرة.

ثم بعد ذلك يعلن عن معتقده ببيان معنى العلو والارتفاع وتأويل ذلك عنـــده فيقول :

(والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قوله تعالى ثـم استوى إلى السماء والذي هو بمعنى العلو والارتفاع هربا عند نفسه من أن يلزمـه بزعمه إذا تأوّله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتـها إلى أن تأوّله بالمجهول من تأويله المستنكر، ثم لم ينج مما هرب منه فيقـال لـه زعمت أن تأويل قوله استوى أقبل أفكان مدبرا عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير قيل له فكذلك فقل.

علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال . أ هـ .

والإمام الطبري رحمه الله تعالى إنما يناقش الفراء كما ذكـر فـي عـرض المعنى اللغوي للاستواء. وبذلك نرى أن الإمام الطبري السلفي الزمن والمعتقد قـد تأوّل الاستواء بالعلو والارتفاع ولم يقف عند هذا التأويل بل ذكر أن ذلـك العلـو والارتفاع إنما هو علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال .

وهذا ما عليه أهل الحديث والحفاظ الأئمة مـن بعـده ومنـهم ابـن حجـر العسقلاني الذي يقول في كتابه فتح الباري في شرح صحيح البخاري:

ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محال على الله أن لا يوصف بـالعلو لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى والمستحيل كون ذلك من جهة الحس[١].

---

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١٣٦/٦.

وبالنظر إلى ما ذكره الإمام الطبري من قول الربيع[1] بأن معنى الاستواء هو العلو والارتفاع، فما الذي يمنع أن يكون ما أراده الربيع هو ما أراده الطبري من أن العلو والارتفاع هو علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال، ذلك أن السلف والخلف مدركون جميعا استحالة قيام الحوادث به سبحانه وتعالى وكذلك استحالة كون علوه سبحانه حسيا كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر لأنه سبحانه وتعالى ليس جسما.

كذلك فإن الإمام الطبري رحمه الله تعالى قد أكد بأن المراد من الاستواء هو علو الملك والسلطان لا علو الزوال والانتقال حيث ردّ تفسير آيات الاستواء التي وردت في كتاب الله تعالى إلى آية البقرة فهو يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[2] ... " الآية.

(وقد ذكرنا معنى الاستواء واختلاف الناس فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته)[3]. وهو يعني بذلك آية البقرة ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[4] التي تفسرها: " علا وارتفع علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال ".

---

١ – هو الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي كان عالم مروز في زمانه سجنه أبو مسلم وروى عنه أبو جعفر الرازي وابن المبارك ت سنة(١٣٩هـ)/انظر سير اعلام النبلاء ٦/١٦٩-١٧٠.

٢ – الآية (٥٤) من سورة الأعراف.

٣ – انظر تفسير الطبري ٥/١٤٦ جزء ٨.

٤ – الآية (٢٩) من سورة البقرة.

وكذلك في تفسير آية الاستواء في سورة يونس ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[1] الآية. يقول الإمام الطبري :

ثم استوى على عرشه مدبرا للأمور وقاضيا في خلقه ما أحب لا يضاده في قضائه أحد ولا يتعقب تدبيره متعقب ولا يدخل أموره خلل[2].

وفي تفسير آية الرعد يقول[3] :

وأما قوله ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[4] فإنه يعني علا عليه وقد بينا معنى الاستواء واختلاف المختلفين فيه والصحيح من القول فيما قالوا فيه بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع وهو يعني بذلك:

علا وارتفع علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال

هكذا في بقية الآيات التي ذكرت الاستواء[5] .

مما تقدم يتبين لنا أن السلف رضوان الله عليهم كانوا يدورون بين التأويل والتفويض في فهمهم لآيات الصفات علما بأن التفويض هو درجة

---

١ - الآية (٣) من سورة يونس.

٢ - انظر تفسير الطبري ٧/٦٠ جزء (١١).

٣ - انظر تفسير الطبري ٧/٦٢ جزء (١٣).

٤ - الآية (٢) من سورة الرعد.

٥ - انظر تفسير الطبري ٨/١٠٤جزء١٦، ٩/١٩جزء ١٩و١٠/٥٧ جزء ٢١و١١/١٢٤جزء٢٧

من درجات التأويل كما ذكر ذلك صاحب جوهرة التوحيد بأن المراد من التفويض صرف اللفظ عن ظاهره، مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه بل يترك ويفوّض علمه إلى الله تعالى بأن يقول(الله أعلم بمراده)[١]

وهذا يعني أن التأويل قام في الذهن بأن المراد غير ظاهر اللفظ ولكن أمسك من فوّض من السلف عن بيان معنى اللفظ المراد كما قال الإمام الشافعي رحمه الله عندما سئل أو تحدث عن الاستواء.

(آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي عن الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك) وكما قال الإمام احمد عندما سئل عن الاستواء.

(استوى كما أخبر، لا كما يخطر للبشر)[٢] الذين تخيلوا بأوهامهم أن الله يجلس على الكرسي.

يقول أبو حيان في كتابه (النهر الماد من البحر المحيط):

(وقرأت في كتاب لأحمد بن تيميه هذا الذي عاصرنا وهو بخطه سماه، كتاب العرش : أن الله تعالى يجلس على الكرسي، وقد أخلى منه مكانا يقعد فيه معه رسول الله ﷺ ، تحيل عليه التاج محمد بن علي بن عبد الحق البارنباري وكان أظهر أنه داعية له حتى اخذه منه وقرأنا ذلك فيه) ويقول محقق الكتاب: هذا الموضع حذف من المطبوع[٣]. وزيادة في توثيق الأمر- انظر الصورة المرفقة عن المخطوط للنهر الماد من

---

١ - شرح جوهرة التوحيد للإمام العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري ص ١٤٩.

٢ - انظر شرح جوهرة التوحيد ص ١٦٥.

٣ - انظر النهر الماد لأبي حيان ٢٥٤/١ طبعة مؤسسة الكتب الثقافية/ط دار الفكر الأولى ١٩٨٧.

البحر المحيط وما ذكره أبو حيان عن ذلك بخط يده في الصفحة التالية والتي بعدها.

وقد ذكر الشيخ ابن تيمية في كتابه بيان تلبيس الجهمية معنى قريبا من ذلك حيث يقول: ناقلا عن عثمان بن سعيد الدرامي مقرا لما قال دون رد له :

(وقد بلغنا أنهم حين حملوا العرش وفوقه الجبار في عزته وبهائه ضعفوا عن حلمه واستكانوا، وجثوا على ركبهم، حتى لقنوا " لا حول ولا قوة إلا بالله " فاستقلوا به بقدرة الله وارادته ولولا ذلك ما استقل به العرش ولا الحملة، ولا السموات والارض ولا من فيهن، ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضه فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات والأرض. فيكف تنكر أيها النفاج أن عرشه يقله والعرش أكبر من السموات السبع والأرضين السبع، ولو كان العرش في السموات السبع، والأرضين ما وسعته ولكنه فوق السماء السابعة) [١] .

وإذا كان فريق من السلف يفوضون معاني آيات الصفات فإن الفريق الآخر منهم يؤول معانيها بما يليق بجلال الله تعالى وعظمته وكما قال الفخر الرازي :

" الاستواء في كلام العرب قد يكون بمعنى الانتصاب، وضده الإعوجاج ولما كان ذلك من صفات الأجسام، فالله تعالى يجب أن يكون منزهاً عن ذلك، ولأن في الآية ما يدل على فساده لأن قوله ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴾ يقتضي التراخي، ولو كان المراد من هذا الاستواء العلو بالمكان، لكان ذلك العلو حاصلا أولاً،ولو كان

١ - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٥٦٨/١.

حاصلا أولاً لما كان متأخرا عن خلق ما في السموات والأرض، ولكن قوله ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴾ يقتضي التراخي ولما ثبت هذا وجب التأويل "[1] أ هـ .

ولذلك أوّل بعض السلف كابن مسعود والضحاك وابن مزاحم وابن عباس والحسن البصري وهشيم وجعفر بن نصير وجعفر الصادق وذي النون وغيرهم كما تقدم ثم تبعهم بذلك عامه المفسرين كالطبري وغيره وفيما يلي نذكر أقوال بعض المفسرين في تأويل الاستواء، بعد أن قدمنا أقوال الإمام الطبري رحمه الله تعالى فيما مضى.

خامساً : أقوال المفسرين في الاستواء.

أ- يقول الزمخشري في الكشاف :

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [2] أي قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق الأرض[3]. وسكت عن تفسير الاستواء في سورة يونس والرعد، إلا انه قال في تفسير الاستواء في سورة طه في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [4]: " استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البته. وقالوا ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤاده وإن كان أشرح وابسط وأدل على صورة الأمر. ونحوه قولك:

---

١ - تفسير الفخر الرازي ١٦٩/١ الجزء الثاني طبعة دار الفكر الثانية ١٩٨٣ م بيروت.

٢ - الآية (٩) من سورة البقرة.

٣ - الكشاف للزمخشري ١٢٣/١.

٤ - الآية (٥) من سورة طه.

يد فلان مبسوطة، ويد فلان مغلولة، يعني أنه جواد أو بخيل، لا فرق بين مبسوطة لمساواته عندهم قولهم :

هو جواد ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [١] أي هو بخيل ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [٢] أي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام"[٣]. ا هـ.

ب- ويقول الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب :

أما قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [٤] فاعلم أن يكون المراد منه كونه مستقرا على العرش ويدل على فساده وجوه عقلية ووجوه نقلية أما العقلية فأمور:

أولها : أنه لو كان مستقرا على العرش لكان الجانب الذي يلي العرش متناهيا والإلزام كون العرش داخلا في ذاته وهو محال.

وثانيها : لو كان في مكان وجهة لكان إما أن يكون غير متناه من كل الجهات، وإما أن يكون متناهيا في كل الجهات. وإما أن يكون متناهيا من بعض الجهات دون البعض والكل باطل فالقول بكونه في المكان والحيز باطل

١ – الآية (٦٤) من سورة المائدة.

٢ – الآية (٢٩) من سورة البقرة.

٣ – الكشاف الزمخشري ١/١٢٣.

٤ – الآية (٥٤) من سورة الاعراف.

قطعا [1]. ثم يناقش الرازي رحمه الله فساد هذه الأقوال بالأدلة العقلية حتى يخلص إلى القول.

" وإذا ثبت هذا فنقول : قوله ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ آية محكمه دالة على أن قوله ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ من المتشابهات التي يجب تأويلها وهذه نكتة لطيفة، ونظير هذا أنه تعالى قال في أول سورة الأنعام ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ثم قال بعده بقليل ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ ﴾ فدلت هذه الآية المتأخرة على أن كل ما في السموات، فهو ملك لله فلو كان الله في السموات لزم كونه ملكا لنفسه وذلك محال"[2].

ج- أما القرطبي فيقول :

قلت فعلو الله تعالى وارتفاعه عبارة عن علو مجده وصفاته وملكوته أي ليس فوقه فيما يجب له من معاني الجلال أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركا بينه وبينه، ولكنه العلي بالإطلاق سبحانه[3]. قال ذلك بعد أن ذكر قول أبي عمر بن عبد البر عن أبي عبيدة في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ قال علا. [4] أ هـ .

١- انظر تفسير الفخر الرازي ١٠٦/٧ - ١٠٧ الجزء الرابع عشر..

٢- انظر تفسير الفخر الرازي ١٢٠/٧ - ١٢١ الجزء الرابع عشر.

٣- انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٠/٧ .

٤- انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٠/٧.

د- أما أبو حيان الأندلسي فقد كان في كتابه البحر المحيط [1] ناقلا لآراء العلماء من السلف وغيرهم إلا أنه كان يوجه هذه الأقوال مؤولا كل رأي يحتمل أن يفهم منه تفسير الاستواء على الاستقرار أو العلو المكاني فقال:

" الثاني : علا وارتفع من غير تكييف ولا تحديد، قاله الربيع بن أنس"

يقول أبو حيّان :

والتقدير علا أمره وسلطانه، واختاره الطبري"

" الثالث : أن يكون إلى بمعنى على، أي استوى على السماء".

يقول أبو حيّان معلقا وموجها :

" أي تفرد بملكها ولم يجعلها كالأرض ملكا لخلقه. فهو وإن لم يذكر رأيا مستقلا إلا أنه وجه الأقوال وتأوّلها بما ينزه الباري عزّ وجلّ عن مشابهة الحوادث وما يجوز عليها من الزوال والإنتقال والتحول والحركة والاستقرار.

هـ- ويقول صاحب التحرير والتنوير [2] :

" والاستواء حقيقته الإعتدال، والذي يؤخذ من كلام المحققين من علماء اللغة والمفسرين أنه حقيقة في الارتفاع والاعتلاء كما في قوله تعالى في صفة جبريل ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [3]:

---

١ - انظر البحر المحيط لأبي حيان / ١٣٤- ١٣٥.

٢ - انظر التحرير والتنوير/محمد الطاهر بن عاشور/القسم الثاني من الجزء الثامن ص ١٦٢- ١٦٥طباعة الدار التونسية للنشر الطبعة الأولى ١٩٨٤.

٣ - الآيات (٦-٨) من سورة النجم.

والاستواء له معان متفرقة أشهرها القصد والإعتدال، وقد التزم هذا اللفظ في القرآن مسندا إلى ضمير الجلالة عند الاخبار عن أحوال سماوية، كما في هذه الآية ونظائرها سبع آيات من القرآن: هنا، وفي يونس، والرعد، وطه، والفرقان، والم السجدة، والحديد، وفصلت، فظهر لي أن لهذا الفعل خصوصية في كلام العرب كان بسببها أجدر بالدلالة على المعنى المراد تبليغه مجملا مما يليق بصفات الله ويقرّب إلى الأفهام معنى عظمته تعالى، ولذلك اختير في هذه الآيات دون غيره من الأفعال التي فسّره بها المفسرون.

فالاستواء يعبر عن شأن عظيم من شؤون عظمة الخالق تعالى، اختير التعبير به على طريق الاستعارة والتمثيل، لأن معناه أقرب معاني المواد العربية إلى المعنى المعبر عنه من شؤونه تعالى، فإن الله لمّا اراد تعليم معاني من عالم الغيب لم يكن يتأتى ذلك في اللغة إلا بأمثلة معلومة من عالم الشهادة، ولذلك يكثر في القرآن ذكر الاستعارات التمثيلية والتخيلية في مثل هذا وقد كان السلف يتلقون أمثالها بلا بحث ولا سؤال لأنهم علموا المقصود الإجمالي منها فاقتنعوا بالمعنى مجملا.

إلى أن يقول وأحسب أن استعارته تختلف بقرينة الحرف الذي يعدى به فإن عدي بحرف (على) كما في هذه الآية ونظائرها فهو مستعار من الاعتلاء مستعمل في اعتلاء مجازي يدل على معنى التمكن، فيحتمل أنه اريد منه التمثيل، وهو تمثيل شأن تصرفه تعالى بتدبير العوالم ولذلك نجده بهذا التركيب في الآيات السبع واقعا عقب خلق السموات والأرض، فالمعنى حينئذ:
خلقها ثم هو يدبر أمورها تدبير الملك أمور مملكته مستويا على عرشه.
ومما يقرب هذا المعنى قول النبي – ﷺ :

" يقبض الله الارض ويطوي السماوات يوم القيامة ثم يقول: أنا الملك أين ملـوك الأرض"[1]. ولذلك أيضا عقب هذا التركيب في مواقعه كلها بمـــا فيـــه معنـــى التصرف كقوله هنا ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ الخ الآيات، فإذا عـــدي فعـل الإستواء بحرف اللام- يعني إلى- فهو مستعار من معنى القصد والتوجه وإلـى معنى تعلق الإرادة كما في قوله ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [2] ... ا هـ.

و- ويقول العلامة شهاب الدين الألوسي[3] :

بعد أن نقل قول مالك رضي الله عنه الذي قـــال فيـــه ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع إلى أخر مـــا قال، فقال الآلوسي : " ثم إن هذا القول إن كان مع نفي اللاّزم فالأمر فيه هيـــن وإن كان مع القول بها والعياذ بالله تعالى فهو ضلال وأي ضلال وجـــهل وأي جهل بالملك المتعال.

ز- ويقول ابن كثير في تفسيره [4] .

وأما قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ فللناس في هذا المقـــام مقـــالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقـــام مذهـــب السـلف

---

١ - رواه البخاري في أربعة مواضع من صحيحة (٥٥١/٨ فتح،٣٧٢/١١ فتح و٣٦٧/١٣و٣٩٣ فتـــح) ومسلم برقم (٣٧٨٧).

٢ - الآية (٢٩) من سورة البقرة.

٣ - انظر روح المعاني للآلوسي ١٣٤/٨-١٣٥ طبعة دار الفكر بيروت ١٩٧٨م.

٤ - تفسير ابن كثير ٢٢٠/٢ طبعة دار المعرفة بيروت /١٩٦٩.

الصالح، مالك والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهوية، وغيرهم من ائمة المسلمين قديما وحديثا وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ولا يشبه شيئا من خلقه و ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1].

ح- وقال نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري في تفسيره [2] .

والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الأجسام وأنه تعالى منزه عن ذلك ثم نقل ما قاله الرازي في هذه المسألة.

ط- ويقول ابن عطية في المحرر الوجيز بعد أن نقل الآراء في المسألة[3].

والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث ويبقى استواء القدرة والسلطان.

مما تقدم ذكره من نقول الآيات الكريمة والاحاديث واقوال السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم من أئمة أهل العلم في القرون الثلاثة الأولى ومن اقوال الإمام الطبري الذي يعنينا رأيه هنا وكذلك من بعده من المفسرين على مختلف العصور وكذلك أقوال أئمة الحديث نستطيع القول بأن الاستواء على العرش هو استواء الملك والسلطان أو كما قال الطبري رحمه الله تعالى بأنه:

---

١ - الآية (١١) من سورة الشورى.

٢ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان/القمي النيسابوري ١٢٩/٨ مجلد ٧-٨ طبعة البابي الحلبي وأولاده الأولى/القاهرة.

٣ - المحرر الوجيز لابن عطيه ٢٢٣/١ -٢٢٤ طبعة الشيخ خليفة الأولى ١٩٧٧ قطر.

علو الملك والسلطان لا علو الزوال والانتقال كالأجسام ليتقرر تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الجسميه أو ما يمت إليها بأي صلة (إذ ليس كمثله شيء) ولا يمكن لجميع العقول المخلوقة من ملائكة وانبياء ورسل وإنس وجن إدراك كنه ذاته عز وجل فنؤمن بالله موجودا وأنه مستو على العرش لا كما يخطر لنا ولا كما تتخيل الأذهان من التشبيه بالمخلوقات وإدراك المرء للعجز عن تصور الباري إدراك فليس كمثله شيء وهو السميع البصير لأن الخالق القادر لا يقدر عليه بالتصور أو الخيال فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

وأن أي قول بالاستواء الحسي والذي بعنى الجلوس قول باطل مردود لما فيه من تشبيه لله عز وجل بالمخلوقات ولما فيه من التجسيم الذي تنزه الله تعالى عنه، كما أن ذلك ترفضه العقول السليمة بما دلت عليه هذه العقول من مخالفة الله تعالى للحوادث.

فتبارك الله وتعالى عن المشابهة للخلق ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

المبحث الثاني

العلـــو :

أولاً : العلـــو في اللغـــة :

قال الراغب في مفرداته تحت مادة علا[1] :

(العلو ضد السفل، والعلوي والسفلي المنسوب إليهما، والعلو، والارتفاع، وقد علا يعلو علوا وهو عال، وعلي، يعلى علا فهو فعلا بالفتح في الأمكنة والأجسام أكثر قال تعالى : ﴿ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ ﴾[2].

والعلي هو الرفيع القدر من علي، وإذا وصف الله تعالى به في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[3] - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾[4] فمعناه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العـــارفين وعلـــى ذلـــك يقـــال نحـــو ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[5] وتخصص لفظ التفاعل لمبالغة ذلـــك منـــه لا على سبيل التكلف كما يكون من البشر.

---

١ - المفردات للراغب ص (٣٤٥).

٢ - الآية (٢١) من سورة الانسان.

٣ - الآية (٢٣) من سورة سبأ.

٤ - قال الإمام البيهقي في الإعتقاد ص ٣٥: الكبير هو الموصوف بالجلال وكـــبر الشـــأن فصغـــر دون جلالة كل كبير وقيل هو الذي كبر عن مشابهة المخلوقين.

٥ - الآية (١٩٠) من سورة الأعراف.

والأعلى: الأشرف قال : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [1] والاستعلاء قد يكون طلب العلو المذموم، وقد يكون طلب العلاء أي الرفعة.

أما قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [2] فمعناه : أعلى من أن يقاس به أو يعتبر بغيره. اهـ .

ثانياً : آيات واردة في العلو :

أ – قال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [3].

ب– قال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [4]

---

١ – الآية(٢٤) من سورة النازعات.

٢ – الآية (١) من سورة الأعلى.

٣ – الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

٤ – الآية (٦٢) من سورة الحج.

ج- قال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (١).

د- قال تعالى :

﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (٢).

هـ- قال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٣).

و- قال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٤) .

ز- قال تعالى :

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴾ (٥) .

---

١ - الآية (٣٠) من سورة لقمان.

٢ - الآية (٢٣) من سورة سبأ.

٣ - الآية (٨٤) من سورة الزخرف.

٤ - الآية (١٨) من سورة الأنعام.

٥ - الآية (٥٠) من سورة النحل.

ح- قال تعالى :

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿16﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾ [١] .

ط- قال تعالى :

﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [٢].

ثالثاً : أقـوال السلف في العلـو :

قال الإمام الطحاوي[٣] رحمه الله تعالى في عقيدته التي ذكر في مقدمتـــها[٤] أنها عقيدة الإمام أبي حنيفة وصاحبيه الإمام محمد بن الحسن الشيباني،والقاضي أبو يوسف ما نصه :

وتعالى الله عن الحدود والغايات والأركان والأعضـــاء والأدوات لا تحويـــه الجهات الست كسائر المبتدعات[٥] والعلو واحد من هذه الجهات الست.

---

١ - الآيات (١٦-١٧) من سورة الملك.

٢ - الآية (١٠) من سورة فاطر.

٣ - الإمام الطحاوي هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، ولد سنة ٢٣٩هـ أي أنه من أهل القرون الثلاثة الأولى (السلف) المشـهود لـهم بالخيريـة. انظـر شرح العقيدة الطحأويه لأبي العز الحنفي ص ٣١٣.

٤ - انظر شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي ص ٤٤-٤٥ الطبعة الثانية دار الفكر ١٤٠٢هـ.

٥ - انظر شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي ص ٧٣-٧٥.

وقال أيضا : وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه وقد اعجز الاحاطة به خلقه[1]. يقول الإمام السبكي[2]:

" وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة-ولله الحمد في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية فلم نر مالكيا إلا أشعريا عقيدة، وبالجملة عقيدة الأشعري هي ما تضمنته عقيدة ابي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة".

وهذا القول من السبكي يدل على أن العقيدة الطحاوية هي عقيدة أهل المذاهب الأربعة التي سارت على طريقة السلف وأقر الكثير بها لا على الطريقة التي حرف بها ناشر كتاب العقيدة الطحاوية كلام السبكي حيث نقل كلام السبكي محرفا له فقال وهذه المذاهب الأربعة- ولله الحمد- في العقائد واحدة، إلا من لحق بأهل الإعتزال والتجسيم وإلا فجمهورها على الحق يقرون عقيدة ابي جعفر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفا وخلفا بالقبول[3] أ هـ .

فانظر إلى هذا التلاعب في نقل النصوص بما يحرف أقوال العلماء من أجل الوصول إلى تسويق الضلال على البسطاء من المسلمين الذين لا يدققون وراء أولئك المحرفين للنصوص بما يخدم باطلهم وينصر رغبتهم نسأل الله السلامة مما يقولون ويفعلون.

---

١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي ص ٩٣. ذ.

٢ - معيد النعم للإمام السبكي ص ٦٢ طبعة مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى (١٩٨٦)م.

٣ - انظر شرح العقيدة الطحاوية تحقيق مجموعة من العلماء/نشرها زهير الشاويش الطبعة الثالثة ص٥.

وما ذلك التحريف إلا لترويج مذهبهم بالقول بأن الله في السماء مكانا تعالى الله عن ذلك. وهم ينسبون ذلك للسلف بل ويدعون أن دليلهم هو حديث الرسول ﷺ الذي يرويه مسلم من حديث معاوية بن الحكم قال :

" كانت لي جارية ترعى غنما لي، فانطلقت ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب بشاة، وأنا من بني آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي. فقلت: ألا أعتقها؟

قال " أئتني بها ".

فأتيته بها، فقال لها : أين الله ... ؟ "

قالت: في السماء .

قال : " من أنا " قالت : أنت رسول الله .

قال " أعتقها فإنها مؤمنة "[1].

وفي هذا الحديث يخالف الإمام مسلم رحمه الله تعالى كثيرا من الحفاظ في مصنفاتهم فهذا اللفظ الذي جاء في صحيح مسلم لم يرد عندهم بل رووه بلفظ " أتشهدين أن لا اله إلا الله"؟ فقالت : نعم . قال : أتشهدين أني رسول الله؟ قالت نعم قال أتؤمنين بالبعث بعد الموت؟ قالت نعم قال فأعتقها"[2] .

وهذا اللفظ الذي عند أحمد هو الذي يلائم ما تواتر عن النبي ﷺ أنه إذا أتاه شخص يريد الإسلام سأله عن الشهادتين ولم يكن يسأل أين الله؟ وأن ما رواه مسلم رحمه الله تعالى قد يكون بالمعنى أو أنه يحتمل ذلك.

---

١ - رواه مسلم في صحيحه (٣٨٢/١)برقم ٥٣٧) ولم يروه البخاري.

٢ - رواه احمد في مسنده (٤٥٢/٣ وعبد الرزاق في المصنف (١٧٥/٩) والبزاز (٤/١ كشف) والدرامي (١٨٧/٢) وغيرهم قال الهيثمي في المجمع ٢٤٤/٤) ورجاله رجال الصحيح.

فإذا تطرق الإحتمال إلى الدليل يسقط الإستدلال به في مسائل الفقه وغيرها فكيف يستدل به على أصل من أصول العقيدة ؟! .

وهناك أمثلة أخرى من هذا النوع من الاستدلال أذكر منها :

ما ستدل به الإمام الذهبي في كتابه العلو والذي اختصره الشيخ الألباني في كتاب مختصر العلو مع مناقشتها والتي منها نصوص حديثية وأقوال لبعض السلف في المسألة. ونكتفي بحديث وقول للسلف خشية الإطالة.

١- أما الحديث :

ففي مختصر العلو :

حديث قتادة بن النعمان أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

" لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه "وقال" رواته ثقات رواه أبو بكر الخلال في كتاب السنة له " [١].

" وذكر ابن القيم في الجيوش الاسلامية ص ٣٤ أن اسناده صحيح على شرط البخاري".

والحق أن هذا الحديث منكر ذكره الذهبي في ترجمة فليح بن سليمان في كتابه الميزان (٣/٣٦٥) على انه من منكراته كما هي عادته في ذكر منكرات الرجل في كتابه الميزان، وقد نص على نكارته الحافظ البيهقي في الاسماء والصفات[٢].

---

١ - مختصر العلو للذهبي/ ناصر الدين الألباني ص ٩٨ طبعة المكتب الاسلامي الأولي دمشق ١٩٨١م.

٢ - انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص (٣٥٥).

وقد خالف الشيخ الالباني نفسه وقال في الحديث عكس ما قاله في مختصر العلو في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٧٨/٢) حيث قال عن هذا الحديث إنه منكر جدا وذكر بأنه يشتم من هذا الحديث رائحة اليهود الذين يزعمون أن الله تبارك وتعالى بعد أن فرغ من خلق السموات والأرض استراح وخاصة أن للحديث تكملة وهي :

" واستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال لا ينبغي لأحد من خلقه أن يفعل هذا.

كذلك فقد بين البيهقي أن في السند انقطاعا ذكر ذلك في الاسماء والصفات[١].

٢- أما قول السلف :

ففي مختصر العلو أن الإمام أبا حنيفه رحمه الله تعالى سئل عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الارض فقال قد كفر لأن الله تعالى يقول : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ . وعرشه فوق سمواته.
فقلت :

" إنه يقول على العرش استوى ولكنه قال لا يدري العرش في السماء أو في الارض فقال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر"[٢] أ هـ .

---

١ – انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص (٣٥٥).

٢ – مختصر العلو للذهبي / ناصر الدين الالباني ص (١٣٦).

هذا الكلام المنقول عن الإمام ابي حنيفة رواه عنه أبو مطيع البلخي وكـــان كذابا وضاعا كما قال أئمة الحديث ففي الميزان للذهبي (١/٥٧٤) قال الإمام احمد: " لا ينبغي أن يروي عنه شيء، وعن يحيى بن معين ليــس بشــئ، وقــال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٢/٣٣٥ الطبعة الهندية: قال ابو حاتم الــرازي: كان مرجئا كذابا، وختم ابن حجر ترجمته يقول فيه وقد جزم الذهبي بأنه قد وضـع حديثا. ينظر في ترجمة عثمان بن عبدالله الأموي :

فهذه القصة التي يراد منها إثبات أن أبا حنيفة كان يقول بالعلو الحسي كمـا ترى مكذوبة كلها.

رابعاً : العلـــو عند ابن جريــر الطبري :

قال الإمام الحافظ محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى في آية الكرسي ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [1].

" واختلف أهل البحث في معنى قوله تعالى وهو العلي العظيم " فقال بعضهم: يعني بذلك : وهو العلي عن النظير والاشباه وانكروا أن يكون معنى ذلك هو العلي المكان، وقالوا غير جائز ان يخلو منه مكان ولا معنى لوصفه بعلو المكان لأن ذلك وصفه بأنه في مكان دون مكان.

وقال آخرون: معنى ذلك وهو العلي على خلقه بارتفاع مكانه عـــن أمـاكن خلقه لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه وخلقه دونه كما وصف نفســه أنــه علـى

---

١ – الآية (٢٥٥) من سورة البقرة

العرش استوى فهو عال بذلك عليهم"[1] أ هـ كلام الطبري في تفسير العلي في آية الكرسي.

ومن الملفت للنظر أن الطبري في هذه الآية نقل الأقوال دون توجيه أو نقد أو ذكر لقول نفسه وكأنه لم يرد بيان شيء في هذا الموضع.

إلا أنه عند تفسير قوله تعالى:

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [2] قال ما نصه.

(يقول تعالى ذكره لله ملك ما في السموات وما في الأرض من الأشياء كلها وهو العلي يقول هو ذو الارتفاع على كل شيء والاشياء كلها دونه لإنهم في سلطانه جارية عليهم قدرته ماضية فيهم مشيئته) [3] ذكر العلو وأشار إلى علو السلطان والقدرة.

إلا أن الإمام الطبري قد افصح تماما عن المراد بالعلو عند تفسير قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [4] حيث يقول :

" يعني تعالى ذكره بقوله وهو نفسه يقول والله القاهر فوق عباده ويعني القاهر المذلل المستعبد خلقه العالي عليهم وإنما قال فوق عباده لأنه وصف نفسه تعالى بقهره إياهم ومن صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام إذا

---

١ - تفسير الطبري ٣/٩/ الجزء ٣.

٢ - الآية (٤) من سورة الشورى.

٣ - تفسير الطبري ١٣٧/١٧ جزء ٩.

٤ - الآية (١٨) من سورة الانعام.

والله الغالب عباده المذللهم العالي عليهم بتذليله لهم وخلقه إياهم فهو فوقهم بقهره إياهم وهم دونه"[1].

وهذا يعني أن العلو والارتفاع عند الطبري ليس علو مكان بل هو علو ملك وسلطان كما ذكر هو نفسه ذلك في تفسير الاستواء وقد تقدم الكلام فيه. وهذا القول يساوي تماما قول ابن عاشور في التحرير والتنوير ويقول[2] :

(فوق في قوله ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ ظرف متعلق (بالقاهر) وهو استعارة.

تمثيلية لحالة القاهر بأنه يأخذ المغلوب من أعلاه. فلا يجد معالجة ولا حراكا وهو تمثيل بديع ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[3].

وبذلك يكون الإمام الطبري قد أول العلو بأنه علو الملك والسلطان لا علو الزوال والانتقال.

---

١ - تفسير الطبري ١٠٣/٥ جزء (٧).

٢ - التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦٥/٨ مجلد ٧-٨.

٣ - الآية (١٢٧) من سورة الأعراف.

خامساً : أقـــوال المفسرين في العـــلـــو

أ- يقول الزمخشري: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾ الشأن[١]، ويقول عند تفسير قوله تعـالى ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [٢] فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبـة والقدرة كقوله ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [٣].

ب- ويقول الفخر الرازي :

(اعلم أنه لا يجوز أن يكون المراد منه العلو بالجهة وقـد دللنـا علـى ذلـك كثيرا)[٤].

ويقول في كتابه الأربعين في أصول الدين:

(الحجة السادسة العالم كرة فإذا كان كذلك وجب أن لا يكون في الجهة أصلا وإنما قلنا إن العالم كرة وذلك لإنا إذا رصدنا كسوفا قمريا، فإذا وجدناه في البـلاد الشرقية في أول الليل وجدناه في البلاد الغربية في آخر الليل فعلمنا أن أول الليـل في المشرق هو آخر الليل بعينه في المغرب وذلك يدل على أن العالم كرة.

إذا ثبت هذا فنقول الجهة التي فوق رأسنا هي بعينها أسـفل لأولئـك الذيـن يكونوا على ذلك الوجه الآخر من الأرض ولو كان فوقا لهم لكان أسفل بالنسبة إلينا فثبت أنه لو كان في جهة لوجب أن يكون أسفل بالنسبة إلى بعض الجوانب ولمـا كان ذلك باطلا. ثبت أنه يمتنع كونه تعالى في المكان والجهة) [٥] أ هـ .

---

١ – الكشاف للزمخشري ٣٠١/١.

٢ – الآية (١٨) من سورة الانعام.

٣ – الكشاف للزمخشري ١٠/٢.

٤ – تفسير الرازي ١٣/٧.

٥ – كتاب الاربعين في أصول الدين الفخر الرازي ص ١١٣.

ج- ويقول القرطبي في تفسير العلو:

(والعلي يراد به علو القدرة والمنزلة لا علو المكان لأن الله منزه عن التحيز [١]).

ويقول في تفسير قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [٢].

ومعنى ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم أي هم تحت تسخيره لا فوقية مكان كما تقول : السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة[٣].

د- أما أبو حيان الأندلسي فيقول :

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [٤] علي في جلاله عظيم في سلطانه، قال ابن عباس الذي كمل في عظمته، وقيل العلي الرفيع فوق خلقه المتعالي عن الأشباه والأنداد. وقيل العالي من علا يعلو ارتفع أي العالي فوق خلقه بقدرته.

وقال قوم العالي فوق خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه، قال ابن عطيه وهذا قول جهلة مجسمين وكان الوجه أن لا يحكى وقال ايضا: العلي يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لإن الله منزه عن التحيز [٥].

---

١ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٨/٣ مجلد (٢).

٢ - الآية (١٨) من سورة الأنعام.

٣ - انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٩٩/٦ مجلده ٥-٦.

٤ - الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

٥ - انظر الجامع لاحكام القران للقرطبي ٣٩٩/٦ مجلد ٥-٦.

ثم هو يؤكد هذا الأمر عند تفسير قوله تعالى :

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [1]: فيقول: هذا مجاز وقد قام البرهان العقلي على انه تعالى ليس بمتحيز في جهة ومجازه أن ملكوته في السماء لأن ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ صلة من، ففيه الضمير الذي كان العامل فيه وهو استقر، اي في السماء هو، أي ملكوته، فهو على حذف مضاف وملكوته في كل شيء لكن خص السماء بالذكر لأنها مسكن ملائكته، وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ، ومنها تنزل قضاياه، وكتبه وأمره ونهيه، وقيل على حذف مضاف أي خالق السماء وقيل من هم الملائكة وقيل جبريل وهو الملك الموكل بالخسف وغيره، وقيل بمعنى علا ويراد بالعلو القهر والقدرة لا بالمكان. وفي التحرير الإجماع منعقد على أنه ليس في السماء بمعنى الاستقرار لان من قال من المشبهة والمجسمة أنه على العرش لا يقول بأنه في السماء[2].

هـ- ويقول ابن عاشور في التحرير والتنوير :

وعطف عليه ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [3] لأنه من تمامه والعلو والعظمه مستعاران لشرف القدر وجلال القدرة[4].

وقد ذكرنا فيما مضى تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ ﴾ [5].

---

١ - الآية (١٦) من سورة الملك.

٢ - انظر البحر المحيط لأبي حيان ٢/٢٨٠-٢٨١.

٣ - الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

٤ - البحر المحيط لأبي حيان ٨/٣٠٢.

٥ -الآية (١٨) من سورة الأنعام.

و- وقال الآلوسي :

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾ أي المتعالي عن الأشباه، والأنداد والأمثال، والأضداد) وعن أمارات النقص، ودلالات الحدوث، وقيل هو من العلو الذي هو بمعنى القدرة والسلطان وعلو الشأن والقهر والاعتلاء والجلال والكبرياء[1].

ز- ويقول ابن كثير :

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ كقوله وهو ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ .

وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح (أمروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه[2]. وهذا تفويض من ابن كثير لمعنى العلي.

ح- قال ابن عطية :

﴿ ٱلْعَلِيُّ ﴾ يراد به علو القدرة والمنزلة لا علو المكان لأن الله منزه عن التحيز، حكى الطبري عن قوم أنهم قالوا العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن اماكن خلقه قال القاضي ابو محمد رحمه الله تعالى: وهذا قول جهلة مجسمة وكان الوجه أن لا يحكي) [3].

ويقول السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور:

(وأخرج الطبراني في السنة عن ابن عباس تفسير آية الكرسي إلى

---

١ - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢/٣.

٢ - المحرر الوجيز لابن عطية ٣٨٧/٢.

٣ - الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي٢/١٠-١٩ طبعة دار الفكر الأولى بيروت (١٩٨٣)م.

أن قال وهو العلي العظيم يريد لا أعلى منه ولا أعظم منه ولا أعز منه ولا أجل منه ولا أكرم) [1].

ط- ويقول الطوسي :

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [2] لعلي يعني بالاقتدار – ونفوذ السلطان ويقال علا بالاقتدار ولا يقال رفيع لإن الرفعة في المكان، والعلو منقول إلى معنى الإقتدار يوضح ذلك قولهم: على بالحجة، ولا يقال ارتفع عليه بالحجة، وتقول: علا يعلو علوا، وأعلى إعلاء وعلي تعلية، واستعلى استعلاء، وتعلى تعليا، وتعالى تعاليا، واعتلاه اعتلاء وعالي معالاة، والعلو بضم العين وكسرها- نقيض السفل، والعلو التجبر ومنه قوله ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [3] أي تجبر، لإنه طلب الاستعلاء على الناس بالسلطان والقهر، والله العالي والمتعالي أي القادر القاهر لأنه عال بالاقتدار لأنه لا يعجزه شيء[4].

يتضح مما تقدم أن السلف والخلف قد أجمعوا أن الله تعالى لا تحويه الجهات ولا يحتاج إلى المخلوقات لتكون مكانا لذاته سبحانه وتعالى وأنه متعال عن خلقه، كان قبل المكان، وأنه بعد أن خلق المكان منزه عن الحاجة إليه سبحانه وتعالى.

---

١ – ابن كثير ٣١٠/١.

٢ – الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

٣ – الآية (٤) من سورة القصص.

٤ – التبيان للطوسي ٣١٠/٢ تحقيق احمد شوقي الأمين وأحمد حبيب/مكتبة النجف الأشرف/المطبعة العلمية في النجف.

المبحث الثالث

المجيء والإتيان

أولاً : الآيات الواردة في ذلك:

أ- قال تعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (١).

ب- قال تعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (٢).

ج- قال تعالى :

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (٣).

١ - الآية (٢١٠) من سورة البقرة.

٢ - الآية (١٥٨) من سورة الانعام.

٣ - الآية (٢٢) من سورة الفجر.

قال القاضي البيضاوي في طوالع الأنوار:

(تشهد بديهة العقول بأن المتحرك ينتقل من مكان إلى آخر) [1].

وقال أبو محمد :

(ويبطل قول من وصف الله تعالى بأنه جسم وقول من وصفه بحركة تعالى عن ذلك.

لأن الضرورة توجب أن كل متحرك فذو حركة وأن الحركة لمتحرك بها وهذا من باب الإضافة والصورة في المتصور لمتصور وهذا ايضا من باب الإضافة.

فلو كان كل متصور متصورا وكل محرك محركا لوجب وجود أفعال لا أوائل لها وهذا قد أبطلناه فيما خلا من كتابنا بعون الله لنا وتأييده- أي أنه باطل لضرورة القول بالدور- فوجب وجود محرك ليس متحركا ومصورا ليس متصورا ضرورة ولا بد وهو الباري تعالى محرك المتحركات ومصور المتصورات لا إله إلا هو وكل جسم فذو صورة وكل ذو حركة فذو عرض محمول فيه فصح أنه تعالى ليس جسما ولا متحركا) [2].

ولما كان المجيء والإتيان يقتضيان الانتقال من مكان إلى مكان واشغال مكان وتفريغ مكان لزوما كان المنتقل جسما متحيزا ولزم كذلك الحد للمتحيز والله عز وجل ليس بجسم ولا متحيز فثبت بضرورة العقل أن الله تعالى لا يجوز في حقه أن يوصف بالمجيء والإتيان لأن ذلك من صفات الأجسام.

---

١ - طوالع الأنوار من مطالع الأنظار للبيضاوي ص ١٧٠.

٢ - الملل والأهواء والنحل/ابن حزم ٢/٢٨٠ طبعة دار الجليل بيروت ١٩٨٥م.

ولذلك فإن علماء الأمة قديما وحديثا صاروا بالنسبة لهذه القضية بين أمرين إما التأويل لهذه الظواهر، وإما التفويض لمعانيها إلى قائلها سبحانه وتعالى.

ثانياً : من أقوال السلف في هذه المعاني :

أ- روى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ :

(إن هذا من المكتوم الذي لا يفسر ولم يزل السلف في هذا وأمثاله يؤمنون ويكلون فهم معناه إلى علم المتكلم به وهو الله تعالى"[1] أ هـ وهذا تفويض لمعنى الإيتان وعدم الخوض فيه.

ب- وقال أبو سليمان[2] رحمه الله في معالم السنن:

وهذا من العلم الذي أمرنا الله أن نؤمن بظاهره وأن لا نكشف عن باطنه وهو من جملة المتشابهه، ذكره الله تعالى في كتابه فقال ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[3]الآية: فالمحكم منه يقع به العلم الحقيقي والعمل، والمتشابه يقع به الايمان والعلم الظاهر).

---

١ - انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٢/١٢٤.

٢ - ابو سليمان هو الخطابي رحمه الله.

٣ - الآية (٧) من سورة آل عمران.

ج- وروى البيهقي بإسناد صحيح عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه أول قوله تعالى ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ انه ثوابه[1].

د- وروى القاضي أبو يعلى عن أحمد بن حنبل أنه أول قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي قدرته[2].

هـ- وقال البيهقي رحمه الله تعالى :

(وأما الإتيان والمجيء فعلى قول أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه، يحدث الله تعالى يوم القيامة فعلا يسميه إتيانا ومجيئا لا بأن يتحرك أو ينتقل، فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الإجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء).

وهذا كقوله عز وجل ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [3] ولم يرد به إتيانا من حيث النقلة وإنما أراد إحداث الفعل الذي به خرب بنيانهم وخر عليهم السقف من فوقهم فسمى ذلك الفعل إتيانا[4].

وفي هذا يظهر أن السلف كانوا في هذه القضية يدورون بين التفويض لمعنى الإتيان والمجيء المنسوبة إلى الله تعالى وبين التأويل بما يعني ويؤكد أن

---

١ - البداية والنهاية لابن كثير ٣٢٧/١٠.

٢ - انظر البحر المحيط لأبي حيان١٢٤/٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦/٣/مجلد ٢.

٣ - الآية (٢٦) من سورة النحل.

٤ - الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٥٠-٤٥١.

التأويل والتفويض ليس بدعه يكفر من قال بهما من الخلف وإنما لهم سندهم من أقوال السلف الصالح رضوان الله عليهم ثالثاً : موقف الإمام الطبري من الإتيان والمجيء المنسوب لرب العالمين.

ولقد فوض الإمام الطبري رحمه الله تعالى كما فوض السلف هذه الايات فقال : القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ ﴾ (١) يعني بذلك هل ينظر المكذبون بمحمد ﷺ وما جاء به إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة(٢).

وقد سكت رحمه الله تعالى عن تأويلها وأقرها كما جاءت على مذهب من قال من السلف رضي الله عنهم بالإقرار والإمرار مفوضا معناها إلى الله تعالى في جميع الآيات التي ذكر فيها المجيء والإتيان كما هو مبين في تفسيره رحمه الله.

رابعاً : أقوال المفسرين في تفسير آيات الإتيان والمجيء:

أقوال المفسرين في تفسير آيات الأتيان والمجيء

أ- يقول الزمخشري عند تفسير قوله تعالى :

﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٣) إتيان الله إتيان أمره وبأسه كقوله ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ ﴾ (٤).

---

١ - الآية (٢١٠) من سورة البقرة.

٢ - انظر تفسير الطبري ٢/١٩٠.

٣ - الآية (٢١٠) من سورة البقرة.

٤ - الآية (٣٣) من سورة النحل.

﴿ جَآءَهُم بَأْسُنَآ ﴾ [1] ويجوز أن يكون المأتي به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله(فإن الله عزيز) [2] أ هـ

فإن قلت : ما معنى إسناد المجيء إلى الله والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة.

قلت : هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه. مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم.

ب- وقد بين الرازي في تفسيره الأدلة العقلية على وجوب تأويل آيات المجيء والإتيان بإسهاب وتوسع نذكر من ذلك قوله :

المسألة الثانية : أجمع المعتبرون من العقلاء على أنه سبحانه وتعالى منزه عن المجيء والذهاب ويدل عليه أمور :

أولها : ما ثبت في علم الأصول أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان ومالا ينفك عن المحدث محدث فيلزم أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب يجب أن يكون محدثا والإله القديم يستحيل أن يكون كذلك) [3].

وكذلك إن الإنتقال يلزم منه التحيز والجسمية والتركب وغيرها وقد ذكرها الرازي رحمه الله مستدلا على بطلانها بالأدلة العقلية القاطعة إلى أن قال

---

١ – الآية (٥) من سورة الاعراف.

٢ – الكشاف للزمخشري ٢٥٣/١.

٣ – تفسير الفخر الرازي ٢١٢/٥

إذا عرفت هذا فنقول :

اختلف أهل الكلام في قوله ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [1] وذكروا فيه وجوها:

الأول : وهو مذهب السلف الصالح أنه لما ثبت بالدلائل القاطعة أن المجيء والذهاب على الله تعالى محال علمنا قطعا أنه ليس مراد الله تعالى من هذه الآية هو المجيء والذهاب وأن مراده بعد ذلك شيء آخر فإن عينا ذلك المراد لم نأمن الخطأ، فالأولى السكوت عن التأويل وتفويض معنى الآية على سبيل التفصيل إلى الله تعالى.

الثاني : وهو قول المتكلمين: أنه لا بد من التأويل على سبيل التفصيل ثم ذكروا وجوها منها، آيات الله ذكر ذلك لتفخيم، أمر الله، أن يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب وغيرها"[2].

ج- ويقول القرطبي :

فمعنى الآية ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ إلا أن يظهر الله فعلا من الأفعال مع خلق من خلقه يقصد إلى مجازاتهم ويقضي في أمرهم ما هو قاض. وكما أنه سبحانه أحدث فعلا سماه نزولا واستواء كذلك يحدث فعلا يسميه إتيانا[3].

وقال في قوله تعالى ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ أي أمره وقضاؤه قاله الحسن[4].

---

١ - الآية (٢١٠) من سورة البقرة

٢ - انظر تفسير الفخر الرازي ٣/٢٦/ المجلد الثاني .

٣ -الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٢٦/المجلد الثاني.

٤ - الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٥٥/ المجلد العاشر.

د- وقال أبو حيان:

والإتيان حقيقة هو الانتقال من حيز إلى حيز وذلك مستحيل بالنسبة إلى الله تعالى[1]ثم ذكر بعد ذلك تأويلات المتأخرين وذكر أوجها من تأويلاتهم مر أكثرها فيما سبق.

هـ- وقال العلامة محمد الطاهر بن عاشور:

"والإتيان حضور الذات في موضع من موضع آخر سبق حصولها فيه وأسند الإتيان إلى الله تعالى في هذه الآية على وجه الإتيان فاقتضى ظاهرة اتصاف الله تعالى به، ولما كان الإتيان يستلزم التنقل أو التمدد ليكون حالا في مكان بعد أن لم يكن به حتى يصح الإتيان وكان ذلك يستلزم الجسم والله منزه عنه، تعين صرف اللفظ عن ظاهره بالدليل العقلي.

فإن كان الكلام خبرا أو تهكما فلا حاجة للتأويل، لأن اعتقادهم ذلك مدفوع بالأدلة وإن كان الكلام وعيدا من الله لزم التأويل لأن الله تعالى موجود في نفس الامر لكنه لا يتصف بما هو من صفات الحوادث كالتنقل والتمدد ولما علمت فلا بد من تأويل هذا عندنا على أصل الأشعري في تأويل المتشابه "[2].

وقد تقدم تأويل الأشعري رحمه الله تعالى على انه فعل يخلقه الله يسمى إتيانا.

و- وقال ابن عطية: (والمعنى يأتيهم حكم الله وأمره ونهيه وعقابه) [3].

وأما ما أخرجه السيوطي في الدر المنثور في التفسير المأثور (١/٥٨٠) من

---

١ - البحر المحيط لأبي حيان ٢/١٢٤.

٢ - التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢/٢٨٤.

٣ - المحرر الوجيز لابن عطية ٢/٢٠٠.

رواية ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال " يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما شاخصة أبصارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء وينـزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي) الحديث .

فهذا حديث منكر كما نص على ذلك الذهبي في تعليقه على المستدرك ٥٩٢/٤ الطبعة الهندية / دار الفكر بيروت ١٩٨٧م.

وكذلك فإنه مدفوع بالأدلة العقلية القاطعة التي قررها العلماء في علم الأصول من أنه إذا تعارضت الأدلة النقلية مع القواطع العقلية تؤول الأدلة النقلية على مقتضى القواطع العقلية من اجل تنـزيه الخالق سبحانه وتعالى عن مشابهة الحوادث إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

والنـزول من العرش إلى الكرسي يقتضي الحركة والحيز والجسمية وغيرها من اللوازم التي تتنـزه الرب سبحانه وتعالى عنها.

المبحث الرابع

الطي واليد والقبضة

أولاً : الآيات الواردة في ذلك :

أ- قال تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (1).

ب- وقال تعالى :

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ (2).

ج- وقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (3).

---

١ - الآية (٦٧) من سورة الزمر.

٢ - الآية (١٠٤) من سورة الانبياء.

٣ - الآية (٧٣) من سورة آل عمران.

د- وقال تعالى :

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ (١).

هـ- وقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ ﴾ (٢).

و- وقال تعالى :

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ (٣)

ز- وقال تعالى :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤).

---

١ - الآية (٦٤) من سورة المائدة.

٢ - الآية (١٠) من سورة الفتح.

٣ - الآية (٧٥) من سورة ص.

٤ - الآية (٤٧) من سورة الذاريات.

ثانياً : معاني اليـــد والطي والقبضة في اللغة :

لليد في اللغة عدة معان نقلها ابن حجر رحمه الله في الفتح فقال: (1)

(واليد في اللغة تطلق لمعان كثيرة اجتمع لنا منها خمسة وعشرون معنى ما بين حقيقة ومجاز: الأول الجارحة، الثاني القوة، نحو ﴿ دَاوُدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ﴾ (2)، الثالث الملك ﴿ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ (3) الرابع العهد ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (4)، الخامس الاستسلام والانقياد، السادس النعمة، السابع/مكرر الثالث - الثامن : الذل ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ (5) التاسع ﴿ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ (6) العاشر السلطان، الحادي عشر الطاعة، الثاني عشر الجماعة الثالث عشر الطريق يقال أخذتهم يد الساحل، الرابع عشر التفرق تفرقوا أيدي سبأ، الخامس عشر الحفظ، السادس عشر القوس أعلاها، السابع عشر يد السيف مقبضة، الثامن عشر يد الرحى عود القابض، التاسع عشر جناح الطائر، العشرون المدة يقال لا ألقاه يد الدهر، الحادي والعشرون الابتداء الثاني والعشرون يد الثوب ما فصل منه، الثالث

---

١ - فتح الباري لابن حجر ٣٣٤/١٣-٣٣٥طبعة دار احياء التراث الاسلامي/بيروت،الطبعة الرابعة ١٩٨٨م

٢ - الآية (١٧) من سورة ص.

٣ - الآية (٧٣) من سورة آل عمران.

٤ - الآية (١٠) من سورة الفتح.

٥ - الآية (٢٩) من سورة التوبة

٦ - الآية (٢٣٧) من سورة البقرة.

والعشرون يد الشيء أمامه، الرابع والعشرون الطاقة الخامس والعشرون النقد نحو بعته يدا بيد) أ هـ الفتح مع قليل من الإختصار.

وزاد الراغب بعض المعاني مثل القدرة وايتاء النعيم مثل ويده مطلقة والنعمة[1] والطي بمعنى طويت الشيء طيا وذلك كطي الدرج وعلى ذلك قوله ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ ويجوز أن تكون بمعنى مهلكات[2].

والقبضة معناها من القبض، والقبض تناول الشيء بجميع الكف نحو قبض السيف وغيرها فقبض اليد على الشيء جمعها بعد تناوله، ويستعار القبض لتحصيل الشيء وإن لم يكن فيه مراعاة الكف كقولك قبضت الدار من فلان أي حزتها قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي في حوزته حيث لا تمليك لأحد وقوله ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ فأشار إلى نسخ ظل الشمس، وقوله ﴿ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ أي يسلب تارة ويعطي تارة أو يسلب قوما ويعطي قوما أو يجمع مرة ويفرق أخرى أو يميت ويحيي وقد يكنى بالقبض عن الموت فيقال قبضه الله[3].

---

١ - انظر المفردات للراغب ص ٥٥٠.

٢ - انظر المفردات للراغب ٣١٢-٣١٣.

٣ - المفردات للراغب ص ٣٩١.

فإذا نظرنا إلى المعاني اللغوية لليد والقبضة فإن معنى اليد يختلف بالنظر إلى سياق النص القرآني وبالنظر إلى جميع النصوص فإن اليد لا يمكن أن تكون بمعنى الجارحة كما قرر ذلك علماء الأصول.

يقول الإمام ابن الجوزي، وقد ثبت بالدليل القاطع أن يد الحق سبحانه وتعالى ليست بجارحة وأن قبضته للأشياء ليست مباشرة[١].

ويقول الخطابي :

(لا تثبت لله صفة إلا بالكتاب والسنة أو خبر مقطوع بصحته يستند إلى أصل في الكتاب أو السنة المقطوع بصحتها-أي المتواترة كما قرر علماء الأصول-وما بخلاف ذلك فالواجب التوقف عن إطلاق ذلك ويتأول على ما يليق بمعاني الأصول المتفق عليها من أقوال العلماء من نفي التشبيه) [٢].

وقد نقل الإمام عبد القاهر البغدادي الإجماع على ذلك فقال :

(وأجمعوا على إحالة وصفه بالصورة والأعضاء) [٣].

ثالثاً : بعض ما ورد في السنة مما يتعلق بهذه الصفات:

أ- قال ﷺ :

" يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون "[٤] واللفظ لمسلم.

---

١ - انظر دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص ٢١٠.

٢ - انظر دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص ٢٠٦.

٣ - الفرق بين الفرق/عبد القاهر البغدادي ص ٣٣٢.

٤ - رواه البخاري (٨/٥٥١) فتح الباري ومسلم برقم ٢٧٨٧ ٤/٢١٤٨) وبرقم ٢٧٨٨).

ب- وقال ﷺ :

" إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمان عز وجل وكلتا يديه يمين" ... وفي رواية الترمذي زيادة لفظ (مباركة) [1].

والناظر في الحديثين يرى في كل واحد منهما لفظا يتعارض مع لفظ الحديث الآخر فالحديث الأول يثبت الشمال، وفي الحديث الثاني ينفي الشمال بقوله وكلتا يديه يمين، وهذا التعارض لا يمكن معه الجمع بين الحديثين مما يوقف العمل بهما كما قرر علماء الأصول عند تعارض الأدلة بما لا يمكن معه الترجيح بوجه من الوجوه.

قال ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه عند إيراد هذه الاحاديث خاصة الثاني منهما:

(وهذا يوهن ذكر الشمال. وقال أبو بكر البيهقي. وكأن الذي ذكر الشمال رواه على العادة في أن اليمين يقابل الشمال) [2] وهذا يعني أن ذلك من تصرف الرواة في رواية الأحاديث بالمعنى.

وللعلماء أقوالهم قديما وحديثا وسلفا وخلفا في هذه الصفات :

رابعاً : من أقوال السلف في هذه الصفات :

أ- قال جابر بن زيد سئل ابن عباس عن قوله عز وجل ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [3] الآية فقال :

---

١ - رواه مسلم ١٤٥٨/٣ برقم ١٨٢٧) عن ابن عمر مرفوعا والترمذي ٤٥٣/٥ برقم ٣٣٦٨ شاكر.

٢ - انظر دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص ٢١١.

٣ - الآية (٦٧) من سورة الزمر.

(كانت اليهود أعداء الله أتوا النبي ﷺ فقالوا يا محمد صف لنا ربك فارتعد النبي ﷺ وقال " كيف استطيع أن اصف ربي الذي خلق السموات والأرض" فقالوا لو كنت نبيا لوصفته ثم قالوا هل هو كذا وكذا فأنزل الله تكذيبا لقولهم ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [1] أي وما عظموا الله حق عظمته ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ ﴾ أي في قدرته ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ ﴾ [2] أي في ملكه كيف يستطيع أن يصفني هؤلاء الفسقة ولم يروا سماواتي ولا أرضي ثم نزه نفسه فقال ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ لأن الصفة التي كانت منهم شرك.

قال أبن عباس :

(فمن زعم أن لله خنصرا أو بنصرا فقد اشرك) [3].

وقال الحسن :

قوله تعالى ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ أي بقدرتي ونعمتي.

وقال ايضا :

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾ أي منته وإحسانه.

---

١ - الآية (٦٧) من سورة الزمر.

٢ - الآية (٦٧) من سورة الزمر.

٣ - انظر مسند الربيع بن حبيب ص ٣١.

ورد ذلك بعضهم فقال :

(إنهم أجمعوا أنه لو كانت بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما وهي قدرته ولقال أي فضيلة له عليّ وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته بقدرتك فلما قال خلقتني من نار وخلقته من طين دل على اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه. قال ولا جائز أن يراد باليدين النعمتان لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق لأن النعم مخلوقه) [1] هكذا من فتح الباري مختصرا.

وهذا قول عجيب لأن ابليس رأى الخيرية في العنصر الذي خلق منه ولم ينظر إلى نسبة الخلق إلى اليدين لأن الله عزّ وجل منزه عن الأعضاء وهذا عند من يفهم من النظر في رد إبليس على الله عز وجل حيث قال ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ .

وما أجمل ما رد به ابن الجوزي ذلك الاعتراض وهذا الفهم وما شابهه حيث يقول"[2].

(وقد قال بعض البله لو لم يكن لآدم عليه السلام مزية على سائر الحيوانات بخلقه باليد التي هي صفته لما عظمه بذكرها وأجله فقال ﴿ بِيَدَىَّ ﴾ ، ولم كانت له مزية فإن قالوا القدرة لا تثني وقد قال ﴿ بِيَدَىَّ ﴾ .

قلنا : بلى قالت العرب ليس لي بهذا الأمر يدان، أي ليس لي به قدرة وقال عروة بن حزام في شعره.

فقالا شفاك الله والله ما لنا ... بما ضمنت منك الضلوع يدان

---

١ - فتح الباري لابن حجر ٣٣٢/١٣.

٢ - انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ١١٥-١١٦.

وقولهم ميزه الله بذلك عن الحيوان نفاه قولـــه عـــز وجـــل ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا ﴾ (١). ولم يدل هذا على تمييز الأنعام علـــى بقية الحيوانات) أهـــ.

وهو مردود أيضا بقوله تعـــالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٢).

وابن الجوزي رحمه الله ينفي الجوارح عن الله فيقول :

إنه لا يحتاج أن يفعل بواسطة فلا أعضاء وجوارح يفعل بها، لأنـــه الغنـــي بذاته فلا ينبغي أن يتشاغل بطلب تعظيم آدم مع الغفلة عما يستحقه الباري ســـبحانه من التعظيم والتنـــزيه بنفي الأبعاض والآلات في الأفعال لان هذه الأشياء صفـــة الأجسام، وقد ظن بعض البله أن الله يمس، حتى توهموا أنه مس طينة آدم بيد هـــي بعض ذاته)(٣)أهـــ كلام ابن الجوزي.

ويؤيد هـــذا قولـــه تعـــالى ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿82﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٤).

---

١ - الآية (٧١) من سورة يس.

٢ - الآية (٥٩) من سورة آل عمران.

٣ - انظر دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص ١١٦-١١٧.

٤ - الآيتان (٨٢-٨٣) من سورة يس.

رابعاً : موقف الطبري رحمه الله من هذه الصفات :

أ- لقد ذكر الطبري رأيه عند تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ الآية فقال :

(يقول تعالى ذكره والأرض كلها قبضته في يوم القيامة، والسموات كلها مطويات بيمينه، فالخبر عن الأرض متناه عند قوله تعالى يوم القيامه .... ثم استأنف الخبر عن السموات فقال والسموات مطويات بيمينه[1] ...).

وهذا الرأي من الطبري لم يتجاوز التفويض في تفسير هذه الآية مع أنه أول اليد في قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [2] بالقوة [3].

وهو أيضا يؤول قوله تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ فيقول[4]، وفي قوله تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ وجهان :

الأول : يد الله فوق أيديهم عند البيعة-وهذا تفويض مطلق فلم يزد كلمه على النص القرآني.

الثاني : قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله ﷺ) أ هـ.

وهذا تأويل ظاهر لليد المنسوبة إلى الله تعالى، وفيه رد لمعنى الجارحة بالنسبة إليه سبحانه.

---

١ - انظر تفسير الطبري ١١/١٧ الجزء (٢٤).

٢ - الآية (٤٧) من سورة الذاريات.

٣ - انظر تفسير الطبري ١١/٦/الجزء ٢٧.

٤ - انظر تفسير الطبري ١١/٤٨/الجزء (٢٦).

ب- وما استغربه هنا أن الإمام الطبري رحمه الله تعالى يؤول اليد في قوله تعالى. ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ ﴾ [1] وفي قوله تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ [2] بالقوة وعند قوله تعالى ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ [3] لا يفسرها ولا يؤولها بل يفوضها في أول الأمر، ثم بعد ذلك يورد جملة من الروايات عن ابن عباس وغيره يناقض بعضها البعض الاخر بل إن بعضها ينسب التعب إلى اليد اليمنى المنسوبة إلى الله والتي يطوي ويحمل بها السموات حتى تحتاج إلى مساعدة اليد الأخرى غير المشغولة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ثم هو بعد ذلك يورد أقوال أهل البصرة في تأويلها بالقدرة ثم يعود لينسف ذلك التأويل بعبارة قالها وهذا يوحي بأن الطبري يورد روايات يعارض فيها رأيه في التفويض وما أحسبه إلا قال تلك العبارات إرضاء للحنابلة كما تقدم ذكره.

وعند التحقق من الروايات وجدت فيها الضعف الذي يمنع من الاستدلال بها في أمور الإعتقاد وهذه الروايات نذكر بعضها لنستبين من خلال ذلك مدى صحتها.

---

١ - الآية (٤٧) من سورة الذاريات.

٢ - الآية (١٠) من سورة الفتح.

٣ - الآية (٦٧) من سورة الزمر.

١- الرواية الأولى قال الإمام الطبري رحمه الله :

حدثني محمد بن سعيد قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ يقول قد قبض الأرضين والسموات جميعا بيمينه ألم تسمع أنه قال ﴿ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ يعني الأرض والسموات بيمينه جميعا قال ابن عباس وإنما يستعين بشماله المشغولة يمينه) [1].

ومحمد بن سعيد بن الحسن بن عطية العوفي[2].

قال عنه الخطيب في تاريخ بغداد:

كان لينا في الحديث، وقال الدار قطني لا بأس به[3].

وأبو سعد بن محمد: عامة القول فيه أنه ضعيف[4].

والحسن بن عطيه العوفي : ضعيف كما في تهذيب التهذيب[5].

وهذا يبين أن الرواية الأولى ضعيفة لا يستدل بها على أمور العقيدة ولا أظن الطبري رحمه الله تعالى لا يعرف هذا بل أميل إلى القول بأنه كان يسترضي من آذوه ونقموا عليه لمخالفته لهم.

---

١ - انظر تفسير الطبري ١١/١٧/الجزء (٢٤).

٢ - تاريخ بغداد البغدادي ٣٢٣/٥.

٣ - انظر ترجمته في لسان الميزان ١٩٧/٥ طبعة دار الفكر.

٤ - أنظر لسان الميزان ٢٤/٣.

٥ - تهذيب التهذيب ٢٥٥/٢ طبعة دار الفكر ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.

٢- اما الرواية الثانية وهي عن ابن عمر رضي الله عنهما والتي فيها ذكر الكف وأن السموات والأرض في كفه كالكرة في يد الغلام: فبسنده عن ابن عمر أنه رأى رسول الله ﷺ على المنبر يخطب الناس فمر بهذه الآية ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ فقال رسول الله ﷺ : يأخذ الله السموات السبع والأرضين السبع فيجعلها في كفه ثم يقول بهما كما يقول الغلام بالكرة أنا الله الواحد أنا الله العزيز حتى رأينا المنبر وإنه ليكاد يسقط به"[١]. وهذا الحديث في سنده أسامة بن زيد وهو ضعيف[٢]، وهذا يبين أيضا بأنه لا يستدل به في أمور العقيدة كما قال أهل العلم ويناقض هذا الحديث الأثر عن ابن عباس أنه قال (ما السموات السبع والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم)، والرواية التي تقدمتها تذكر أنهما كالكرة في يد الصبي !!

والإمام الطبري رحمه الله ذكر في مقدمات التفسير أنه ليس كل ما أورده فيه صحيحا سواء من الروايات والآثار وإنما ذكر كل ما وصل إليه من هذه الأخبار والآثار وقد ترك في أحيان كثيرة بيان علل ما أورده وضعفها وما نقلناه دليل على ذلك معتمدا على فهم العلماء والباحثين وإن صرح بأنه بين العلل إلا أنه لم يلتزم بالبيان لهذه العلل في كل ما أورد فقال في مقدمات تفسيره :

---

١ - انظر تفسير الطبري ١١/١٧ الجزء ٢٤.

٢ - انظر تقريب التهذيب ١/٥٢.

وإننا مخبرون في كل ذلك بما انتهى الينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه الأمة واختلافها فيما اختلفت فيه ومبينون علل كل مذهب من مذاهبهم وموضحو الصحيح لدينا من ذلك) [1].

وهذا يعني أنه يخبر رحمه الله أن في تفسيره ما ليس صحيحا وإنما هو ينقل كل ما انتهى إليه من الأخبار ولزيادة إيضاح ما أراده الإمام الطبري من هذه العبارة فإنه يقول في مقدمة تاريخه: وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، ودون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه ... إلى أن يقول فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه الينا، وإنا إنما أدينا على نحو ما أدى إلينا[2].

وكأن هذا الأمر هو منهجه فيما كتب في جميع ما ألف على طريق الرواية ينقل ما أدى اليه وهو بذلك على مبدأ من أسند فقد أبرأ ذمته وعليه فإن ما ذكره من الروايات لا يعتمد في تأويل هذه الآيات نظرا لما قاله هو رحمه الله ونظرا لضعفها كما بينا.

---

١ - أنظر تفسير الطبري ١/٣-٤.

٢ - تاريخ الطبري ١/١٣ ط دار الكتب العلمية الثانية ١٩٨٨.

خامساً : اقوال المفسرين في هذه الصفات :

ومما يزيد المسألة وضوحا أن المفسرين في غالبيتهم قد أولوا هذه الصفـــات نذكر ذلك فيما يلي :

أ- قال الزمخشري عند تفسير قوله تعـــالى ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ (١)

والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصويـــر عظمتـــه والتوقيف عن كنه جلاله لا غير (٢).

وقد تقدم أنه قال في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ ﴾ (٣). وقوله بل يداه مبسوطتان بمعنى البخل والجود من غير تصور يد ولا غـــل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتحمل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام "(٤).

ب- وكذلك قال غيره من المفسرين بأن اليد لتنبيههم على عظمته وجلالـــة شـــأنه على طريـــق التصويروالتخييـــل فقـــال ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ (٥).

---

١ - الآية (٦٧) من سورة الزمر

٢ - الكشاف للزمخشري ١٤٢/٤.

٣ - الآية (٦٤) من سورة المائدة.

٤ - الكشاف للزمخشري ٥٢/٣.

٥ - الآية (٦٧) من سورة الزمر.

ذلك أن الأصل في الكلام حمله على حقيقته فإن قام دليل منفصل على تعذر حمله عليها تعين صرفه إلى المجاز فلفظ القبضة واليمين حقيقة في الجارحة والدليل العقلي قائم على إمتناع ثبوت الأعضاء والجوارح لله تعالى فوجب الحمل على المجاز وذلك أنه يقال فلان في قبضة فلان إذا كان تحت تدبيره وتسخيره ومنه ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ فالمراد كونه مملوكا لهم. وهذه الدار في يد فلان، وقبض فلان كذا وصارفي قبضته يريدون خلوص ملكه وهذا كله مجاز مستفيض مستعمل) [1].

ج- وقال الرازي : [2]

والعقل لما دل على أنه يمتنع أن تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الأجزاء والأبعاض آمنا به، فأما أن اليد ما هي وما هي حقيقتها فقد فوضنا معرفتها إلى الله تعالى وهذا هو طريق السلف.

وأما المتكلمون فقالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه منها الجارحة، والنعمة والقوة.

- وقد تقدم ذكر هذه الوجوه - ثم يقول بعد ذلك:

إذا عرفت هذا فنقول : اليد في حق الله يمتنع أن تكون بمعنى الجارحة واما سائر المعاني فكلها حاصلة : واختار هو تفسير اليد بمعنى القوة واحتج له.

---

١ - البحر المحيط لأبي حيان ٧/٤٤٠.

٢ - تفسير الرازي ١٢/٤٣/ مجلد (١١-١٢).

د- وكذلك فسر القرطبي القبضة واليمين بالقدرة والقوة[1] وفسر العلامة محمد الطاهر بن عاشور[2] قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [3] إنها نقض لكلام اليهود وإثبات سعة فضل الله تعالى وبسط اليدين تمثيل للعطاء وهو يتضمن تشبيه الإنعام بأشياء تعطى باليدين وذكر اليد هنا بطريقة التثنية لزيادة المبالغة في الجود وإلا فاليد في حال الاستعارة للجود أو للبخل لا يقصد منها مفرد ولا عدد فالتثنية مستعملة في مطلق التكرير كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ [4]

وبهذا يتبين أن جمهور المفسرين وغالبهم على تأويل مثل هذه الصفات بما ينزه الله عز وجل عن الجوارح والأعضاء الجسمية. اعتمادا على ان العرب كما ذكر الطبري رحمه الله تعالى قال[5] .

وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة فقال ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [6] يقول قدرته، نحو

---

١ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٧/١٦ -٢٨٧.

٢ - التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور ٢٤٩/٦ - ٢٥٠.

٣ - الآية ٦٤ من سورة المائدة.

٤ - الآية من (٤) من سورة الملك.

٥ - انظر تفسير الطبري ١٩/١١ / الجزء (٢٤).

٦ - الآية (٦٧) من سورة الزمر.

قوله ﴿ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [1] أي وما كانت لكم عليه قدرة وليس الملك لليمين دون سائر الجسم قل وقوله قبضته نحو قولك للرجل هذا في يدك وفي قبضتك.

مما تقدم ذكره وبيانه نستطيع ان نقول مطمئنين بأن اليد والقبضة المنسوبة إلى الله تعالى في كلامه الكريم سبحانه لايمكن ان تكون بمعنى الجارحة وانما يراد منها معنى مجازي نتأوله حسب ما يقتضيه النص من المعاني التي استعملتها العرب لليد وهذا ما عليه المفسرون قديما وحديثا تنزيهاً لله تعالى عن مشابهة الحوادث وعن الإجزاء والابعاض كما ذكر العلماء والله اعلم.

---

١ – الآية (٢٤) من سورة النساء.

المبحث الخامس

صفة الرّضى ـ وصفة الغضب

أولاً : بعض الآيات التي وردت في هـذا الموضـوع :

أ- قال تعالى :

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (١).

ب- وقال تعالى :

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ (٢).

ج- وقال تعالى :

﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾ (٣).

---

١ - الآية (١١٩) من سورة المائدة.

٢ - الآية (١٠٠) من سورة التوبة.

٣ - الآية (١٠٩) من سورة طه.

د- وقال تعالى :

﴿ ۞لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١).

هـ- وقال تعالى :

﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ (٢).

و- وقال تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ (٣).

ز- وقال تعالى :

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (٤).ح-

وقال تعالى :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٥).

---

١ - الآية (١٨) من سورة الفتح.

٢ - الآية (٨) من سورة البينة.

٣ - الآية (٢٠٧) من سورة البقرة.

٤ - الآية (٦١) من سورة البقرة.

٥ - الآية (٩٣) من سورة النساء.

ط- وقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[1].

ي - وقال تعالى :

﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾[2].

ثانياً : المعنى اللغوي لهذه الصفات :

أ- الرضى :

قال الراغب في مفرداته :

(يقال رضي يرضى فهو مرضي ومرضو. ورضي العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه. ورضي الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرا بأمره ومنتهيا عن نهيه)[3].

(والرضى: ضد السخط[4]، ذكره ابن منظور في اللسان. ولما كان السخط هو الغضب الشديد[5] كما ذكر الأصفهاني في المفردات فإن الرضى ضد الغضب.

---

١ - الآية (١٥٢) من سورة الأعراف.

٢ - الآية (٨١) من سورة طه.

٣ - المفردات للراغب ص ١٩٧.

٤ - لسان العرب لابن منظور ٣٢٣/١٤.

٥ - المفردات للراغب ص ٢٢٧.

ب- **الغضب** : قال الراغب[١] .

(الغضب ثوران دم القلب إرادة الانتقام. واذا وصف الله تعالى به المراد به الانتقام دون غيره قال ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ ﴾[٢]، وقال ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾[٣].

ثالثاً : أقوال السلف في الرضى والغضب:

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري في رسالة أهل الثغر:

(وأجمعوا على أنه عز وجل يرضى عن الطائعين له، وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم وأنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم وأن غضبه إرادته لعذابهم)[٤] أهـ

وقد فوض الإمام الطبري رحمه الله تعالى صفتي الرضى والغضب المنسوبتين إلى الله تعالى فأمر كل واحدة منهما كما جاءت مقرا لهما دون الخوض في معناهما فيقول عند قوله تعالى ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾[٥].

---

١ - المفردات للراغب ص ٣٦١.

٢ - الآية ٩٠ من سورة البقرة.

٣ - الآية (٦١) من سورة البقرة.

٤ - رسالة أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري ص ٧٣.

٥ - الآية (١١٩) من سورة المائدة.

(رضي الله عن هؤلاء الصادقين الذيـــن صدقـــوا فـــي الوفـــاء لـــه بمـــا وعدوه من العمل بطاعته واجتناب معاصيه) [١] وقال عنـــد تفســـير قولـــه تعـــالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [٢].

(فإنه يعني أن هذا الشاري يشري إذا اشترى طلب مرضاة الله) [٣].

ولم ينقل شيئا عن السلف في تفسير الرضى المنسوب إلى الله.

واما الغضب فكذلك لم يذكر فيه الإمام الطبري إلا كما مـــر فـــي الرضـــى إمرارا وإقرارا فقال عن تفسير قوله تعالى ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ [٤].

وإذا رجعوا منصرفين متحملين غضـــب الله قـــد صـــار عليـــهم مـــن الله غضب ووجب عليهم منه سخط) [٥].

رابعاً : أقوال المفسرين في ذلك

لم يخض أكثر المفسرين في تأويل الرضـــى والغضـــب غـــير أن الإمـــام الفخر الرازي يذكر في هذه الصفات وما شابهها والتي أطلـــق عليـــها الأعـــراض النفسانية قاعدة كلية فيقول :

---

١ - تفسير الطبري ٥/٩١/الجزء ٧.

٢ - الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

٣ - تفسير الطبري ٢/١٨٦.

٤ - الآية (٦١) من سورة البقرة.

٥ - تفسير الطبري ١/٢٣٦.

(الغضب: تغير يحصل عند غليان دم القلب لشهوة الإنتقام. واعلم أن هذا على الله محال، لكن ههنا قاعدة كلية وهي:

إن جميع الأعراض النفسانية-أعنى الرحمة، والفرح، والسرور، والغضب، والحياء والغيرة،والمكر،والخداع، والتكبر،والاستهزاء- لها أوائل وغايات-ومثاله الغضب فإن أوله غليان دم القلب وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فلفظ الغضب في حق الله تعالى لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب بل على غايته الذي هو إرادة الإضرار [1] أهـ. كما ذكر هذه القاعدة في كتابه أساس التقديس (صحيفة)، طبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر.

ويقول القمي النيسابوري أي صاروا أحقاء بغضبه وهو إرادة انتقامه[2].

يتبين مما تقدم أن صفة الرضى وكذلك صفة الغضب قد فوضها معظم أهل العلم بعد أن فوضها السلف رضوان الله عليهم وقد نبه بعض العلماء أن ما يحدث من هذه الصفات للبشر الله تعالى منزه عنه من حالات الانفعال النفساني وأعراضها وأن الله تعالى يرضى عن الطائعين ويسخط ويغضب على أهل المعاصي والله نسأل أن يشملنا برضاه ويعيذنا من سخطه وعقوبته.

---

١ - تفسير الرازي ١/ ٢٦٥.

٢ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي النيسابوري المطبوع على حاشية الطبري ١/٣٠٠.

المبحث السادس

الكـــلام :

أولاً : الآيـــات الـــواردة في ذلـــك :

أ- قال تعالى :

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [1] .

ب- وقال تعالى :

﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ﴾ [2].

ج- وقال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا ﴾ [3].

د- وقال تعالى :

﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [4].

---

١ - الآية (١٦٤) من سورة النساء.

٢ - الآية (٢٥٣) من سورة البقرة.

٣ - الآية (٥١) من سورة الشورى.

٤ - الآية (٦) من سورة التوبة.

هـ- وقال تعالى :

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (15) إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[1].

و- وقال تعالى :

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾[2].

ز- وقال تعالى :

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾[3].

ح- وقال تعالى :

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾[4].

ط- وقال تعالى :

﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾[5].

---

١ - الآية (١٦) من سورة النازعات.

٢ - الآية (١١) من سورة طه.

٣ - الآية(٣٠) من سورة القصص.

٤ - الآية (٥٢) من سورة مريم.

٥ - الآية (٢٢) من سورة الأعراف.

إن المستعرض لهذه الآيات الكريمة التي وردت في القرآن العظيم يدرك أنها ذكرت الكلام مضافا إلى الله تعالى وأثبتت أن الله عز وجل متكلم بكلام يفهمه المخاطب به من الانبياء والرسل والملائكة الكرام.

إلا أن القرآن العظيم لم يذكر صفة هذا الكلام أكان بصوت وحرف ولغة؟ أم كان معاني يلقيها الله عز وجل إلى المخاطبين بكيفية هو يعلمها وغيره لا يدركها؟ ولو استقرأت القرآن العظيم كله ما وجدت آية واحدة تذكر صفة الكلام كيف كان.

ولقد ذكر الإمام الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى أنه (لم تثبت صفة الصوت في كلام الله عز وجل أو في حديث صحيح عن النبي ﷺ"[١].

ولو استعرضنا هنا الأحاديث التي استدل بها من يثبتون الصوت والحرف كصفة لكلام الله تعالى، وأنه جل وعلا متكلم بصوت وحرف، لوجدناها ضعيفة جدا، ونحن نعلم ما حكم الأخذ بالحديث الضعيف في مسائل العقيدة!!

فمثلا. حديث :

(يحشر الله العباد فيناديهم بصوت) [٢] وهذا الحديث ضعيف ففي سنده القاسم بن عبد الواحد[٣] : وهو ضعيف وفيه شيخه عبد الله بن محمد بن عقيل

---

١ - الأسماء والصفات للبيهقي ص (٢٧٣).

٢ - رواه البخاري في كتاب خلق افعال العباد.ومعلوم أن هذا الكتاب فيه الصحيح والضعيف وليس من كتابه الصحيح بل هو غيره.

٣ - قال عنه أبو حاتم: لا يحتج به / انظر الجرح والتعديل (١١٤/٧).

وهو ضعيف أيضا[1]. فلا يحتج بهذا الحديث لإثبات صفة الصوت في كلام الله عز وجل من السنة الشريفة.

ومثال آخر من السنة استدل به القائلون بإثبات ما لم يثبته الله تعالى لنفسه ولم يثبته النبي ﷺ لربه.

ما رواه البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ:

" يقول الله تعالى : (يا آدم : فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار)[2].

ويقول ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح الحديث: (قوله فينادي بصوت أن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار) هذا آخر ما أورد منه من هذه الطريق، ... ووقع فينادي مضبوطا للأكثر بكسر الدال وفي رواية أبي ذر بفتحها على البناء للمجهول ولا محذور في رواية الجمهور فإن قرينة قوله (إن الله يأمرك) تدل ظاهرا على أن المنادي ملك يأمره الله بأن ينادي بذلك[3].

---

١ – قال عنه يعقوب : صدوق وفي حديثه ضعف شديد جدا.
وقال ابن عيينة : اربعة من قريش يترك حديثهم منهم عبد الله بن محمد بن عقيل.
وقال عنه أحمد : منكر الحديث، وقال الدوري عن ابن معين: ابن عقيل لا يحتج به وكذلك ضعفه ابن المديني والنسائي/انظر تهذيب التهذيب (١٣/٦).
وقال الذهبي في السير (٢٠٥/٦): لا يرتقي خبره إلى درجة الصحة والاحتجاج.

٢ – رواه البخاري/كتاب التوحيد/٣٩٣/١٣ ط دار احياء التراث العربي بيروت ١٩٨٨.

٣ – فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٣٩٣/٣/ الطبعة السابقة.

تنبيه : لقد قرأت في كتاب للدكتور عمر الاشقر هذا الحديث ولا أدري أوقع فضيلة الدكتور في الخطأ في ذكر الحديث أم ماذا؟ حيث ذكره بالنص التالي :

(يقول الله تعالى: يا آدم فيقول : لبيك وسعديك. فينادي بصوته إن الله يأمرك أن تخرج من أمتك بعثا إلى النار) [1].

وذكر ينادي بصوته ونسب ذلك إلى البخاري مع أن الذي في صحيح البخاري فينادي بصوت على البناء للمجهول والرواية الأخرى فينادي بصوت بكسر الدال ولكن دون زيادة الضمير في كلمة (صوت).

وقد تلكم العلماء قديما وحديثا عن صفة الكلام لله تعالى ولهم أقوال كثيرة في هذه المسألة ليس هذا مكان عرضها على سبيل التوسع والإسهاب وإنما نذكر منها ما يناسب هذه الرسالة كدراسة تفسيرية لآيات الصفات ودون الإخلال بالمراد من بيان العقيدة الاسلامية حسب ما رأيته من دراسة هذه الأيات وسأبين فيما يلي أقوال العلماء من السلف والخلف في هذه القضية مختصرا ذلك دون إخلال بما يوضح هذا الأمر بإذن الله.

ثانياً : أقوال السلف في هذه القضية :

أ- يقول الإمام ابو حنيفة رضي الله عنه :

(والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف والحروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق) أهـ.

وفي هذا القول من الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه نفي واضح

---

١ – انظر العقيدة في الله للدكتور عمر الأشقر ص ١٧٥/ طبعة مكتبة الفلاح الخامسة الكويت ١٩٨٤.

وقاطع في رد صفة الصوت والحرف في كلام الله تعالى والإمام أبو حنيفة من أئمة السلف كما هو معلوم.

ب- ويقول الإمام الطحاوي رحمه الله وهو أيضا من أئمة السلف :

" وأن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وأوعده بسقرحيث يقول ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [1] فلما أوعد الله بسقر من قال : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [2] علمنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر.

وهو رحمه الله تعالى لم يتعرض إلى مسألة صفة كلامه بل ذكر أنه بدا من الله بلا كيفية وهو بذلك يفوّض كيفية صفة كلام الله تعالى. وهذا هو شأن الإمام الطبري وهو ايضا من علماء السلف كما سبق وفيما يلي بيان لموقفه رحمه الله من مسألة الكلام.

ثالثاً : موقف الإمام الطبري من مسألة الكلام :

إن الإمام الطبري رحمه الله قد سلك في صفة الكلام خلال تفسيره لتلك الآيات المتعلقة بهذه الصفة مذهب التفويض حيث أنه كان يذكر الآية دون أن يزيد على النص القرآني شيئا بل إن المتتبع لآيات القرآن التي ذكرت صفة الكلام في

---

١ - الآية (٢٦) من سورة المدثر.

٢ - الآية (٢٥) من سورة المدثر.

تفسيره يراه أخذ بالنص القرآني كما هو ولم يتعرض في تفسيره بالقول بالصوت أو الحرف مطلقا ولا ذكر مسألة اللّغة أو غيرها كما خاض المجسمة في ذلك مثبتين بأن الله يتكلم بصوت وحروف ولغة وبقوة عشرة الآف لسان. وهذا هو احد مذاهب أئمة أهل الحق أي الذي سلكه ابن جرير وهو مذهب تفويض حقيقة الكلام الى الله تعالى كما فعل غيره من السلف من أهل العلم والمحدثين وغيرهم بعد القرون الثلاثة في هذه المسألة.

ومن امثلة ذلك في تفسيره رحمه الله ما يلي :

أ- يقول ابن جرير عند تأويل قوله تعالى ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [1].

(يعني تعالى ذكره بقوله تلك الرسل الذين قصّ الله عليك قصصهم في هذه السورة كموسى بن عمران وابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب وشمويل وداود وسائر من ذكر نبأهم في هذه السورة " يقول تعالى ذكره هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعض فكلمت بعضهم والذي كلمته منهم موسى ﷺ ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعة المنزلة [2] وكذلك ما نقله من الروايات لم تزد في ذكر صفة الكلام غير ما ذكره والذي ينظر في كلام ابن جرير يراه قد أثبت صفة الكلام لله تعالى وفوّض كيفيتها دون أن يزيد على النص القرآني شيئا من عنده.

---

١ - الآية (٢٥٣) من سورة البقرة.

٢ - انظر تفسير الطبري ١/٢/٣ الجزء الثالث.

ب- وكذلك يقول الطبري عند تأويل قوله تعالى ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [1]
وأما قوله ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ فإنه يعني بذلك جلّ ثناؤه وخاطب الله بكلامه موسى خطاباً [2]. وهو بذلك يستعمل كلمة خاطب دون ذكر لوصف الكلام كذلك وإنما استعمل كلمة الخطاب وهي بمعنى الكلام الموجه للمخاطب.

ج- وكذلك يقول الطبري رحمه الله عند تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [3]

(يقول تعالى ذكره فلما أتى موسى النار التي آنس من جانب الطور نودي من شاطئ الوادي الايمن يعني بالشاطئ الشط وهو جانب الوادي وعدوته والشاطئ يجمع شواطئ وشطآن والشط الشطوط والأيمن من نعت الشاطئ عن يمين موسى)[4].

وهو في هذا لم يزد على النص القرآني في النداء ولا كلمة ثم نقل بعد ذلك روايات عند تفسير الايمن وهي هنا لا تعني رسالتنا وموضوعنا.

---

١ - الآية (١٦٤) من سورة النساء

٢ - انظر تفسير الطبري ٢١/٤ / الجزء السادس وقال ابن الجوزي في زاد المسير مثل ذلك ٣٠١/١ طبعة المكتب الاسلامي / دمشق ١٩٦٤م الطبعة الأولى.

٣ - الآية (٣٠) من سورة القصص.

٤ - انظر تفسير الطبري ٤٥/١٠/ الجزء العشرين.

وكذلك قال في بقية الآيات التي ذكرت الكلام[١] .

بقي أن نقول هنا ان الإمام الطبري رحمه الله ذكر بعض الروايات عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ .

أ- ذكر بسنده عن نوح بن أبي مريم وسئل كيف كلم الله موسى تكليما فقال مشافهة [٢]،ونوح هذا متهم بالكذب والوضع قال في تقريب التهذيب:
نوح بن ابي مريم، أبو عصمة المروزي، القرشي مولاهم، مشهور بكنيته ويعرف بالجامع لجمعه العلوم، لكن كذّبوه في الحديث وقال ابن المبارك كان يضع[٣]. أ هـ .

فهل نقل قول من هذه صفته في تفسير آيات الصفات مقبول ويعول عليه في موضوع العقائد والصفات .

ب- وبسنده عن جرز بن جابر[٤] الخثعمي قال سمعت كعبا يقول : (إن الله جل ثناؤه لما كلّم موسى كلمه بالألسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى، فجعل يقول يا رب لا أفهم حتى كلّمه بلسانه آخر الألسنة فقال: يا رب هكذا كلامك قال لا ولو سمعت كلامي أي على وجهه لم تك شيئا[٥]) الحديث.

---

١ - انظر الطبري ٢٨/١١/الجزء ٢٥، ٥٧/٦/ الجزء ١٠ ٢٥/٩٢ الجزء (٣٠) وغيرها من الآيات التي ذكرت الكلام.

٢ - أنظر الطبري ٢١/٤ الجزء السادس.

٣ - أنظر تقريب التهذيب لابن حجر ٣٠٩/٢.

٤ - وقع تصحيف في اسم جرز هذا في تفسير الطبري حيث ذكر باسم جزء بن جابر الخثعمي.

٥ - انظر الطبري ٢١/٤/ الجزء السادس.

وجرز بن جابر رجل مجهول قال ذلك شعيب[١] وعن كعب يقول موسى بن هارون: أشهد أنه يكذب[٢].

وما أوردته من تخريج هذه الروايات يكفي في الدلالة على قيمتها في الاستدلال على مسألة الكلام وثبت أنه لا يمكن الأخذ بها في مسائل عقائدية كهذه المسألة.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن صفة الكلام ثابتة لله تعالى ولكن لم يقل أحد من علماء السلف الصالح أنها كانت بكيفية كذا أو كذا صوتا وحرفا ولغة وأن الروايات التي تذكر في هذا المقام للاستدلال على أن الله تكلم بصوت وحرف ولغة وقوة الألسنة كلها ليست بتلك التي تقوى على أن تكون دليلا يستشهد به .

يقول الإمام الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى:

كما رؤينا عن أهل السموات أنهم يسمعون عند نزول الوحي للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، وكما روينا في الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن نبي الله ﷺ قال " إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله"، وكما روينا عن نبينا ﷺ" أنه يأتيه الوحي أحيانا في مثل صلصلة الجرس" وكل ذلك مضاف إلى غير الله سبحانه وتعالى، كذلك الصوت المذكور في هذا الحديث-يعني حديث جرز بن جابر عن كعب - إن كان صحيحا ولا أراه يصح إلا وهو مضاف إلى غير الله سبحانه وتعالى، وأما قول كعب الأحبار فإنه يحدث عن التوراة التي أخبر الله تعالى عن أهلها أنهم حرّفوها وبدّلوها، فليس مُن قوله ما يلزمنا توجيهه إذا لم يوافق أصول الدين والله أعلم)[٣]. أ هـ .

---

١ - انظر الاسماء والصفات للبيهقي ص ٢٧٦.

٢ - انظر الاسماء والصفات للبيهقي ص ٢٧٥.

٣ - انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٧٦.

وإذا أضفنا إلى ما تقدم أقوال المفسرين في المسألة نخرج بنتيجة بيّنه نذكرها في نهاية المبحث إن شاء الله تعالى.

رابعاً : موقف المفسرين من مسألة الكلام :

أ- رأي الزمخشري في مسألة الكلام

يقول الزمخشري عند قوله تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [1].

(منهم من كلم الله، منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى[2]. أ هـ

وعند قوله: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [3] قال حتى يتدبره ويطلع على حقيقة الأمر[4] وهكذا في بقية الآيات[5] ذكر الكلام دون زيادة أو نقص في بيان حقيقة الكلام وغير ذلك إلا انه عند قوله تعالى ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ يقول أتاه النداء [6] وفي ذلك إشارة خفية وتلميح-حيث ذكر النداء ولم يذكر المنادي-تلميح إلى أن النداء من قبل الشجرة وليس من قبل الله تعالى وهذا على أصول مذهب المعتزلة الذين يقولون بأن الحروف

---

١ - الآية (٢٥٣) من سورة البقرة.

٢ - الكشاف للزمخشري ٢٩٧/١.

٣ - الآية (٦) من سورة التوبة.

٤ - الكشاف للزمخشري ٢٤٨/٢.

٥ - انظر الكشاف ٣٠١٣، ٢٣/٣، ٥٤/٣، ٦٩٥/٤ وغيرها.

٦ - انظر الكشاف ٤٠٨/٣.

والأصوات قائمة بالأجسام لا بذات الله. ولم يقولوا هـــذا وحســب، بـل أنكــروا كلام الله القديم الذي هو صفة الذات.

ب- رأي الفخر الرازي في مسألة الكلام

وقال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعـالى ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [١] المراد أنه بعث كل هؤلاء الأنبياء والرسـل وخـصّ موسـى عليـه السـلام بالتكلّم معه) [٢].

وكذلك فقد ذكر الفخر الرازي رحمه الله الكلام مفصلا عند قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٣].

فذكر أقوال المعتزلة والرد عليها حيث يقول :

احتجت المعتزلة على قولهم إن الله تعالى متكلم بكـلام يخلقـه فـي جسـم بقوله ﴿ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ فإن هذا صريح في أن موسى عليه السلام سمع النـداء من الشجرة والمتكلم بذلك النداء هو الله سبحانه وهو تعالى منـزه أن يكـون فـي جسم فثبت أنه تعالى إنما يتكلم بخلق الكلام في جسم ..

---

١ - الآية (١٦٤) من سورة النساء.

٢ - أنظر تفسير الفخر الرازي ١١١/٦ الجزء الحادي عشر.

٣ - الآية (٣٠) من سورة القصص.

(أجاب القائلون بقدم الكلام فقالوا لنا مذهبان.

الأول : قول أبي منصور الماتريدي وأئمة ما وراء النهر وهو أن الكلام القديم القائم بذات الله غير مسموع منها إنما المسوغ هو الصوت والحرف. وذلك كان مخلوقاً في الشجرة ومسموعاً منها[١] ثم ذكر الرازي رحمه الله بقية الاستدلالات) [٢].

وأنا أقول لو استثنى الخلاف في قدم الكلام الذي يقوله أهل السنة ولا نوافق فيه المعتزلة فما هو الفرق بين ما قالته المعتزلة في هذه الآية وما قاله أبو منصور الماتريدي أليس الكلام واحدا؟ وهو أن الأصوات والحروف التي سمعها موسى خلقها الله في الشجرة.

ج- رأي القرطبي رحمه الله .

يقول القرطبي : قوله تعالى ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [٣] المكلم موسى عليه السلام[٤]

ويقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [٥] بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم وتكلما... ولما قال (تَكْلِيمًا وجب أن يكون كلاما على الحقيقة من الكلام الذي يعقل[٦].

---

١ - انظر تفسير الفخر الرازي ١٢/٢٤٤.

٢ - انظر تفسير الفخر الرازي ١٢/٢٥٥.

٣ - انظر القرطبي ٣/٢٦٤ المجلد الثاني.

٤ - انظر القرطبي ٦/١٨ المجلد الثاني.

٥ - الآية (١٦٤) من سورة النساء.

٦ - انظر القرطبي ٦/١٨ المجلد الثالث.

والقرطبي رحمه الله تعالى ينفي أن يكون الله عز وجل خلق لنفسه كلاما في شجرة فسمعه موسى فيقول: ﴿ تَكۡلِيمًا ﴾ مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان من يقول خلق لنفسه كلاما في شجرة فسمعه موسى بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلما[1].

فإذا لم يكن الكلام مخلوقا في الشجرة؟
فكيف يكون إذن؟

هل حل الله تعالى في البقعة المباركة من الشجرة ؟! والله تعالى لا يحلّ في الحوادث ولا تحويه الجهات، كما أنه منزه عن الحاجة إلى المكان. مع ما هو معلوم من أن (في) تفيد الظرفية المكانية.

أم أنه تعالى على قول من يقول في السماء انتقل من السماء إلى مكان الشجرة؟! والانتقال والزوال محال عليه سبحانه وتعالى كما بينته في مبحث المجيء والإتيان.

وظني أن ما يقال من أن الكلام على حقيقته من الشجرة وبالحرف والصوت على رأي من يقول بذلك يقتضي حضور الذات وهذا يتعارض مع القواطع العقلية التي تقضي بنفي الجسمية والانتقال والأعضاء عن ذاته تبارك وتعالى.

---

١ - انظر تفسير القرطبي ٦/١٨/ المجلد الثالث.

د- أما أبو حيان الأندلسي رحمه الله فيقول في بحره:

﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [1] على أن المراد بالكلم هنا هو موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام[2].

ويقول ايضا عند قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [3]:هذا إخبار بأن الله شرف موسى بكلامه وأكد بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه هذا هو الغالب وقد جاء التأكيد بالمصدر في المجاز إلا أنه قليل فمن ذلك قول هند بنت النعمان بن بشير الانصاري.

بكى الخز من عوف وأنكر جلده وعجت عجيبا من جذام المطارف...

إلى ان يقول رحمه الله : ومسألة الكلام مما طال فيها الكلام واختلف فيها علماء الإسلام وبهذه المسألة سمي علم أصول الدين بعلم الكلام وهي مسألة يبحث عنها في أصول الدين[4].

فإذا كان التأكيد بالمصدر في المجاز جائزا في كلام العرب؟ فلماذا هذا التمحل في فهم الآية؟ وقد قدمت بطرح هذا الأمر من خلال التساؤلات في كيفية فهم هذه الآية بما يكفي لتأويل الآية بما ننزه به الباري جل وعلا عن الحلول والتحيز والجهة والأعضاء. وأما سيد قطب رحمه الله تعالى فهو يمر على هذه الآية مرورا سريعا

---

١ – الآية (٢٥٣) من سورة البقرة.

٢ – انظر البحر المحيط لابي حيان ٢٧٣/٢.

٣ – الآية (١٦٤) من سورة النساء.

٤ – انظر البحر المحيط لابي حيان ٣٩٨/٣.

فيقول وحين يذكر تكليم الله لأحد من الرسل ينصرف الذهن إلى موسى عليه السلام[1].

وأنا استعجب كيف ان المفسرين لم يتوسعوا لأحد من الرسل في بيان معنى الآية ولم يبينوا خلاصة الكلام في تفسيرها وإنما اختصروا الحديث عليها حتى أن بعضهم قد مر عليها مرورا سريعا وبعضهم ذكر الآثار الواردة في ذلك مع كون غالبها أوجلها موضوعة أو منكرة أو ضعيفة كما بينت من خلال الأمثلة السابقة .

بقي أن نقول إنه ليس أمامنا من قول في هذه المسألة لتوضيح معنى آية الشجرة ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ إلا أنّ الله تعالى خلق صوتا في الشجرة أوبعث ملكا كلّم موسى عليه السلام بأمره الذي أراد[2].

وقد ذكر مثل ذلك بعض المفسرين فمثلا نقل في البحر المحيط عن الحسن أنه قال ناداه نداء الوحي لا نداء الكلام) [3].

بقي أن اشير في هذا المبحث إلى قضية مهمة وقع الخطأ فيها وهي نابعة من تكلف الناس وخوضهم فيما سكت عنه الشرع الحكيم حتى وقعوا في الخطأ وهي.

القول (بأن الله متكلم كيف شاء ومتى شاء).

---

١ – انظر الظلال ٤١٢/١ / طبعة دار الحياء التراث العربي/ بيروت السابعة ، ١٩٧١.

٢ – الآية (٣٠) من سورة القصص.

٣ – انظر البحر المحيط لأبي حبان ١١٦/٧.

يقول الشيخ احمد بن تيمية:

فطار لتلك الفتنة ذلك الإمام ابو بكر يصيح بتشويهها ويصنف في ردّها كأنه منذر جيش حتى دوّن في الدفاتر وتمكّن في السرائر ولقن في الكتاتيب ونقش في المحاريب ان الله متكلم إن شاء تكلم وإن شاء سكت فجزى الله ذلك الإمام أولئك النفر الغرّ عن نصرة دينه وتوقير نبيه خيرا [1]. وهو بذلك يقر لذلك الإمام على حدّ قوله.

وأقول هنا هل وصف الله تعالى نفسه بالسكوت؟ أو هل وصف النبي ﷺ ربه بالسّكوت. هل وردت صفة السكوت في الكتاب أو في السنة أو في أقوال السلف؟ وإذا كان الله تعالى يتكلم ثم يسكت ثم يتكلم فهل كلامه في المرّة الثانية حادث أو قديم؟

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل هو لا يوصف بالسكوت يقول الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله وهو من علماء السلف.

(فلما كان الله، عز وجل لم يزل عالما، إذ لم يجز أن يكون العلم موصوفا استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفا، لأن خلاف الكلام، الذي لا يكون معه كلام سكوت أو آفة كما أن خلاف العلم الذي لا يكون معه علم، جهل أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا جل وعلا بخلاف العلم.

وكذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلما، كما وجب أن يكون لم يزل عالما.

---

١ - انظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول المطبوع على هامش منهاج السنة لابن تيمية ٣٨/٢.

وخــلاصة القــول في صفــة الكــلام

أن الله تعالى متكلم ولم يزل متكلمـــا وأن كلامــه القــائم بذاتــه قديــم وأن القرآن كلامه القديم واما ما هو مكتوب من الحروف في المصاحف فـــهو عبــارة عن كلام الله وكذلك تـــلاوة القــارئ هـــي عبــارة عـــن كــلام الله والحــروف والتلاوة مخلوقة واللّغات التي تعبر عــن كلامــه مخلوقـــة والقـــول بغـــير ذلــك مكابرة وجهل، وما قاله جهلة الحنابلة (من أن كلامه حروف وأصوات تقوم بذاتـــه وهو قديم وبالغ بعضهم جهلا حتـــى قـــال: الجلـــد والقرطـــاس قديمـــان فضـــلا عن الصحف وهذا قول باطل بالضرورة ومكابرة للحس، للإحساس بتقـــدم البـــاء على السين في بسم الله ونحوه)[١].

قال الإيجي (ونزعم أنه-أي المعنى القـــائم بـــالنفس- غـــير العبـــارات، إذ قد تختلف العبارات بالأزمنة والأمكنة والأقوام، بل قـــد يـــدل بالإشـــارة والكتابـــة كما يدل عليه بالعبارة، والطلب واحد لا يتغير ثم يقـــول بعـــد ذلـــك ثـــم نزعـــم أنه قديم لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى)[٢].

---

١ – شرح كتاب الفقه الأكبر/المحدث الملا على القارئ (ص ٢٩-٣٠).

٢ – انظر المواقف في علم الكلام للإيجي ص ٢٩٤.

المبحث السابع

السمع والبصر

أولاً : الآيات الواردة في ذلك :

أ- قال تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1].

ب- وقال تعالى :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [2].

ج- وقال تعالى :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [3].

د- وقال تعالى :

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [4].

---

١ - الآية (١١) من سورة الشورى.

٢ - الآية (١) من سورة المجادلة.

٣ - الآية (١) من سورة الاسراء.

٤ - الآية (١٣٧) من سورة البقرة.

هـ- وقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [1].

و- وقال تعالى :

﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ ﴾ [2].

السمع والبصر من الصفات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب فلقوله تعالى ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [3] وكذلك بقية الآيات التي ذكرت مقدما.

وأما السنة فلقوله ﷺ من حديث ابي موسى رضي الله عنه قال :

(كنّا مع النبي ﷺ في مسير قلنا إذا علونا كبرنا وإذا هبطنا سبّحنا فقال رسول الله ﷺ " أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ولكنكم تدعون سميعا قريبا).

ومن طريق آخر زاد " فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنما تدعون سميعا بصيرا إن الذين تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة، لا حول ولا قوة إلا بالله"[4].

---

١ - الآية (١١٠) من سورة البقرة.

٢ - الآية (٨٠) من سورة الزخرف.

٣ -الآية (١١) من سورة الشورى.

٤ - رواه البخاري فتح ٣٧٢/١٣ برقم ٧٣٨٦ ومسلم / شرح النووي ٢٦/١٧-٢٧ بدون صفة بصيرا و البيهقي في الاسماء والصفات ١٧٥، ١٧٩.

وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على إثبات صفة السمع وصفة البصر لله تعالى ولكنهم اختلفوا في إثبات الجارحة والذي عليه أهل الحق إثبات الصفة دون الجارحة.

روى البيهقي بسنده عن سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [١] يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه قال أبو هريرة رضي الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه)[٢] (قلت: والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر، فأشار إلى محلى السمع والبصر منّا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى، كما يقال قبضَ فلان على مال فلان ويشار باليد على معنى أنه حاز ماله، وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر لا على معنى أنه عليم، إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب، لأنه محل العلوم منّا.

(وليس في الخبر إثبات الجارحة تعالى الله عن شبه المخلوقين علوا كبيرا)[٣].

---

١ – الآية (٥٨) من سورة النساء.

٢ – رواه ابو داوود/ عون المعبود شرح سنن ابي داود شرح ابي الطيب محمد شمس الحق العظيم ابادي١٣/٣٣٧ برقم ٤٧٠٢ طبعة دار الفكر الثالثة سنة ١٩٧٩ م ورواه البيهقي في الاسماء والصفات ص ١٧٩ ورجاله جميعا ثقات، على بن نصر ثقة /التقريب ٢/٤٥ ومحمد بن يونس النسائي ثقة/ التقريب ٢/٢٢٢ وعبد الله بن يزيد المقري ثقة؟ التقريب ١/٤٦٢ وحرملة بن عمران/ ثقة/ التقريب ١/١٥٨ وأبو يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة / ثقة/ التقريب ١٠/٣٢٠.

٣ – الأسماء والصفات للبيهقي ص ١٧٩-١٨٠.

فإن قيل (سميع لا كسمعنا وبصيرا لا كبصرنا) فقل كذلك في باقي الصفات إثباتا في الحقيقة وتفويضا في الكيفية نقول بأن ذلك غير صحيح لأن ذلك قياس مع الفارق فقول المثبتين للسمع: سميع لا كسمعنا مقصود منها اثبات صفة السمع لله تعالى مع تنزيهه عن آلة السمع وهي الأذن.

لأن نفي الآلة في صفة السمع وهي الأذن لا يلزم منها نفي الصفة وهي السمع فلو نفيت الأذن فإنه يتصور مع هذا النفي صفة السمع فهو يسمع بلا آلة ثم بعدها نفوّض علم ذلك لله تعالى بعد أن نؤمن بثبوت صفة السمع لأن صفة الخالق لا يمكن للمخلوق أن يدركها.

أما الصفات الأخرى كالجلوس والحركة فانه لا يمكن تصورهما أو تصور شيء فيهما ثم تفويض الباقي إلى الله تعالى، فنفي الحركة ينفي الإنتقال ولا يتصور في العقل انتقال بلا حركة فإذا نفينا الإنتقال نفينا الحركة، وإذا نفينا الحركة نفينا الإنتقال وذلك بخلاف السمع والبصر فإن نفي الآلة لا ينفي الصفة.

يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى. (ويرى لا كرؤيتنا ويسمع لا كسمعنا) ويقول ملاّ على القارئ في شرح هذه العبارة.

(فإنّا نرى الأشكال والألوان المختلفة ونسمع الأصوات والكلمات المؤتلفة بالآلات المخلوقة في الأعضاء المركبة على وفق إبصاره لا بأبصارنا وإسماعه لا أسماعنا كما ورد في الدعاء: (**اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا ما أحييتنا**) والله سبحانه يرى الأشكال والألوان والهيئات المختلفة بإبصاره الذي هو صفته على نعت اقتداره ويسمع الأصوات والكلمات والمفردات والمركبات بسمعه الذي هو نعته لا بآلة من الآلات ولا بمشاركة غيره من الكائنات وأن رؤيته للمرئيات وسمعه للمسوعات قديمة بالذات. وإن كان المرئي والمسموع من الحادثات على

ماسبق بيانه في سائر الصفات من أن تأخر المتعلق الحادث لا ينافي تقدم المتعلق القديم. ألا ترى أنك ترى في حالة نومك بقوى بطون دماغك في حالة رؤياك أشكالا والوانا وتسمع أصواتا وأفنانا ولا شكل ولا لون بحاصل ولا حاضر [١].

قال ابن حجر:

(قال ابن بطّال: إن صفتي السمع والبصر وهما صفتان قديمتان من الصفات الذاتية. وعند حدوث المسموع والمبصر يقع التعلق) [٢].

ثانياً : موقف الإمام الطبري من صفتي السمع والبصر في تفسيره:

أ- يقول الإمام الحافظ ابن جرير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [٣]:

(وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين أنهم مهما فعلوا من خير وشر، سرا وعلانية فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء فيجزيهم بالإحسان جزاءه والإساءة مثلها، وهذا الكلام وإن كان خرج مخرج الخبر فإن فيه وعدا ووعيدا وأمرا وزجرا وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليجدّوا في طاعته إذ كان ذلك مذخورا لهم عنده حتى يثبتهم عليه) [٤].ومعنى البصير عنده، ذو إبصار وأصل بصير مبصر من قول القائل أبصرت فأنا مبصر [٥].

---

١ – انظر شرح كتاب الفقه الاكبر/ الملا على القارئ ص ٥٠.

٢ – انظر فتح الباري ٢٧٥/١٣.

٣ – الآية (١١٠) من سورة البقرة.

٤ – انظر تفسير الطبري٣٩١/١ الجزء الأول.

٥ – انظر تفسير الطبري ٣٤١/١ الجزء الأول.

ب- وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [١].
(فإن الله هو السميع لما يقولون لك بألسنتهم ويبدون لك بأفواههم) [٢].

ج- وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [٣].
وقوله ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (يقول جل ثناؤه واصفا نفسه بما هو به وهو يعني نفسه السميع لما ينطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء ولا يعزب عن عمله شيء منه وهو محيط بجميعه محص صغيره وكبيره لتجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر) [٤].

د- ويقول عند تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [٥].
(يقول تعالى ذكره قال الله لموسى وهارون لا تخافا فرعون أنني معكما أعينكما عليه وأبصر كما أسمع ما يجري بينكما وبينه فأفهمكما ما تحاورانه فيه وأرى ما تفعلانه ويفعل)[٦].

من خلال النقول التي ذكرتها من تفسير الإمام الحافظ ابن جرير رحمه الله يتبين بكل وضوح وجلاء أنه رحمه الله قد ذكر صفتي السمع والبصر لله تعالى كما وردتا في الكتاب العزيز دون الخوض فيما خاض فيه غيره من إثبات الآلة ونسبة ذلك إلى السلف الصالح.

---

١ - الآية (١٣٧) من سورة البقرة.
٢ - انظر تفسير الطبري ٤٤٤/١ الجزء الأول.
٣ - الآية (١١) من سورة الشورى.
٤ - انظر تفسير الطبري ٩/١١ الجزء (٢٥).
٥ - الآية (٤٦) طه.
٦ - انظر تفسير الطبري ١٣٠/٨ الجزء (١٦).

كما تقدم وذكرنا قول ابي حنيفة الإمام الأعظم من ذكر صفتي السمع والبصر وعدم خوضه ايضا في ذكر الآلة فيهما.

فلا ينبغي لأحد الإنكار على من أثبت صفتي السمع والبصر دون الخوض في ذكر الآلة في هاتين الصفتين ولمزيد من الإيضاح ننقل أقوال المفسرين في هاتين الصفتين لإستخلاص اقوال العلماء قديما وحديثا في هاتين الصفتين راجين من الله التوفيق والسداد.

ثالثاً : أقوال المفسرين في صفتي السمع والبصر:

أ- يقول الزمخشري رحمه الله في تفسير قوله تعالى :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [١]: (يصح أن يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر[٢] ولم يزد على ذلك شيئا وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [٣] قال: (إنه هو السميع لأقوال محمد البصير بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك) [٤] وهو بذلك يذكر صفة السمع دون الخوض في إثبات الآلة أو نفيها أو غير ذلك وكذلك البصر دون ذكر الآلة أو غيرها.

---

١ - الآية (١) من سورة المجادلة.

٢ - انظر الكشاف للزمخشري ٤/٤٨٥.

٣ - الآية (١) من سورة الاسراء.

٤ - انظر الكشاف للزمخشري ٢/٦٤٨.

ب- ويقول الفخر الرازي رحمه الله:

(واحتج الاصحاب بقوله ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [1] على أن سمعه تعالى زائد على علمه بالمسموعات لأن قوله عليم بناء مبالغة فيتناول كونه عالما بجميع المعلومات فلو كان كونه سميعا عبارة عن علمه بالمسموعات لزم التكرار وإنه غير جائز، فوجب أن تكون صفة كونه تعالى سميعا أمرا زائدا على وصفه بكونه عليما والله أعلم بالصواب) [2].

ومثل ذلك قال ابن بطّال فيما نقله عنه ابن حجر في الفتح حيث قال: قال ابن بطال : (غرض البخاري في هذا الباب - يعني باب وكان الله سميعا بصيرا -الرّد على من قال إن معنى ﴿ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ عليم قال :

ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم بأن في الناس أصواتا ولا يسمعها، ولا شك أن من سمع وابصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر، فصح أن كونه سميعا بصيرا يفيد قدرا زائدا على كونه عليما) [3].

ويقول الفخر عند تفسير قوله تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [4] مثل قول صاحب الكشاف[5].

---

١ - الآية (٥) من سورة العنكبوت.

٢ - تفسير الفخر الرازي ٩٤/٤ المجلد الثاني.

٣ - انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٧٣/٣.

٤ - الآية (١) من سورة الاسراء.

٥ - انظر تفسير الرازي ١٤٨/٢٠ مجلد ١.

ج- ويقول القرطبي رحمه الله.

فقد فسر البصير بالعالم وهو بذلك يؤولها حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [1].

(قل لهم يا محمد الله بصير بما تعملون، وقال العماء : وصف الله عزّ وجلّ نفسه بأنه بصير على معنى عالم بخفيات الأمور[2]. وهذا قد رد عليه ابن بطال كما تقدم.

ويقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [3].

(والذي يعتقد في هذا الباب أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعليّ صفاته، لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبّه به، وإن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق، فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، إذ صفات القديم جلّ وعزّ بخلاف صفات المخلوق، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض، وهو تعالى منزه عن ذلك، بل لم يزل باسمائه وبصفاته على ما بينّاه في (الكتاب السني في شرح اسماء الله الحسنى) وكفى في هذا قوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [4].

---

١ - الآية (٩٦) من سورة البقرة.

٢ - انظر تفسير القرطبي ٣٥/٢ / المجلد الأول.

٣ - الآية (١١) من سورة الشورى.

٤ - انظر تفسير القرطبي ٨/١٦ المجلد الثامن.

ثم يقول بعد ذلك (وزاد الواسطي رحمه الله بيانا فقال. ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ[1] وجلب الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة، كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة. وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة. رضي الله عنهم).

د- ويقول العلامة الألوسي رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [2]، أي عالم بخفيات أعمالهم - فهو مجازيهم لا محالة - وحمل البصر على العلم- هنا وإن كان بمعنى الرؤية صفة الله تعالى أيضا لأن بعض الأعمال لا يصح أن يرى-على ما ذهب إليه بعض المحققين[3].

ويقول عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [4] أي أنه السميع لما تقولون أيها المكذبون البصير بما تفعلون فيعاقبكم على ذلك) [5].

هـ- ويقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [6] أي خبير بصير بما يعمل عباده من خير وشر وسيجازي كل عامل بعمله[7].

---

١ - انظر تفسير القرطبي ٩/١٦ المجلد الثامن.

٢ - الآية (٩٦) من سورة البقرة.

٣ - انظر تفسير الألوسي ٣٣١/١ المجلد الأول.

٤ - الآية (١) من سورة الاسراء.

٥ - انظر تفسير الألوسي ١٤/١٥/ المجلد الخامس

٦ - الآية (٩٦) من سورة البقرة.

٧ - انظر تفسير ابن كثير ١٢٩/١.

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [1] فإنه مبصر صرّف إلى بصير كما صرّف مبدع إلى بديع ومؤلم إلى أليم والله أعلم[2] واكتفى ابن كثير بذكر الروايات في تفسير الآية الأولى من سورة الاسراء التي ذكرت الإسراء كما اكتفى بذكر مناسبة نزول أول سورة المجادلة.

مما تقدم نلحظ أن علماء التفسير قد مروا على صفتي السمع والبصر مرورا سريعا دون الخوض فيهما بل ذكروهما دون زيادة على النص القرآني قائلين بالصفتين دون الحديث عن الآلة أو غيرها، وبذلك يكون منهجهم منهج الصحابة والسلف الصالح في عدم الخوض فيما كان الخوض فيه من التكلف.

وبذلك تصبح النتيجة واضحة جلية وهي أن صفتي السمع والبصر ثابتتان لله تعالى بالكيفية التي يعلمها الله تعالى وأن السلف جميعا والخلف من بعدهم قد فوّضوا أمرها إلى الله عزّ وجلّ لأن الخوض فيهما من التكلف ونحن قد نهينا عن التكلف والله اعلم.

---

١ – الآية ١١٠ من سورة البقرة.

٢ – انظر تفسير ابن كثير ١٥٤/١.

المبحث الثامن

الحيـــاة :

أولاً : الآيـــات الـــواردة في ذلـــك :

أ- قال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [1].

ب- وقال تعالى :

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [2].

ج- وقال تعالى :

﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [3].

د- وقال تعالى :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [4].

هـ- وقال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [5].

---

١ - الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

٢ - الآيات (١-٢) من سورة ال عمران.

٣ - الآية (١١١) من سورة طه.

٤ - الآية (٥٨) من سورة الفرقان.

٥ - الآية (٦٥) من سورة غافر.

ثانياً : المعنى اللغوي لكلمة (حــي) :

قــال الراغب :[1]

(حــيَ : الحياة تستعمل على أوجــه) :

الأولى : للقوة النامية في النبات والحيوان قيل نبات حــيّ، قــال عــزّ وجــلّ : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ ﴾[2].

الثانية : للقوة الحساسه وبه سمي الحيوان حيوانا.

الثالثة : للقوة العاقلة، كقوله تعالى ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ ﴾[3].

الرابعة : عبــارة عن ارتفــاع الغــم

الخامسة : الحياة الأخروية الأبدية ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ ﴾[4].

السادسة : الحيــاة التــي يوصــف بــها البــاري فإنــه إذا قيــل فيــه تعــالى ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ ﴾ فمعنــاه لا يصــح عليــه المــوت وليــس ذلــــك إلا لله عزّ وجلّ.

---

١ - انظر المفردات للراغب ص ١٣٨-١٣٩.

٢ - الآية (١٧) من سورة الحديد.

٣ - الآية (١٢٢) من سورة الانعام.

٤ - الآية (٦٤) من سورة العنكبوت.

صفة الحياة ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع الأمة لقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [1] ولقوله ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾ [2] وغيرها من الآيات ولقوله ﷺ فيما يرويه عنه ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن الرسول ﷺ كان يقول:

(اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ تعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والأنس يموتون) [3].

وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن الله تعالى حياة باقية دائمة وأن حياته الباقيه مختصه به بخلاف خلقه فإنهم يموتون ذلك أن لله صفات الكمال التي تليق بذاته العلية حيث يقول سبحانه ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴾ ويقول ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ . وصفة الحياة تستلزم سائر صفات الكمال فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة)[4].

---

١ – الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

٢ – الآية (١١١) من سورة طه.

٣ – رواه البخاري / ٣٦٩/١٣ فتح/ ومسلم (٣٨/١٧–٣٩ بشرح النووي) طبعة دار الفكر.

٤ – أنظر العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص١٢٥.

ثالثاً : موقف الإمام الطبري رحمه الله من تفسير الآيات التـــي ذكـــرت صفة الحياة :

يقول الإمام الطبري عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [١] (وأما قوله الحي فإنه يعني الذي له الحياة الدائمة والبقـــاء الـــذي لا أول له يحدّ وآخر له يؤمد إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كـــان حيّـــا فلحياتـــه أول محدود وآخر مأمود ينقطع بانقطاع أمدها وينقضي بانقضاء غايتها[٢].

ثم بعد ذلك ذكر بعض الروايات عن السلف.

الأولى عن الربيع فقد روى بسنده عنه أنه قال الحيّ حي لا يموت[٣].

ويقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾ [٤].

(يقول تعالى ذكره استأســـرت وجـــوه الخلـــق واستســـلمت للحـــيَ الـــذي لا يموت)[٥].

ويقول عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [٦].

(يقول تعالى ذكره وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا مـــوت معها فثق به في أمر ربك وفوّض اليه واستسلم له واصبر ما نابك فيه) [٧].

---

١ - الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

٢ - انظر تفسير الطبري ٣/ ٤ المجلد الثالث.

٣ - انظر تفسير الطبري ٣/٥ المجلد الثالث.

٤ - الآية (١١١) من سورة طه.

٥ - انظر الطبري ١٥٧/١٦ المجلد الثامن.

٦ - الآية (٥٨) من سورة الفرقان.

٧ - انظر الطبري ١٨/١٩/ المجلد ١.

والخلاصة أن الطبري يرى أن تفسير الحي أنها الحياة الدائمة الباقية والتي تخالف حياة المخلوقين بهذا البقاء الذي لا أول له وهذا الدوام الذي لا آخر له دون ذكر أي زيادة على هذا المعنى وهو بذلك يفوّض ويسلّم كيفية الحياة لله تعالى دون أن ينظر فيها بعد أن يثبت أنها صفة له دائمة باقية وهو من السلف رضوان الله عليهم الذين يؤخذ برأيهم ويعتد بقولهم.

رابعاً : أقوال المفسرين في صفة الحياة :

أ- رأي الإمام الزمخشري رحمه الله:

يقول :﴿ ٱلْحَيِّ ﴾ الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح أن يعلم ويقدر. وقد علق محمد عليان المرزوقي على ذلك في الحاشية بقوله (المعتزلة يفرون أن يثبتوا لله صفة وجودية كالحياة التي تنافي الموت فلذا فسر الحي بما قال) [١].

ب- ويقول الفخر الرازي

بعد أن نقل المعنى اللغوي وأقوال المتكلمين قال :

(والذي عندي في هذا الباب أن الحيّ في أصل اللغة ليس عبارة عن هذه الصحة، بل كل شيء كان كاملا في جنسه، فإنه يسمى حيّا، ألا ترى أن عمارة الأرض الخربة تسمى: إحياء الموات، وقال تعالى : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ وقال : ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ والصفة المسماة في عرف المتكلمين، إنما سميت بالحياة لأن كمال حال

---

١ - انظر الكشاف ١/٢٩٩ - ٣٠٠.

الجسم أن يكون موصوفا بتلك الصفة فلا جرم سميت تلك الصفة حياة، وكمال حال الأشجار أن تكون مورقة خضرة. فلا جرم سميت هذه الحالة حياة، وكمال الأرض أن تكون معمورة، فلا جرم سميت هذه الحالة حياة، فثبت أن المفهوم الاصلي من لفظ الحيَ كونه واقعا على أكمل أحواله وصفاته وإذا كان كذلك فقد زال الإشكال لأن المفهوم من الحيَ هو الكامل- وهي يقصد الإشكال بين المتكلمين فيما نقله عنهم سابقا-فقوله الحي يفيد كونه كاملا على الإطلاق، والكامل هو أن لا يكون قابلا للعدم لا في صفاته الحقيقية ولا في صفاته النسبية والإضافية) [١]. أ هـ

وخلاصة القول في صفة الحياة أنها ثابتة لله وإن حياته سبحانه باقية دائمة وهي صفة لذاته كما قال بذلك السلف والخلف من المفسرين كما ذكرت ذلك وأن أي قول في صفة الحياة غير هذا هو قول باطل مردود لا نقبله لأن السلف والخلف مجموعون على إثبات صفة الحياة لله تعالى والله أعلم.

ج- وأما أبو حيان فيقول :

(الحي وصف وفعله حيي وهو وصف لمن قامت به الحياة وهو بالنسبة إلى الله تعالى من صفات الذات حي بحياة لم تزل ولا تزول.

ثم ينقل قول المعتزلة أنه حيّ بلا حياة ويقول ولذلك قال الزمخشري الحي الباقي الذي لا سبيل للفناء عليه وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح أن يعلم ويقدر انتهى كلامه وعنى بالمتكلمين متكلمي مذهبه) [٢]. أ هـ

---

١ - ورد في قوله ان لا تكون الأشجار مورقة وأظن أن هذا خطأ فيه زيادة (لا) والله أعلم والمقصود أن تكون الأشجار مورقة.

٢ - انظر البحر المحيط لابي حيان ٢/ ٢٧٧.

وهو يرى أن صفة الحياة صفة ذات لم تزل ولا تزول مثبتا لها دون الخوض في كيفيتها :

د- ويقول القرطبي رحمه الله .

﴿ ٱلْحَيّ ﴾ اسم من اسمائه الحسنى يسمى به، ويقال إنه اسم الله الأعظم ونقل عن قتادة أنه قال : الحي الذي لا يموت ونقل عن السدي أنه قال : الحي الباقي)[١].

وهو بذلك يرى أنه الحي اسم لا صفة وثبوت الأسماء معلوم بالكتاب والسنه. من خلال ما تقدم يتحصّل لنا العلم بأن صفة الحياة ثابتة لله تعالى وأن هذه الحياة دائمة باقية لا إبتداء لها ولا إنتهاء كما يتحصّل لنا نصوص في هذه المسألة من أقوال السلف من خلال كتب التفسير.

الأول - قول الربيع الذي نقله الإمام الطبري وهو (الحي: حي لا يموت).
الثاني - قول قتادة الذي نقله القرطبي وهو مثل قول الربيع.
الثالث - وهو قول السدي والذي نقله القرطبي ايضا : (الحي: الباقي).

---

١ - انظر تفسير القرطبي ٣/ ٢٧١ المجلد الثاني .

المبحث التاسع

الكـــلام في النفس :

أولاً : الآيـــات الـــواردة في ذلـــك :

أ- قال تعالى :

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١).

ب- وقال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (٢)

ج- وقال تعالى :

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣).

---

١ - الآية (٢٨) من سورة ال عمران.

٢ - الآية (١١٦) من سورة المائدة.

٣ - الآية (٥٤) من سورة الانعام.

د- وقال تعالى :

﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾ [١].

ثانياً : المعنى اللغوي للنفس :

قال الراغب[٢]

(نفس : النفس الروح في قوله : ﴿ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ [٣]

وقوله :﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾ [٤].

وقوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾ [٥] فنفسه ذاته.

ويقول الإمام البيهقي (والنفس في كلام العرب على وجوه (فمنها):

نفس منفوسة مجسمه مروحة (ومنها): مجسمه غير مروحة، تعالى الله عن هذين علوا كبيرا (ومنها) : نفس بمعنى إثبات الذات كما تقول في الكلام: هذا نفس الأمر، تريد إثبات الأمر لا أنّ له نفسا منفوسة أو جسما مروحا فعلى هذا يقال في الله سبحانه إنه نفس، لا أن له نفسا منفوسة أو جسما مروحا) [٦]. أ هـ

---

١ - الآية (٤١) من سورة طه.

٢ - المفردات للراغب ص ٥٠١.

٣ - الآية (٩٣) من سورة الانعام.

٤ - الآية (١١٦) من سورة المائدة.

٥ - الآية (٢٨) من سورة ال عمران.

٦ - انظر الاسماء والصفات للبيهقي ص ٢٨٦.

وليس للسلف كما ذكر الالوسي في هذا الموضوع أقوال حيث ذكر:
(بأنه قيل : النفس بمعنى الذات وجواز إطلاقه حينئذ بلا مشاكله مما لا كلام فيه عند المتقدمين) [١].

وقد ثبت في السنه الصحيحة إطلاق النفس على الله تعالى حيث يقول ﷺ (.. ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه) [٢] والمراد من النفس، فيما ذكره الله تعالى وما أخبر به الرسول ﷺ كما قال الشيخ أبو سليمان الخطابي، (أنه موجود ثابت غير منتف ولا معدوم وكل موجود نفس وكل معدوم ليس بنفس[٣].

قال ابن بطال: (في هذه الآيات والأحاديث اثبات النفس لله، وللنفس معان والمراد بنفس الله ذاته وليس بأمر مزيد عليه فوجب أن يكون هو) [٤].

وقال ابن حجر رحمه الله عند شرح قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه (.. وإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي) [٥]. أي إذا ذكرني بالتنزيه والتقديس سرا ذكرته بالرحمة والثواب سرا) [٦].

١ – انظر روح المعاني للألوسي ١٢٦/٣ المجلد الأول.
٢ – رواه البخاري مرفوعا (انظر الفتح ٢٦٩/٨) ومسلم(٧٧/١٧) شرح النووي والبيهقي في الاسماء والصفات ص ٢٨٣.
٣ – انظر الاسماء والصفات للبيهقي ص ٢٨٦.
٤ – فتح الباري ٣٨٤/١٣.
٥ – رواه البخاري/ انظر الفتح ٣٨٤/١٣.
٦ – فتح الباري ٣٨٦/١٣.

ثالثاً : موقف الإمام الطبري من هذه المسألة:

يقول الإمام الطبري رحمه الله[1]

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ يعنى تعالى ذكره بذلك ويخوفكم الله من نفسه أن تركبوا معاصيه أو توالوا أعداءه فإن الله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم ويحشركم لموقف الحساب.

ويقول عند قوله تعالى : ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ﴾ [2] (يقول ولا أعلم أنا ما أخفيته عني فلم تطلعني عليه لأني إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه إنك أنت علاّم الغيوب)[3].

والطبري رحمه الله تعالى يقول ويخوفكم الله من نفسه ويفوّض ذلك دون أن ينظر فيه مسلّما الأمر لله ومفوّضا وكأنه أراد أن معنى النفس هي ذات الله تعالى. على ما تعرفه العرب من ذلك المعنى عند إطلاقه بقصد إثبات الوجود أو الأمر والله تعالى أعلم.

---

١ – انظر الطبري ١٥٤/٣ المجلد الثالث.

٢ – الآية (١١٦) من سورة المائدة.

٣ – انظر الطبري ٩٠/٧ المجلد الخامس.

رابعاً : أقوال المفسرين في المسألة :

أ- يقول الإمام الزمخشري رحمه الله[١].

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [٢] فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد وقد مرّ على آية المائدة وآية طه دون أن يتكلم أو يذكر شيئا.

ب- يقول الفخر الرازي في المسألة[٣]

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ أن تعصوه فتستحقوا عقابه والفائدة في ذكر النفس أنه لو قال : ويحذركم الله فهذا لا يفيد أن الذي أريد التحذير منه هو عقاب يصدر من الله أو من غيره فلما ذكر النفس زال هذا الإشتباه.

ج- وينقل أبو حيّان عن ابن عباس أنه قال ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ بطشه وقال الزجاج نفسه أي إياه تعالى وقال ابن عطية وهذه مخاطبة معهود ما يفهمه البشر والنفس في مثل هذا راجع إلى الذات وفي كلام حذف مضاف لأن التحذير إنما هو من عقاب وتنكيل ونحوه فقال ابن عباس والحسن ويحذركم الله عقابه)[٤] أ هـ

---

١ - انظر الكشاف ٣٥١/١.

٢ - الآية (٢٨) من سورة آل عمران.

٣ - انظر تفسير الفخر الرازي ١٤/٨ المجلد الرابع.

٤ - انظر البحر المحيط لأبي حيان ٤٢٥/٢.

د- وكذلك قال الألوسي ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ اي عقاب نفسه - قالـــه ابن عباس رضي الله عنه[١].

وخلاصة القول عند المفسرين أن النفس هنا مراد منــها الــذات والتعبـير عنها بالنفس هو معهود ما يفهمه البشر كمــا قــال ابــن عطيــة وإنــه ســبحانه ليس له نفس منفوسة أو جسم مروح وعلى هذا المعنـــى يقــال فــي الله ســبحانه إنه نفس كما ذكر البيهقي في الأسماء والصفات وقد تقدم.

---

١ - انظر روح المعاني / الألوسي ١٢٧/٣) المجلد الأول.

المبحث العاشر

الوجه والعين

أولاً : آيات وردت في ذلك :

أ- قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١).

ب- وقال تعالى :

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

ج- وقال تعالى :

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (٣).

د- وقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٤).

---

١ - الآية (١١٥) من سورة البقرة.

٢ - الآية (٣٨) من سورة الروم.

٣ - الآية (٢٧) من سورة الرحمن.

٤ - الآية (٩) من سورة الإنسان.

هـ- وقال تعالى :

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ (1).

و- وقال تعالى:

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ (2).

ز- وقال تعالى :

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (3).

ح- وقال تعالى :

﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ (4).

(الوجه في اللغة هو الجارحة كما في قوله تعالى : ﴿ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ (5) وربما عبر بالوجه عن الذات كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (6).

---

١ - الآية (٣٧) من سورة هود.

٢ - الآية (٣٩) من سورة طه.

٣ - الآية (٤٨) من سورة الطور.

٤ - الآية (١٤) من سورة القمر.

٥ - الآية (٦) من سورة المائدة.

٦ - الآية (٢٧١) من سورة الرحمن.

قاله الراغب [1]:

(والعين كذلك هي الجارحة، قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ [2].

ويقال لذي العين عين وللمراعي للشيء عين وفلان بعيني أي أحفظه وأراعيه كقولك بمرأى مني ومسمع، قال تعالى ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [3] وقال : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [4] - ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [5] أي بحيث نرى ونحفظ- ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [6] أي بكلاءتي وحفظي).

قاله الراغب[7] :

وهذه الجوارح التي ذكرت في القرآن العظيم مضافة إلى الله عزّ وجلّ إما أن تحمل على ظواهرها ونثبتها لله وهذا محال في حقه عزّ وجلّ كما ذكره المحققون من أهل العلم وكما دلت على ذلك القواطع العقلية من كونه تعالى منزها عن الجوارح والأجزاء والأبعاض لذلك وجب فيه المصير إلى التأويل.

قال ابن عقيل : (تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة، هذا عين التجسيم، وليس الحق بذي أجزاء وأبعاض يعالج بها) [8].

---

١ - المفردات للراغب ص ٥١٣.
٢ - الآية (٤٥) من سورة المائدة.
٣ - الآية (٤٨) من سورة الطور.
٤ - الآية (١٤) من سورة القمر.
٥ - الآية (٣٧) من سورة هود.
٦ - الآية (٣٩) من سورة طه.
٧ - انظر المفردات للراغب ص ٣٥٥.
٨ - انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ١٧٤.

قال ابن حجر (وقال غيره دلت الآية ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [1] على أن المراد بالترجمة الذات المقدسة، ولو كانت صفة من صفات الفعل لشملها الهلاك كما شمل غيرها من الصفات وهذا مجال الجوارح والأعضاء) [2] والحق أنه لو كان مراد الله تعالى من هذه الآيات التي تذكر الوجه واليد والعين وغيرها الجوارح والأعضاء لوجب أن تهلك هذه الأعضاء المضافة إلى الله تعالى باستثناء الوجه-تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-وهذا مايفهم من قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [3] فإن ظاهرة يدل على فناء غير الوجه ومن هنا وجب عقلا تنزيه الله تعالى عن الأعضاء والجوارح وتأويل ما ورد منها على مقتضى النصوص وما يفهم من كلام العرب من استعمال هذه الكلمات حيث يختلف معناها باختلاف استعمالها في السياقات العربية للكلام. سواء كان ذلك في الوجه أو في العين يقول الإمام البيهقي رحمه الله. ومن أصحابنا من حمل العين المذكورة في الكتاب على الرؤية وقال قوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ معناه بمرأى مني، وقوله ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي بمرأى منا [4].

---

١ - الآية (٨٨) من سورة القصص.

٢ - فتح الباري لابن حجر ٣٨٩/١٣.

٣ - الآية(٨٨) من سورة القصص.

٤ - انظر الاسماء والصفات للبيهقي.

ثانياً : اقــوال السلف في هذه الصفــات :

أ- قال البيهقي (حكى المزني عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال في هذه الآيـــة ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [1]: يعني والله أعلم فثم الوجه الذي وجهكم الله إليه) [2].

ب- وروى البيهقي بسنده عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (قبلة الله فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن إلا إليها) [3].

وهو بذلك يتأول الوجه بالقبلة. وكذلك أولها قتادة كما ذكر ذلك الطبري[4].

ج- وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ معناه قبلة الله قال أبو حيّان فيكون الوجه بمعنى الجهة وأضيف ذلك إلى الله حيث أمر باستقبالها فــهي الجهة التي فيها رضي الله تعالى[5].

أمـــا أقــوال السلف في العين :

أ- روى الطبري بسنده عن سفيان أنه قال بأعيننا: بأمرنا[6] فـــي قولـــه تعـــالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [7].

---

١ - الآية (١١٥) من سورة البقرة.

٢ - الاسماء والصفات للبيهقي ص ٣٠٩.

٣ - المرجع نفسه ص ٣٠٩.

٤ - انظر تفسير الطبري ١/٤٠٠.

٥ - انظر البحر المحيط لابي حيان ١/٣٦١.

٦ - انظر تفسير الطبري ٢٧/٥٦/ المجلد ١١.

٧ - الآية (١٤) من سورة القمر.

ب- وروى عن مجاهد أنه قال : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [١] بمرأى مناد منظر[٢].

ونحن نرى أن بعض السلف في ذ لك يؤولون صفة العين بالرؤية كما ذكر ذلـك البيهقي : وقد تقدم.

ثالثاً : موقــف الطبــري من هــذه الصفــات:

أما الطبري رحمه الله فقد فوض في مسألة الوجه وذكره دون تفسير فقال:

أ- ومعنى الآية إذا ولله ملك الخلق الذي بين المشرق والمغرب يتعبدهم بما يشاء ويحكم فيهم ما يريد، عليهم طاعته فولوا وجوهكم أيها المؤمنون نحو وجــــهي فإنكم اينما تولوا وجوهكم فهنالك وجي[٣] قــــال ذلــك عنــد قولـــه تعـــالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [٤] وهو بذلك يذكر الوجه كما ورد في الآية دون خوض في كيفية أوغيرها مفوضا معناه إلى الله عزّ وجلّ.

ب- ويقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [٥].

(اختلف في معنى قوله إلا وجهه فقال بعضهم معناه كل شيء هــــالك إلا هــو وقال آخرون معنى ذلك إلا ما أريد به وجه الله) [٦].

---

١ - الآية (١٤) من سورة القمر.

٢ - انظر تفسير الطبري٢٧/٥٦ المجلد ١١.

٣ - انظر تفسير الطبري ١/٤٠١.

٤ - الآية (١١٥) من سورة البقرة.

٥ - الآية (٨٨) من سورة القصص.

٦ - انظر تفسير الطبري ٢٠/٨٢ المجلد العاشر.

وهو بذلك ينقل مقرا قول من قال : أن وجهه هو (ذاته) أو ما أريد به وجه الله من العمل وهذا عين التأويل. والطبري بذلك يفوض تارة ويؤول تارة حسب موقع الكلمة من السياق والله أعلم.

رابعاً : أقوال المفسرين في هاتين المسألتين :

إن أقوال المفسرين في هاتين المسألتين قائمة على التأويل في الغالب وأن معنى الوجه والعين والمراد منهما في النص القرآني يدور مع السياق وكما كانت العرب تستعمل هذه الكلمات في معانيها الحقيقية والمجازية مع أن الاستعمال المجازي والكناية في القرآن لهذه الكلمات هو الأغلب يقول الزمخشري رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (أي الجهة التي أمر بها) [1] وأما الفخر الرازي فقال في هذه الآية (الوجه لو كان محاذيا للمشرق لاستحال في ذلك الزمان أن يكون محاذيا للمغرب أيضا فإذن لا بد فيه من التأويل وهو على وجوه ثم يقول بعد ذلك (والجواب الثاني) وهو أنه وصف نفسه بكونه واسعا. فلا شك أنه لا يمكن حمله على ظاهره وإلا لكان متجزئا متبعضاً، فيفتقر إلى الخالق بل لا بد أن يحمل على السعة في القدرة والملك أو أنه واسع العطاء والرحمه أو انه واسع الإنعام ببيان المصلحة للعبيد لكي يصلوا إلى رضوانه ولعل هذا الوجه

١ - الكشاف للزمخشري ١٠/١٨٠.

بالكلام أليق[١]. وكذلك قال في قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ أي يكون عطاؤه لله لا غير) [٢].

وقال أبو حيّان رحمه الله (وحيث جاء الوجه مضافا إلى الله تعالى فله محمل في لسان العرب إذ هو لفظ يطلق على معان ويستحيل أن يحمل على العضو وإن كان ذلك أشهر فيه) [٣]. ثم ذكر بعد ذلك تعليقا جميلا على من ذهب إلى ان تلك الصفة ثابتة فقال (وقد ذهب بعض الناس إلى أن تلك صفة ثابتة لله بالسمع زائدة على ما توجبه العقول من صفات القديم تعالى وضعّف أبو العاليه. وغيره هذا القول لأن فيه الجزم بإثبات صفة لله تعالى بلفظ محتمل وهي صفة لا يدري ما هي ولا يعقل معناها في اللسان العربي فوجب إطراح هذا القول والاعتماد على ماله محمل في لسان العرب إذا كان للّفظ دلالة على التجسيم فنحمله إما على ما يسوغ فيه من الحقيقة التي يصح نسبتها إلى الله تعالى إن كان اللفظ مشتركا أو من المجاز إن كان اللّفظ غير مشترك والمجاز في كلام العرب أكثر من رمل بيرين ونهر فلسطين فالوقوف مع ظاهر اللّفظ الدالّ على التجسيم غباوة وجهل بلسان العرب وأنحائها ومتصرّفاتها في كلامها وحجج العقول التي مرجع حمل الألفاظ المشكلة إليها، ونود بالله أن نكون كالكرامية ومن سلك مسلكهم في إثبات التجسيم ونسبة الأعضاء إلى الله، تعالى الله عما يقول المفترون علوا كبيرا[٤].

---

١ – انظر تفسير الفخر الرازي ٢٤/٤ المجلد الثاني.

٢ – انظر تفسير الفخر الرازي ١٢٦/٢٥ المجلد ١٣.

٣ – انظر البحر المحيط لابي حيان ٣٦١/١.

٤ – انظر البحر المحيط لابي حيان ٣٦١/١.

وهذا الرأي من علماء التفسير والذي قرر فيه ابو حيان هذه القاعدة في اللّفظ المحتمل والذي استعملته العرب في معان عدة يطرح من هذه المعاني نسبة ما فيه إثبات العضو لله تعالى ويكون معنى هذه الألفاظ حسب ما يعقل معناه من لسان العرب بحسب السياقات التي يرد فيها والله أعلم.

أما أقوالهم في العين :

فقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ (١) بمعنى اصنعها محفوظا(٢).

وقال الرازي : (فهذا لا يمكن إجراؤه على ظاهره من وجوه).

أحدها: أنه تقتضي أن يكون لله تعالى أعين كثيرة وهذا يناقض قوله تعالى :

﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ (٣)

وثانيها : أنه يقتضى أن يصنع نوح عليه السلام ذلك الفلك بتلك العين.

وثالثها : أنه ثبت بالدلائل القطعية كونه تعالى منزها عن الجوارح والأجزاء والأبعاض، فوجب المصير فيه إلى التأويل وهو من وجوه.

أذكر منها :

(**الثاني** : أن من كان عظيم العناية بالشيء فإنه يضع عينه عليه، فلما كان وضع العين على الشيء سبباً لمبالغة الاحتياط والعناية جعل العين كناية

---

١ - الآية (٣٧) من سورة هود.

٢ - انظر الكشاف للزمخشري (٢/٣٩٣).

٣ - الآية (٣٩) من سورة طه.

عن الاحتياط فلهذا قال المفسرون معناه: بحفظنا إياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك) [١].أ هـ. وقال أبو حيّان في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ : (بمرأى منا وكلاءة وحفظ فلا تزيغ صنعته عن الصواب فيها ثم قال وجمعت هنا(أي بأعيننا) لتكثير الكلاءة والحفظ وديمومتها) [٢].

وخلاصة القول في هذا القضايا هو ما ذكره أبو حيّان رحمه الله تعالى بأن القاعدة نفي الأعضاء والجوارح والأبعاض عن اله وكل ما ورد في ذلك منسوبا إلى لفظ الجلالة ينظر فيه إلى المعاني التي استعملها العرب في أمثالها من الجازات والكنايات وتأول هذه الألفاظ على مقتضى ذلك والله أعلم.

وقد اكتفيت هنا بذكر أقوال العلماء في التفسير على ما ذكرت لأني وجدت أن أكثر المفسرين في هذه المسألة على هذا، راجيا من الله أن أكون وفقت لاختيار الصواب خصوصا وأن ابن الجوزي رحمه الله يقول: [٣] في الله ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [٤] قال: قال المفسرون : معناه يبقى ربك، وكذا قالوا في قوله ﴿ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ ﴾ [٥] أي يريدونه. ثم يقول بعد ذلك وقد ذهب الذين أنكرنا عليهم إلى أن الوجه صفة تختص باسم زائد على الذات قلت فمن أين قالوا هذا، وليس لهم دليل إلا ما عرفوه من الحيات ...؟ وذلك يوجب التبعيض ولو

١ - انظر الفخر الرازي ٢٣١/١٧ المجلد ٩.

٢ - انظر البحر المحيط لابي حيان ٢٢٠/٥.

٣ - انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ١١٣.

٤ - الآية (٢٧) من سورة الرحمن.

٥ - الآية (٥٢) من سورة الانعام .

كان كما قالوا كان المعنى: أن ذاته تهلك إلا وجهه. تعالى الله عن ذلك وحاشاه مما يقولون.

ثم هو يقول بعد ذلك:

(وقال ابن حامد المجسم : اثبتنا لله وجها ولا نجوّز إثبات الرأس قلت:ولقد اقشعر بدني من جراءته على ذكر هذا فما أعوزه في التشبيه غير الرأس[1]ثم نقل بعد ذلك أن المفسرين قالوا في قوله تعالى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [2] وقوله تعالى ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [3] بأنها: بأمرنا، أي بمرأى منا [4].

وأختم هذا المبحث بما رواه مسلم بسنده عن أبي موسى الأشعري قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابة النور، وفي رواية أبي بكر النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وفي رواية أبي بكر عن الأعمش لم يقل حدثنا)[5].

قال النووي رحمه الله : فالسبحات بضم السين والباء وهي جمع سبحه قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى

---

١ - انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص ١١٣.

٢ - الآية (٣٩) من سورة طه.

٣ - الآية (٣٧) من سورة هود.

٤ - انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص ١١٣.

٥ - رواه مسلم في أفراده ٣/١٣-١٤ طبعه دار الفكر.

سبحان وجهه نوره وجلاله وبهاؤه وأمـــا الحجــاب فأصلـــه فـــي اللغـــة المنـــع والستر وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجســـم والحدّ[1]. قال ابن الجوزي قلت وأما السبحات فجمع سبحة قال أبـــو عبيـــده: لـــم نسمع هذا إلا في هذا الحديث، كما أن مسلم أشار إلى أنه في روايـــة أبـــي بكـــر عن الأعمش لم يقل حدّثنا وبذلك أعلّ الحديث خصوصا أن الأعمش وهو ســـليمان بن مهران كان مدلسا[2] وبذلك يكون الحديث فيه ما فيه ولا يستدل بـــه فـــي أمـــر كهذا والله اعلم.

١ – انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/٣ –١٤.

٢ – انظر تقريب التهذيب ص ٣٣١.

الفصل الرابع

بعض ما ورد من الصفات وما يلحق بها في السنة وتفسيرها عند السلف وفيه مباحث:

المبحث الأول	:	الهرولة
المبحث الثاني	:	النزول
المبحث الثالث	:	الضحك
المبحث الرابع	:	الجهات
المبحث الخامس	:	الرجل والقدم والساق
المبحث السادس	:	الأصابع
المبحث السابع	:	العجب

المبحث الأول

الهـــرولـــة :

في هذا الفصل سأذكر بعض الأحاديث التي وردت فـــي السـنة المطـهرة والتي تذكر فيها بعض الصفات التي أضيفت إلى الله عز وجل وسأبين بعـــون الله موقف العلماء منها قديما وحديثا ما أمكنني ذلك راجيـا أن يوفقنـي الله لمـا هـو الصواب والحق.

وسنبدأ هذا الفصل بحديث ذكر فيه ﷺ الهرولة حيث قال أبو هريرة رضـي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي وأنا معه حيـث يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في مـلأ خير منهم وإن تقّرب إلي شبرا تقربت اليه ذرعا وإن تقرب إلي وزاعا اقتربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) [1].

قال ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث :

(ونقل عن الطبري أنه إنما مثل القليل من الطاعة بالشبر منه والضعف مـن الكرامة والثواب بالذراع فجعل ذلك دليلا على مبلغ كرامته لمن أدمن على طاعتـه أن ثواب عمله له على عمله الضعف وأن الكرامة مجاوزة حده إلى مـا يثبتـه الله تعالى) [2] والطبري رحمه الله من سلفنا الصالح يؤول هذا الحديـث ويذكـر بـأن التقرب هو الطاعة من العبد والثواب من الله تعالى.

---

١ - رواه البخاري ٣٨٤/١٣ فتح الباري ومسلم (٢١٠٢/٤).

٢ - انظر الفتح لابن حجر ٥١٣/١٣.

ويقول ابن حجر ايضا:

(قال ابن بطّال: وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ووصف العبد بأنه يتقرب إليه ووصفه بالإتيان والهرولة كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز فحملها علىالحقيقة يقتضي قطع المسافات وتداني الأجسام وذلك في حقه تعالى محال فلما استحالت الحقيقة تعين المجاز لشهرته في كلام العرب فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبرا وذراعا وإتيانه ومشيه على طاعته وتقربه من رحمته ويكون قوله أتيته هرولة أي أتاه ثوابي مسرعا[١].

وهو بذلك يتأول الإتيان المنسوب إلى الله تعالى بالثواب كما ذكر الإمام أحمد رحمه الله في معنى قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [٢] فقال ثوابه وقد تقدم.

وقد نقل ابن حجر عن ابن التين أنه قال :

(القرب هنا نظير ما تقدم في قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [٣] فإن المراد به قرب الرتبة الكرامة والهرولة كناية عن سرعة الرحمة إليه ورضى الله عن العبد وتضعيف الأجر[٤].

وقد نقل أيضا عن القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي أنه قال في كتابه مشارق الأنوار على صحاح الآثار أنه قال (المراد في هذا الحديث

---

١ - انظر الفتح لابن حجر ٥١٣/١٣.

٢ - الآية (٢٢) من سورة الفجر.

٣ - الآية (٩) من سورة النجم.

٤ - انظر الفتح لابن حجر ٥١٣/١٣.

سرعة قبول توبة الله للعبد أو تيسير طاعته وتقويته عليها وتمام هدايتــــه وتوفيقــه والله أعلم بمراده [1] وهم بذلك جميعا يؤولون الهرولة إما بســـرعة الثــواب وإمــا بسرعة الرحمة وإما بسرعة قبول توبة العبد. وقد أوّلها الكرماني بـــــالثواب فقـــال (ولفظ القرب والهرولة) مجاز على سبيل المشاكلة والإستعارة أو إرادة لوازمها) [2] والله تعالى اعلم.

---

١ - انظر الفتح لابن حجر ٥١٣/١٣ في عقيدة التوحيد في فتح الباري لأحمد عصام الكاتب ص١٩٤

٢ - انظر الفتح لابن حجر ٥١٤/١٣.

المبحث الثاني

النّـــزول

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال ﷺ :

(ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير يقول :

﴿من يدعوني فأستجيب له ﴾[1].

سبق ان ذكرت في مبحث الإتيان والمجيء في الفصل الثالث ما ذكره العلماء من أن الله تعالى لا يجوز عليه الانتقال ولا يوصف بالحركة ولا بالسكون وقد نقل البيهقي في الأسماء والصفات عن ابي الحسن الأشعري رحمه الله أنه قال: (فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء) ثم نقل عنه أيضا أنه قال (وهكذا قال في أخبار النزول إن المراد به فعل يحدثه الله عزّ وجلّ في سماء الدنيا كل ليله يسميه نزولا بلا حركة ولا نقلة تعالى الله عن صفات المخلوقين) [2].

وقد ذكر ابن حجر في الفتح مذاهب العلماء في مسألة النزول فقال ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف.

ومنهم من أوّله على وجه يليق، مستعمل في كلام العرب.

ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف.

---

١ – رواه البخاري (٢٩/٣ فتح الباري) ومسلم ٥٢٢/١.

٢ – انظر الاسماء والصفات للبيهقي ص ٤٤٨ – ٤٤٩.

إلا أن من السلف من أوّله فقد روى الحافظ ابن عبد البر

قال (قال ابن عدي: حدثنا محمد بن هارون بن حسان حدثنا صالح بن أيوب حدثنا حبيب بن أبي حبيب، حدثني مالك قال: يتنزل ربنا تبارك وتعالى أمره فأمّا هو فدائم لا يزول قال صالح: فذكرت ذلك ليحيي بن بكير، فقال حسن والله ولم أسمعه من مالك) [١].

ذلك أنه لا يمكن حمل النزول على الحقيقة لما في ذلك من تصور التجسيم ولتعارضه مع القواطع العقلية.

قال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الإنتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد: نور رحمته. أي ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والإنتقام، الى مقتضى صفى الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة [٢].

وهنا أقول لما كان الثلث الأخير من الليل أمرا لا ينقضي إذ في كل لحظة ثلث أخير فهل يبقى ربنا في السماء الدنيا ؟ وعليه يسقط قول القائلين والذي لا يصح أصلا بأن الله مستو على العرش لأن ذلك يعني أن العرش خال منه وهذا أيضا يوضح الإعتقاد بالتجسيم الذي وهموه حتى قال الشيخ ابن تيمية أن السلف اختلفوا هل يخلو منه العرش أم لا[٣]؟ فكان لا بد من التأويل في هذه المسألة. كما فعل الإمام مالك رضي الله عنه وقد نقل ذلك عنه ايضا ابن حجر ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريبا مستعملا في كلام العرب وبين ما يكون بعيدا مهجورا

---

١ - أنظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠٥/٨.

٢ - انظر فتح الباري لابن حجر ٣٠/٣.

٣ - انظر كتاب الموافقة ٤/٢.

فأوّل في بعض وفوّض في بعض. وهو منقول عن مالك أيضا وجـــزم بـــه مـــن المتأخرين كابن دقيق العيد[١]، وقد سبق ما ذكره ابن عبد البر عن مالك في تـــأويل النزول.

وقد حكى أبو بكر بن فورك، أن بعض المشايخ ضبطه- أي الحديث-بضـــم أوله على حذف المفعول : اي " ينزل" ملكا. ويقويه ما رواه النسائي مـــن طريـــق الأغر، عن أبي هريرة وأبي سعيد بلفظ " إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل، ثـم يأمر مناديا يقول : هل من داع فيستجاب له؟ [٢] الحديث

قال القرطبي : وبهذا يرتفع الأشكال[٣].

وكذلك إذا قيل بأن النزول صفه ذات تحدث كل ليلة فإن ذلك يقتضي حـــدوث هذه الصفة وتجددها والله عز وجل قديم وصفاته كذلك.

يقول ابن الجوزي (إنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغـــيّر. فيبقى الناس رجلين، أحدهما : المتأول له بمعنى : أنه يقـــرب رحمتـــه، والثـــاني الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزيه[٤] أ هـــ ويقول الخطابي رحمـــــه الله (وإنما ينكر هذا وما أشبه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشـــاهده مـــن النزول الذي هو من أعلى إلى اسفل، وإنتقال من فوق إلى تحت وهذا صفة الأجسام والإشباح، فأما نزول من لا يستوي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعـــاني غـــير متوهمة فيه، وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده) [٥].

---

١ – انظر فتح الباري ٣/ ٣٠.

٢ – رواه النسائي في السنن (٦/١٢٤ رقم ١٠٣١٦).

٣ – انظر فتح الباري ٣/٣٠.

٤ – انظر دفع التشبيه بأكف التنزيه ص ١٩٤ – ١٩٥.

٥ – انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٥٣.

من خلال ما تقدم أستطيع القول بأن النزول المذكور أما أن يؤول كما تقـــدم من وجوه التأويل أو يفوّض أمره إلى الله تعالى مع اعتقاد التنزيه للخالق عز وجـل عن النقلة ومشابهة الحوادث بما يجوز عليها أما القول بالنزول على الحقيقة ليمـــلأ عزّ وجلّ مكانا بعد أن كان خاليا منه ويفرغ مكانا بعد أن كان يملؤه فـــهذا محـــال على الله والله أعلم.

المبحث الثالث

الضحك :

الحديث المعتمد في هذا المبحث هو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (**يضحك الله من رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة**) [١].

قال الخطابي رحمه الله الضحك الذي يعتري البشر عندما يستخفهم الفرح أو الطرب غير جائز على الله تعالى وإنما هذا ضرب مثل لهذا الصنيع الذي يحل محل الإعجاب عند البشر فإذا رأوه أضحكهم ومعناه الإخبار عن رضي الله بفعل أحدهما وقبوله للآخر ومجازاتهما على صنيعهما بالجنة مع اختلاف حالهما[٢] قال :

(وقد تأوّل البخاري الضحك في موضع آخر على معنى الرحمة وهو قريب) [٣].

وقال ابن الجوزي : (وكذلك الضحك الذي يعتري البشر إنما هو انفتاح الفم عند الانسان، وهذا يستحيل على الله فوجب حمله على إبداء كرم الله وإبانة فضله[٤].

ويقول الإمام النووي رحمه الله (معنى الضحك من الله وهو الرضى والرحمة وإرادة الخير لمن يشاء رحمته من عباده والله أعلم) [٥].

---

١ – رواه البخاري (٣٩/٦فتح الباري) ومسلم (١٥٠٤/٣ برقم ١٨٩٠) ومالك في الموطأ ص ٢٨٥ والنسائي (٣٨/٦ برقم ٣١٦٦).

٢ – انظر فتح الباري ٤٠/٦، الاسماء والصفات للبيهقي ص ٤٦٩.

٣ – انظر فتح الباري ٤٠/٦، الاسماء والصفات للبيهقي ص ٤٧٠.

٤ – دفع شبة التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ١٨٠.

٥ – انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٤٣/٣ طبعة دار الفكر.

وهذا يدل على أن من السلف من أول الضحك إما بالرضى أو الرحمة على أن جماهير السلف على الإمرار كما قال ابن الجوزي ومعنى الإمرار : عدم العلم بالمراد مع اعتقاد التنزيه[1]

وهذا لا يمنع أن بعض السلف قد أولوا في هذا الأمر فقد ذكر البيهقي أن أبا الحسن قال :

فمعنى قول النبي ﷺ يضحك الله أي يبين ويبدي من فضله ونعمه ما يكون جزاء لعبده الذي رضي عمله[2]. والتأويل هو الأولى في هذه المسألة والله تعالى أعلم.

---

١ - انظر عقيدة التوحيد في فتح الباري لأحمد عصام الكاتب ص ١٩٧والفتح لابن حجر ٦/٤٠.

٢ - الاسماء والصفات للبيهقي ص ٤٧٣ - ٤٧٤.

المبحث الرابع

الجهـات :

قد سبق وذكرت في موضوع العلو: والاستواء مقدمات ودلائل عقلية على أن الله تعالى لا تحويه الجهات لأنه لو كان في جهة لكان متحيزا ومحدودا لأن ذلك من لوازم كونه في جهة.قال ابن الجوزي رحمه الله.

(وأعلم أن كل من يتصور وجود الحق سبحانه وجودا مكانيا طلب له جهة كما أن من تخيل أن وجوده وجود زماني طلب له مدة في تقدمه على العالم بأزمنة وكلا التخيلين باطل. وقد ثبت أن جميع الجهات تتساوى بالإضافة الى القائل بالجهة فاختصاصه ببعضها ليس بواجب لذاته بل هو جائز فيحتاج الى مخصص يخصصه ويكون الاختصاص بذلك المعنى زائدا على ذاته وما تطرق الجواز إليه استحال قدمه لأن القديم هو الواجب الوجود من جميع الجهات. ثم إن كل من هو في جهة يكون مقدّرا محدودا وهو يتعالى عن ذلك وإنما الجهات للجواهر والأجسام لأنها أجرام تحتاج الى جهة والجهة ليست في جهة وإذا ثبت بطلان الجهة ثبت بطلان المكان ويوضحه أن المكان يحيط بمن فيه والخالق لا يحويه شيء ولا تحدث له صفة) [1] أ هـ

قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى ندعي أنه ليس في جهة مخصوصة من الجهات الست ومن عرف معنى الجهة ومعنى لفظ الاختصاص فهم قطعا استحالة الجهات على غير الجواهر والأعراض إذ الحيز وهو الذي يختص الجوهرية، ولكن الحيز إنما يصير جهة إذا أضيف إلى شيء آخر غير متحيز [2].

---

١ – دفع شبة التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ١٣٦ .

٢ – انظر الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ص ٢٢ – المطبعة الأدبية مصر.

قال الأيجي في كتابه المواقف في علم الكلام:

إنه تعالى ليس في جهة ولا في مكان وخالف فيه المشبهة وخصصوه بجهة الفوق ونقل اختلاف من قالوا بالجهة ثم بعد ذلك دفع كونه عزّ وجلّ في جهة مستدلا على ذلك بما يلي :

أولاً : أنه لو كان في مكان لزم قدم المكان وقد يرد وهنا أن لا قديم إلا الله وعليه الإتفاق.

الثاني : المتمكن محتاج الى مكانه والمكان مستغن عن المتمكن.

الثالث : لو كان في مكان فإما أن يكون في بعض الأحياز أو في جميعها وكلاهما باطل.

أما الأول : فلتساوي الأحياز ونسبته إليها فيكون اختصاصه ببعضها ترجيحا بلا مرجح، أو يلزم الاحتياج في تحيزه الذي لا تنفك عنه ذاته إلى غيره.

وأما الثاني : فلأنه يلزم تداخل المتحيزين وأنه محال بالضرورة[1].

ثم ذكر أوجها من الاستدلالات العقلية لنفي أن يكون الله تعالى في مكان أو في جهة إذ أن الله تعالى لا تحويه الأمكنة ولا الجهات ولا يوصف بشيء منها، وما ورد من وصفه بالعلو لم يرد به الجهة الحسيه وإنما أريد به العلو من جهة المعنى كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله.

(ولا يلزم من كون جهتي العلو السفل محال على الله تعالى أن لا يوصف بالعلو لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى والمستحيل كون ذلك من جهة الحس) [2].

---

١ – انظر المواقف في علم الكلام لعبد الرحمان الأيجي ص٢٧٠-٢٧١/عالم الكتب بيروت/توزيع مكتبة المتنبي.

٢ – انظر فتح الباري لابن حجر ١٣٦/٦.

ومما ينفي الجهة بـــالمعنى الحســي قولـــه تعـــالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ قال أبو حيّان (فثم وجه الله ردّ على من يقول إنه في حيز وجهة لإنه لّما خيرّ في استقبال جميع الجهات دلَ على انه ليس في جهة ولا حيزَ ولو كان فــي حيّز لكان استقباله والتوجه إليه أحق من جميع الأماكن فحيث لم يخصـــص مكانـــا علمنا أنه لا في جهة ولا حيز بل جميع الجهات في ملكه وتحت ملكه في أي جهـــة توجهنا إليه فيها على وجه الخضوع كنَا معظمين له ممتثلين لأمره) [1].

---

١ - انظر البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٣٦١.

المبحث الخامس

الرجل والقدم والساق :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(لا تزال جهنم يلقي فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها الى بعض) [1].

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ (تحاجت الجنة والنار فقالت النار أو ثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها الى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا) [2].

وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول:

(يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا) [3].

---

١ – رواه البخاري _٨/٥٩٤ فتح) ومسلم (٤/٢١٨٨).

٢ – رواه البخاري ٨/٥٩٥ فتح.

٣ – رواه البخاري (٨/٦٦٣-٦٦٤ فتح)، (١٣/٤٢١ فتح).

تقدم وأن ذكرت في مبحث اليد ما قاله العلماء في استحالة وصف الله تعالى بالأعضاء والجوارح بما يغني عن إعادة تلك الأقوال ولأن وصفه بالأعضاء يؤدي إلى محظورات شتى أهمها أن الأخذ بظواهر النصوص يجعل الأدلة القرآنية يصدم بعضها البعض الآخر فلو أثبتنا لله يدا ورجلا وقدما وساقا ووجها على مقتضى ظاهر النصوص التي ذكرت هذه الأمور مضافة إلى الله تعالى وأضفنا ذلك الى قوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [1] وأخذنا النص ايضا على ظاهره لزم القول بهلاك ما أثبتناه له من الاعضاء وهذا محال ويلزم منه تأويل هذه النصوص خروجا من هذا اللازم ولذلك وردت في مثل هذه الظواهر تأويلات عن السلف منها.

أوّل ابن حبان في صحيحه الحديث الأول والذي فيه ذكر القدم فقال[2].

(هذا الخبر من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة، وذلك أنه يوم القيامة يلقى في النار من الأمم والامكنة التي عصي الله فيها، فلا تزال تستزيد حتى يضع الربّ جلّ وعلا موضعا من الكفار والأمكنة في النار فتمتلئ فتقول قط قط، تريد حسبي حسبي، لأن العرب تطلق في لغتها اسم القدم على الموضع قال الله جل وعلا:

﴿ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [3] يريد موضع صدق، لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النار جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه)

---

١ - الآية (٨٨) من سورة القصص.

٢ - صحيح ابن حيان ١/٥٠٢ / مؤسسة الرسالة.

٣ - الآية (٢) من سورة يونس.

قال ابن الجــوزي :

(الواجب علينا أن نعتقد أن ذات الله تعالى لا تتبعض ولا يحويها مكــان ولا توصف بالتغيّر والانتقال وقد حكى أبو عبيد الهروي عن الحسن البصري أنه قـال: القدم هم الذين قدمهم الله تعالى من شرار خلقه واثبتهم لها)[١].

أما السلف فقد فوضوّا معاني هذه الظواهر قال ابن حجر[٢].

(واختلف في المراد بالقدم فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة وهــو أن تمرّ كما جاءت ولا يتعرض لتأويله بل تعتقد استحالة ما يوهم النقــص علــى الله، وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك فقال المراد إذلال جهنم فإنها إذا بــالغت في الطغيان وطلب المزيد أذلها الله فوضعها تحت القدم وليس المراد حقيقة القــدم والعرب تستعمل ألفاظ الأعضاء في ضرب الامثال ولا تريد أعيانها كقولهم رغــم أنفه وسقط يده). أ هـ

وقال أبو سليمان[٣] وذكر القدم ههنا يحتمل أن يكون المراد منه من قدمهم الله النار من أهلها، فيقع بهم استيفاء عدد أهل النار وكل شيء قدمته فهو قدم كما قيــل لما هدمته هدم ولما قبضته قبض وما قال من أول هذه الظواهر بهذه التــأويلات إلا من أجل تنزيه الله عز وجل عن المشابهة التي وقع فيها الكثيرون كما فعل القاضي أبو يعلى وابن الزغواني.

---

١ – انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ١٧٠.

٢ – انظر فتح الباري لابن حجر ٥٩٦/٨.

٣ – انظر الاسماء والصفات للبيهقي ص ٣٥١.

فقال القاضي ابو يعلى : القدم صفة ذاته

وقال ابن الجوزي : وهذا إثبات تبعيض وهو من أقبح الاعتقــادات)[1] وزاد المحدث الكوثري في تعليقه على الاسماء والصفــات فقــال : (وقــد صــرح الله بتكذيبهم فقال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾[2] فكيف يظــن بالخالق أن يردها تعالى الله عن تجاهل المجسمة)[3].

أما الساق فقد سبق أن ذكرت ما قاله العلماء من السلف وغيرهم في معنــى الساق (وتأويلاتهم فيها في مبحث موقف السلف من التأويل) وأنه يراد به الأمــر الشديد كما قالت العرب : قامت الحرب على ساق إذا اشتدت وكذلك تقدم الحديــث في تأويل قوله ﷺ (فيكشف عن ساقه فيسجد كل مؤمن) وما تكلموه في الحديــث بما أغنى عن إعادته هنا.

---

١ – انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ١٧٢.

٢ - الآية (٩٩) من سورة الانبياء.

٣ – الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٥١.

المبحث السادس

الأصابع :

روى البخاري عن عبد الله قال (جاء حبر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع، والأرض على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والأنهار على إصبع وسائر الخلق على إصبع، ثم يقول بيده أنا الملك.

فضحك رسول الله ﷺ وقال ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [1].

وفي رواية أخرى قال يحيي بن سعيد وزاد الفضيل بن عياض عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله، فضحك رسول الله ﷺ تعجبا وتصديقا له [2].

قال الخطابي رحمه الله في هذا الحديث:

إن الأصل في هذا وما أشبهه في إثبات الصفات: أنه لا يجوز ذلك إلا ان يكون بكتاب ناطق أو خبر مقطوع بصحته، فإن لم يكونا فبما يثبت من أخبار الأحاديث المستندة إلى أصل في الكتاب أو في السنة المقطوع بصحتها أو بموافقة معانيها وما كان بخلاف ذلك فالتوقف عن إطلاق الإسم به هو الواجب) [3].

---

١ - رواه البخاري(١٣/٤٣٨ فتح) ومسلم (٤/٢١٤٨).

٢ - انظر صحيح البخاري (١٣/٣٩٢ فتح).

٣ - الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٥١.

وهو إنما يريد بذلك أن يرد الإستدلال بالظني على المقطوع به في أمور العقيدة إلا إذا كان هذا الظني مستندا الى أصل في الكتاب أو السنة المتواترة وهذا الحديث لا يصح اعتماد الزيادة التي فيه وهي قول الراوي (وتصديقا له) وقوله تعجبا محتمل فيه الإنكار أو الإقرار، وكذلك قوله (تصديقا له) ليست في كافة الروايات بل هي رواية تفرّد بها الفضيل بن عياض كما ذكر البخاري وقد خالف بها ظاهر الآية ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ وزيادة الثقة إذا عارضت ظاهر القطعي ترد والله أعلم.

قال القرطبي في الفهم[1]: (وهذا كله قول يهودي وهم يعتقدون التجسيم وأن الله شخص ذو جوارح كما يعتقده غلاة المشبهة من هذه الأمة وضحك النبي ﷺ إنما هو للتعجب من جهل اليهودي ولهذا قرأ عند ذلك ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ [2] أي ما عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه فهذه الرواية هي الصحيحة المحققة وأما من زاد تصديقا له، فليست بشيء فإنها من قول الراوي وهي باطلة لأن النبي ﷺ لا يصدق المحال وهذه الأوصاف في حق الله محال إذ لو كان ذا يد وأصابع لاستحال أن يكون إلها إذا لو جازت الإلهية لمن هذه صفته لصحت للدجال وهو محال، فالمفضي إليه كذب فقول اليهودي كذب ومحال ولذلك أنزل الله في الرّد عليه ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ وإنما تعجب النبي ﷺ من جهلة فظن الراوي أن ذلك التعجب تصديق وليس كذلك).

---

١ - انظر فتح الباري لابن حجر ٣٩٨/١٣ - ٣٩٩.

٢ - الآية (٩١) من سورة الانعام.

فإن قيل قد صح حديث (إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمان)[1](رواه مسلم (٤/٢٠٥٤ برقم ١٧) وأحمد (٢/١٦٨) والترمذي (٤/٤٤٩ برقم ٢١٤١ شاكر وغيرهم).

فالجواب أنه إذا جاءنا مثل هذا في الكلام الصادق تأوّلناه أو توقفنا فيه إلى أن يتبين وجهه مع القطع باستحالة ظاهرة لضرورة صدق من دلت المعجزة على صدقه).

قال الخطابي في هذا الحديث ويتأوّل على ما يليق بمعاني الأصول المتفق عليها من أقاويل أهل الدين والعلم مع نفي التشبيه فيه، هذا هو الأصل الذي نبني عليه الكلام ونعتمده في هذا الباب. وذكر الأصابع لم يوجد في شيء من الكتاب ولا من السنة التي شرطها في الثبوت ما وصفناه وليس معنى اليد في الصفات بمعنى الجارحة حتى يتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع[٢]. ولذلك أوّل كثير من العلماء الأصابع.

فقال الإمام الغزالي رحمه الله (وقوله ﷺ (قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمان)[٣] فإنه عند الجاهل يخيل عضوين مركبين من اللحم والعظم والعصب مشتملين على الأنامل والأظافر نابتين من الكف وعند العالم يدل على المعنى المستعار له دون الموضوع له وهو ما كان الإصبع له وكان سرّ الإصبع وروحه وحقيقته وهو القدرة على التقليب كما يشاء لما دلت عليه المعية) [٤].

---

١ - رواه مسلم (٤١/٢٠٥٤ برقم ١٧) وأحمد (٢/١٦٨) والترمذي (٤/٤٤٩ برقم ٢١٤١ شاكر) وغيرهم.

٢ - انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٣٦.

٣ - رواه مسلم/انظر صحيح مسلم بشرح النووي/ ١٦/٢٠٧ - ٢٠٨ طبعة دار احياء التراث العربي ١٩٧٢

٤ - انظر الاقتصاد في الإعتقاد /الغزالي ص ٢٧.

وقال ابن حزم: بين إصبعين بمعنى بين تدبيرين ونعمتين من تدبير الله عــز وجل ونعمه، إما كفاية تسره وإما بلاء يأجره عليه الإصبع في اللغة النعمة وقلــب كل أحد بين توفيق الله وجلاله وكلاهما حكمه عزّ وجلّ[1].

مما تقدم يتبين أن كثيرا من العلماء تكلم في رواية الفضيل والتي فيها زيــادة (وتصديقا له) واحتمال أن ذلك التعجب إنما كان للإنكار على اليهودي ذلك أن الآية التي تلاها ﷺ صريحة بالإنكار عليه وكما ذكر ابن حجر فقال[2] الآية أي ليــس قدره في القدرة على ما يخلق على الحد الذي ينتهي إليه الوهم ويحيط به الحصــر لأنه تعالى يقدر على إمساك مخلوقاته على غير شيء كما هي اليوم قــال تعــالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [3] وقال ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ﴾ [4]. فلا يتوهم في حقه تعالى الجوارح والأعضاء تعالى الله عـن ذلك علوا كبيرا.

---

١ - انظر فتح المعين بنقد كتاب الأربعين/ للمحدث عبدالله بن صديق الغماري تحقيق الشيخ حسن السقاف (ص٤٤) مكتبة النووي عمان الطبعة الاولى ١٩٩٠م.

٢ - انظر فتح الباري لابن حجر ص ٣٩٨.

٣ - الآية (٤١) من سورة فاطر.

٤ - الآية (٢) من سورة الرعد.

المبحث السابع

العجـــب :

قال تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [1] .

وقال ﷺ : (**لقد عجب الله مـــن صنيعكمـــا بضفكمـــا الليلـــة**) هـــذا مـــن حديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريـــرة رضـــي الله عنـــه أن رجـــلا أتى النبي ﷺ فقال (إني مجهود فقال من يضيف هـــذا هـــذه الليلـــة ... وقصـــة الحديث تقدمت ...)[2] . أ هـ

قال الراغب في مفرداته

(العجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قـــال الحكماء: العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل لا يصح على الله التعجب إذ هو علاّم الغيوب لا تخفى عليه خافية[3].

ويقول ابن الجوزي :

(قال العلماء: العجب إنما يكون من شيء يدهـــم الإنســـان ممـــا لا يعلمـــه فيستعظمه وهذا لا يليق بالخالق سبحانه وتعالى ولكن معناه: عظم قدر ذلك الشـــيء عند الله لأن المتعجب من شيء يعظم قدره عنده[4].

---

١ – الآية (١٢) من سورة الصافات.

٢ – رواه البخاري (١١٩/٧فتح)ومسلم ١٦٢٤/٣،والترمذي(٤٠٩/٥ برقم ٣٣٠٤طبعة شاكر وغيرهم.

٣ – المفردات للراغب ص ٣٢٢.

٤ – انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ١٩٩.

(قال شريح: إن الله لا يعجب من شيء إنما يعجب من لا يعلم وقـــال أبـــو زكريا الفراء العجب وإن أسند إلى الله تعالى فليس معناه من الله كمعناه من العبـــاد ألا ترى أنه قال : ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [١] وليس السخري مـــن الله كمعناه من العباد [٢].

وذكر البيهقي أن الشيخ قال-(الشيخ هو أبو الحسن الأشعري) [٣]:

وتمام ما قال الفراء في قـــول غـــيره وهـــو أن قولـــه : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ بالرفع أي جازيتهم على عجبهم لأن الله سبحانه وتعالى أخبر عنـــهم في غير موضع بالتعجب من الحق، فقال:

﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ [٤] فأخبر عنهم أيـــضا أنـــهم قـــالوا : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [٥] فقال فقال تعـــالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ [٦] أي بل جازيت على التعجب.

وما رواه البخاري أن النبي ﷺ قال عجب ربك من قوم جيء بـــهم فـــي السلاسل حتى يدخلهم الجنة [٧] هو من باب استعظام ذلك الأمر لا بمعنى ما يحـدث للبشر عندما يدهمهم ما لا يعلمونه.

---

١ - الآية (٧٩) من سورة التوبة.

٢ - انظر الاسماء والصفات للبيهقي ص ٤٧٥.

٣ - انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٧٥.

٤ - الآية (٤) من سورة ص.

٥ - الآية (٥) من سورة ص.

٦ - الآية (١٢) من سورة الصافات.

٧ - رواه البخاري أنظر الفتح (١٤٥/٦).

وحاصل القول في هذه المسألة أن الله منزه عن العجب الذي يصيب البشر لأن الله علاّم الغيوب قال ابن عقيل :

(العجب في الأصل استغراب الشيء وذلك يكون في علم ما لم يعلم، وإلا فكل شيء أنس به لا يتصور العجب منه فإن الإنسان إذا رأى حجر المغناطيس يجذب الحديد ولم يكن رآه قبل ذلك عجب، والباري سبحانه لا يعزب عن علمه شيء فأين العجب منه؟ فلم يبق للحديث معنى إلا أن يكون فعل شيء أعجبه فعله) [1] وهذا ما يتفق مع القواعد التي تقرر تنزيه الله تعالى من مشابهة الحوادث والله عز وجل يهدينا إلى الصواب.

---

١ - انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ١٩٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات وله المنة على عطاياه التي لا تعد ولا تحصى والشكر على ما أنعم به علي فأعانني على إتمام هذه الرسالة في موضوع من أدق الموضوعات وفي دراسة لآيات الصفات من خلال كتاب من كتب السلف رضوان الله عليهم وهو (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ولعالم حافظ فقيه ورع تقيّ هو الإمام محمد بن جرير الطبي رحمه الله تعالى- وقد تبينّ لي من خلال هذه الدراسة أن عقيدة التوحيد الإسلامية لا تدع مجالا لأي تصور بشري عن ذاته سبحانه وتعالى إذ يتعالى عن الكيف فعله فالله سبحانه ليس كمثله شيء ومن ثم لا مجال للتصور البشري لينشئ صورة عن ذات الله تعالى فكل التصورات البشرية إنما تنشأ في حدود المحيط الذي يستخلصه العقل البشري مما حوله من أشياء. فإذا كان الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء توقف التصور البشري إطلاقا عن إنشاء صورة معينة لذاته، ومتى توقف عن إنشاء صورة معينة لذاته العلية فإنه يتوقف تبعا لذلك عن تصور أن لأفعاله جميعها كيفيات ولم يبق أمامه إلا مجال تدبر آثار هذه الأفعال في الوجود من حوله وهذا هو مجاله)[1] الذي عليه أن يعمل عقله فيه. وقد توصلت من خلال

هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

١- تبين لي من خلال دراستي التي قدمتها أن الإمام ابن جرير الطبري كان من السلف بحسب التعريف الذي قدمته مولدا ووفاة وهو من الأجيال التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية والفضل (أهل القرون الثلاثة).

---

١ - في ظلال القرآن - سيد قطب ٥٢٤/٣- ٥٢٥ بتصرف.

٢- تبين لي أن الحنابلة قد تعصبوا على محمد بن جرير الطبري لموقفه من الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وتصنيفه له بأنه من علماء الحديث وليس من الفقهاء في كتابه (اختلاف الفقهاء) مما حدا بهم إلى أن يشنوا حملة رهيبة ضده تزعمها أبو بكر بن أبي داوود السجستاني والذي لا يساويه لا في العلم أو الفضل ولا في التقوى كما بينت في بحثي.

٣- تأثير هذه المحنة التي أوقد نارها الجهلة والمجسمة من الحنابلة على تفسيره مما أدى إلى أن يجاملهم ذلك الإمام بعض المجاملة فأدخل في تفسيره بعض كليمات كما ذكر بعض العلماء مثل المحدث محمد زاهد الكوثري، في كتابه السيف الصقيل ومقالاته.

٤- أن الإمام الطبري كان مؤولا لآيات الصفات تارة ومفوضا تارة أخرى ولم يكن مجسما أو مثبتا إثباتا يقوده إلى التجسيم وقد نقلت من تفسيره ما يثبت هذه النتيجة .

٥- أن السلف جميعا كانوا يؤولون ما يحتاج إلى تأويل من آيات الصفات ويفوّضون عندما لا تدعو حاجة للتأويل كما كانوا يفعلون ذلك في كل ما ورد من هذه الصفات في السنة المطهرة ولم يكن السلف متفقين في نظرتهم لهذه الصفات فابن عباس كان يؤول بعض الصفات وكذلك مجاهد ومقاتل والبخاري وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم. كما أن بعضهم كان يفوّض كما روى ذلك الترمذي في سننه أنهم كانوا يمرّونها كما جاءت دون الخوض فيها.

٦- أن من أوّل في آيات الصفات كان مراده تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث وأنه في ذلك التأويل لم يكن مبتدعا ولا ضالّا بل هو على منهج من أول من السلف في آيات الصفات وليس لأحد أن يرمي أولئك الذين أولوّا في آيات الصفات بما يوافق أصول الاعتقاد وتحتمله اللغة بالضلال والبدعة وليس لأحد

أن يكفّرهم كما يقع من بعض من لم تتسع دائرة معلوماته ولم يطلع اطلاعا تاما أو شاملا على أقوال أهل العلم حسب الإمكان، وهؤلاء أيضا لا شأن لهم إلا الخوض في لحوم علماء الأمة والطعن بأهل الحق .

٧- أن الإمام الأشعري رحمه الله تعالى وهو من السلف الصالح كان إمام هدى ينافح عن القرآن والسنة ويذب عنهما، وأنه لم يخرج عما كان عليه السلف من التفويض والتأويل وليس كما يصفه البعض بل هو من أهل الحق الذين أوضحوا العقائد وردوا عنها بدع المتكلمين وزيغ أهل الفلسفة بما جلبوه من فكر اليونان وغيرهم.

٨- أن علماء التفسير جميعا قد أولوّا في كثير من آيات الصفات لأن من النصوص القرآنية مالا يمكن فيه إلا التأويل كما سبق وبينت.

أمـــا التوصيـــات فهـــي كما يلـــي :

١- أن تتبنى المؤسسات العلمية تشكيل لجنة من العلماء للنظر في مسائل العقيـــدة خصوصا ما يدور حوله جدل وخلاف بين المسلمين للخروج برأي واضح بيـــن في هذه المسائل يجمع المسلمين على منهج واحد يؤدي الى وحدة الصف بينهم.

٢- أن توجه كلية الشريعة في الجامعة طلبتها للبحث في مسائل العقيدة ودراسة هذا الأمر بتجرد وموضوعية ودون التعصب لمنهج أو لعالم بعينه من أجل الوصول الى الحق الذي يرضي الله تعالى ويعين المسلمين على اعتقاد الحق فـــي هـــذه المسائل.

٣- أن يقوم كبار العلماء ببيان ما توصلوا إليه في هذه القضايا وطرح ذلك علـــى طلبة العلم من خلال عقدة ندوات متخصصة في هذا الموضوع من أجل الوقوف في وجه الضلال الذي تنشره بعض الجهات وتحشد له الدعم الكبير من خــــلال طرح الكتب التي تملئ الأسواق دون قيد أو شرط واستغلال أجهزة الإعلام لهذه الغاية.

٤- أن تدرس النشرات والكتب التي تطرح في اسواقنا مـــن قبـــل هيئـــة علمـــاء لإجازتها أو تقرير وقفها حتى لا تقع في أيدي الناس، إن كان فيها مـــا يخـــالف أصول الدين وقواعده ويكون ذلك من خلال التنسيق مـــع دائـــرة المطبوعـــات والنشر بتحويل ما يختص من الكتب الدينية على هذه الهيئة.

٥- أن يقتصر طرح المسائل العقائدية والتي تشكل الأساس في اختلاف الرأي على العلماء وطلبة العلم وعدم نشر ذلك على العامة لما يؤديه ذلـــك مـــن الخـــلاف والفتنة وتفريق صف المسلمين.

٦- ايقاف الجهلة ومدعي العلم الذين لا همَ لهم إلا إثارة المسائل التي تؤدي إلـــى إثارة الجدل وكأنه لاهَم لهم إلا بذر الخلاف وزرع الفرقة بين المسلمين ويكــون ذلك بتشكيل هيئة من العلماء المتخصصين تجيب على ما دقَ مـــن القضايــات العقائدية.

٧- أن يكون الأساس في تصور المسلم الإعتقادي هو تنزيه الله تعالى عن المشابهة لخلقه وعن الجسمية والتحيز والجهة كاساس تبنـــى عليــها كافــة الدراســات العقائدية.

٨- إعادة النظر في مناهج الجامعة في مادة العقيدة وتبني المنهج الأشعري في هذه الجامعة كأساس لتدريس مادة العقيدة.

فهرس الأحاديث

فهـرس المـراجـع

(حـرف الألـف)

١- القرآن الكريم
٢- الإبانه عن أصول الديانه/ أبو الحسن الأشعري/تحقيق د.فوقيه حسين محمود/مطبعة الأنصار/ القاهرة.
٣- الإتقان في علوم القرآن/جلال الدين السيوطي/طبعة دار الفكر/بيروت.
٤- الإحسان في تقريب صحيح إبن حبان/علاء الدين بن بلبان الفارسي/تحقيق شعيب الأرنؤوط/ مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/أبو السعود العمادي الحنفي/دار الفكر/بيروت.
٦- الأسماء والصفات/أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي/دار إحياء التراث/بيروت.
٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين/ابن قيم الجوزية/طبعة دار الجليل/بيروت.
٨- أساس التقديس في علم الكلام/للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي/مكتبة الكليات الازهرية/القاهرة /١٩٨٦م.
٩- الإنصاف فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به/أبو بكر الباقلاني/تحقيق العلامه المحدث محمد زاهد الكوثري/ مؤسسة الخانجي الطبعة الثانية ١٩٦٣م.

(حـرف البـاء)

١٠- البحر المحيط/أبو حبان محمد بن يوسف الأندلسي/دار الفكر بيروت.
١١- البداية والنهاية/أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي/طبعة مكتبة المعارف ١٩٧٧م.

١٢- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية/ أحمد بن تيميه/بدون طبعة وتاريخ.

(حرف التاء)

١٣- تاج العروس في شرح القاموس/للسيد مرتضى الزبيدي/دار المعرفة/بيروت ١٣٠٦هـ.
١٤- تاريخ بغداد/أبو بكر أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي/دار الفكر بيروت.
١٥- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي/د.حسن إبراهيم /مكتبة النهضة المصرية/الطبعة السابعة ١٩٦٤م.
١٦- تاريخ الأمم والملوك/محمد بن جرير الطبري/بدون طبعة وتاريخ.
١٧- تأويل مشكل القرآن/ أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه الدينوري/دار الكتب العلمية/بيروت ١٩٧٥م.
١٨- تفسير التبيان/أبو جعفر محمد ابن الحسن الطوسي/تحقيق أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير/مكتبة النجف الأشرف والمطبعة العلمية في النجف.
١٩- التحريري والتنوير/محمد الطاهر بن عاشور/الدار التونسية للنشر/الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
٢٠- تذكرة الحفّاظ/ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي/طبعة دار الكتب العلمية/بيروت/الطبعة الاولى ١٩٨٣.
٢١- التفسير والمفسرون/د.محمد حسين الذهبي/دار إحياء التراث العربي.
٢٢- التفسير ورجاله/محمد الفاضل بن عاشور/دار الكتب الشرقية/تونس/الطبعة الثانية/١٩٧٢.
٢٣- تفسير القرآن العظيم/أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي/دار المعرفة/ بيروت، ١٩٦٩م.

٢٤- تفسير المنار/محمد رشيد رضا/ طبعة دار الفكر/بيروت.
٢٥- تقريب التهذيب/أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف/دار المعرفة/ بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٥م.
٢٦- تهذيب التهذيب/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/دار الفكر/بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

(حرف الجيم)

٢٧- جامع البيان عن تأويل القرآن/ محمد بن جعفر الطبري/طبعة دار الحديث/القاهرة ١٩٨٧م.
٢٨- الجامع لأحكام القرآن/ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/مؤسسة مناهل العرفان/ بيروت.
٢٩- جولات في الفقهين الكبير والأكبر/سعيد حوى/ دار الأرقم عمان/الطبعة الثانية ١٩٨١م.

(حرف الحاء)

٣٠- حلية الأولياء/أبو نعيم الأصفهاني/ دار الكتب العلمية/بيروت.

(حرف الدال)

٣١- الدر المنثور في التفسير المأثور/جلال الدين السيوطي/طبعة دار الفكر/ بيروت ١٩٨٣م.
٣٢- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه/أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي/تحقيق الشيخ حسن بن علي السقاف/دار الإمام النووي/ عمان الطبعة الثانية ١٩٩٢م.
* دفاع الطبري عن عقيدة السلف/د. أحمد العوايشة/ رسالة دكتوراه غير مطبوعة.

(حـرف الـراء)

٣٣-رسالة أهل الثغر/أبو الحسن الأشعري/ تحقيق د. محمد السيد الجليند.

٣٤-الرسالة المستطرفة/محمد بن جعفر الكتاني/ دار الكتب العلمية/الطبعة الأولـى ١٣٣٢هـ.

٣٥- الرسالة القشيرية/ لأبي القاسم عبد الكريم القشيري/ تحقيـق د.عبـد الحليـم محمود ومحمود الشريف/طبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة/١٩٧٢م.

٣٦- روح المعاني/ أبو الفضل شهاب الدين السيد الألوسي البغـدادي/ دار الفكـر بيروت.

(حـرف الـزاي)

٣٧- زاد المسير في علم التفسير/ ابو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي/المكتب الاسلامي/ الطبعة الاولى/ بيروت ١٩٦٤م.

(حـرف السـين)

٣٨- سنن ابن ماجة/ أبو عبدالله بن محمد بن يزيد القزويني/تحقيق وترتيب محمـد فؤاد عبد الباقي/ دار الفكر بيروت.

٣٩- سنن الدارمي/عبد اله بن علي عبد الرحمن الدارمـي السـمرقندي/الكتـاب العربي/الطبعة الأولى / ١٩٨٧م. وطبعة دار الفكر/بيروت.

٤٠- السنن الكبرى / ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي/ دار الفكر.

٤١- السنن الكبرى/ابو عبد الرحمن أحمـد بـن شـعيب النسـائي /دار الكتـب العلمية/بيروت/الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٤٢- سير أعلام النبلاء/شمس الدين الذهبي/تحقيـق شـعيب الأرنـؤوط وأكـرم البوشي/مؤسسة الرسالة/بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

٤٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة/ ناصر الدين الألباني/ المكتبة الإسلامية/ عمان الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.

(حرف الشين)

٤٤-شرح جوهرة التوحيد/العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري/ طبعة سنة ١٩٧٢م.

٤٥- شرح العقيدة الطحاوية/أبو العز الحنفي/تحقيق جماعة من العلماء/المكتب الاسلامي/بيروت الطبعة السادسة ١٤٠٢هـ

٤٦- شرح العقيدة الطحاوية/ عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي/ دار الفكر- بيروت /الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ

٤٧- شرح الفقه الأكبر/الملا علي القاري/طبعة دار الكتب العلمية/بيروت/ الطبعة الاولى ١٩٨٤م.

٤٨- شرح السنة/الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفداء البغوي/تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط/طبعة المكتب الاسلامي الثانية/ بيروت ١٩٨٣م.

(حرف الصاد)

٤٩- صحيح مسلم بشرح النووي/للإمام محي الدين النووي/طبعة دار إحياء التراث العربي/بيروت ١٩٧٢م وطبعة دار الفكر/بيروت.

(حرف الطاء)

٥٠-الطبري السيره والتاريخ/د.عبد الرحمن حسين العزاوي/ دار الشؤون الثقافية بغداد/الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٥١- طبقات الحفاظ/ جلال الدين السيوطي/ طبعة دار الكتب العلمية بيروت/الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٥٢- طبقات الحنابلة/القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلي/ دار المعرفة/بيروت.

٥٣- طبقات الشافعية/ أبو بكر أحمد بن عمر الدمشقي/ مجلس دائرة المعارف

العثمانية/ حيدر أباد الهند الطبعة الاولى ١٩٨٠م.
٥٤- طبقات المفسرين / شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي/ دار الكتب العلمية/بيروت الطبعة الاولى/ ١٩٨٣م
٥٥- طبقات المفسرين/ جلال الدين السيوطي/طبعة ليدن/ ١٩٦٠م.
٥٦- طوالع الأنوار من مطالع الأنظار/القاضي ناصر الدين البيضاوي/ تحقيق عباس سليمان/دار الجليل/ بيروت والمكتبة الازهرية/القاهرة.

(حرف العين)

٥٧-عقيدة التوحيد في فتح الباري/أحمد عصام الكاتب/ منشورات دار الأفاق الجديدة/ بيروت.
٥٨-العقيدة النظامية/ أبو المعالي عبد الملك الجويني/تصحيح وتعليق المحدث محمد زاهد الكوثري/مطبعة الأنوار/ ١٩٤٨م.
٥٩- العقيدة في الله/ د. عمر الأشقر/ طبعة مكتبة الفلاح/ الكويت/ الطبعة الخامسة/ ١٩٨٤م.
٦٠- عون المعبود شرح سنن أبي داوود/ أبو الطيب شمس الحق العظيم ابادي/ طبعة دار الفكر الثالثة/ بيروت، ١٩٤٨م.

(حرف الغين)

٦١- غرائب القرآن ورغائب الفرقان/نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري/ مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة/ الطبعة الأولى ١٩٦٢م، المطبوع على هامش الطبري/طبعة دار الحديث القاهرة.

(حرف الفاء)

٦٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري/أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ طبعة دار الفكر بيروت وطبعة دار المعرفة بيروت.

٦٣-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية/ محمود بن علي الشوكاني/دار الفكر بيروت/الطبعة الثالثة/ ١٩٧٢م.
٦٤- فتوح البلدان/ أحمد بن يحي البلاذري/ نشر صلاح الدين المنجد/مكتبة النهضة العربية/القاهرة.
٦٥- فتح المعين بنقد كتاب الاربعين/ الإمام المحدث عبد الله بن صديق الغماري/ تحقيق حسن بن علي السقاف/ مكتبة الإمام النووي/ عمان/ ١٩٩٠م.
٦٦- فيض القدير/ عبد الرؤوف المناوي/ دار المعرفة/بيروت/ ١٩٧٢م
٦٧- في ظلال القرآن/سيد قطب/طبعة دار إحياء التراث العربي/بيروت،الطبعة السابعة/١٩٧١م.
٦٨- الفرق بين الفرق/ عبد القاهر البغدادي/ دار المعرفة/بيروت
٦٩- الفهرست/ لابن النديم/دار المعرفة/ بيروت.

(حرف الكاف)

٧٠- الكامل في التاريخ/العلامة عز الدين ابو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير/طبعة دار صادر/بيروت، ١٩٨٢م.
٧١- كتاب الأربعين في أصول الدين/محمد بن عمر البكري الرازي/مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٩٣٤م.
٧٢-كتاب التعريفات/علي بن محمد الجرجاني/دار الكتب العلمية/بيروت/الطبعة الثالثة/١٩٨٨م.
٧٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل/ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري/ دار الكتاب العربي/بيروت، ودار الريان بالقاهرة/الطبعة الثالثة/١٩٨٧م.

٧٤- كشف الاستار عن زوائد البزار/ نور الدين بن علي الهيثمي/تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي/مؤسسة الرسالة/بيروت الطبعة الاولى ١٩٧٩م.
٧٥- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ العلامة علاء الدين علي المتقي الهندي/مؤسسة الرسالة/بيروت/الطبعة الخامسة/ ١٩٨٥م

(حرف اللام)

٧٦- لسان العرب / لإبن منضور/ طبعة دار الفكر / بيروت - لبنان.
٧٧- لسان الميزان / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني / دار الفكر للطباعة والنشر / مؤسسة الرسالة / بيروت.

(حرف الميم)

٧٨- مجمع البيان في تفسير القرآن/أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي/دار المعرفة/الطبعة الاولى/ ١٩٨٦م.
٧٩- مجمع الزوائد/نور الدين بن علي الهيثمي/ دار الكتاب العربي/بيروت/ ١٩٨٩م
٨٠- المجموع شرح المهذب/ الإمام العلامة محي الدين النووي/ شركة العلماء.
٨١- المحرر الوجيز/أبو محمد بن عطية الأندلس/طبعة الشيخ خليفة/قطر/الطبعة الاولى/١٩٧٧م.
٨٢- مختصر العلو للذهبي/ناصر الدين الألباني/طبعة المكتب الاسلامي الاولى/دمشق ١٩٨١م
٨٣- مختصر الصواعق المرسلة/ابن قيم الجوزية/طبعة مكتب الرياض الحديثة/١٣٤٩هـ.
٨٤- مستدرك الحاكم/أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري/طبعة دار الفكر/بيروت/١٩٨٧.

٨٥- مسند ابن أبي شيبه/طبعة دار الفكر الأولى/ بيروت/ ١٩٨٩م.
٨٦-مسند أبو يعلي الموصلي/تحقيق سليم اسد/دار المأمون للتراث/دمشق/الطبعة الاولى ١٩٨٥م.
٨٧- مسند الجامع الصحيح/الربيع بن حبيب/طبع مكتب الثقافة الدينية/القاهرة/ميدان العتبة.
٨٨- مسند الإمام احمد/طبعة دار الفكر/تحقيق أحمد شاكر.
٨٩- مشكل الآثار/أبو جعفر الطحاوي/دار صادر بيروت/ الطبعة الأولى/ ١٣٣٣هـ
٩٠- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب الى معرفة الأديب/ أبو عبد الله بن ياقوت الحموي/مطبعة المأمون/القاهرة/ ١٩٣٦م.
٩١- معجم البلدان/ياقوت الحموي/طبعة دار صادر /بيروت.
٩٢- المعجم الكبير/سليمان بن احمد الطبراني/طبعة حمدي السلفي/الدار العربية بغداد/١٩٧٨.
٩٣- معجم المؤلفين/ عمر رضا كحالة/ دار إحياء التراث العربي/بيروت.
٩٤-المعجم الوسيط/مجموعه من علماء الأزهر/دار إحياء التراث العربي/بيروت/الطبعة الثانية.
٩٥- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث/أ.بي ونسنك/مطبعة بريل/ليدن/١٩٦٧م.
٩٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/محمود فؤاد عبد الباقي/دار الفكر/بيروت.
٩٧- معيد النعم/الإمام تاج الدين السبكي/طبعة دار مؤسسة الكتب الثقافية/الطبعة الاولى/١٩٨٦.
٩٨- مفاتيح الغيب/فخر الدين بن عمر الرازي/طبعة دار الفكر/١٩٨١م.

٩٩- المفردات/للراغب الأصفهاني/تحقيق محمد سيد الكيلاني/مطبعة مصطفى الباب الحلبي واولاده/القاهرة/١٩٦١م.
١٠٠- مقالات الكوثري/المحدث محمد زاهد الكوثري/ايج-ايم/سعيد كمبني/كراتشي/١٣٧٢هـ.
١٠١- مقومات التصور الإسلامي/سيد قطب/دار الشروق/ القاهرة وبيروت/الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.
١٠٢- الملل والأهواء والنحل/إبن حزم الظاهري/تحقيق د. محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عمير/طبعة دار الجليل/بيروت/ ١٩٨٥م.
١٠٣- مناهل العرفان في علوم القرآن/محمد عبد العظيم الزرقاني/طبعة دار الفكر بيروت/الطبعة الثالثة/ ١٩٨٨م.
١٠٤- منهاج السنة /أحمد بن تيميه/ دار الكتب العلمية/ بيروت
١٠٥- موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول/ أحمد بن تيمية المطبوع على هامش منهاج السنة/ طبعة دار الكتب العلمية/ بيروت.
١٠٦- المواقف في علم الكلام/عبد الرحمن بن أحمد الأيجي/ مطبعة عالم الكتب/بيروت/توزيع مكتبة المتنبي/القاهرة/مكتبة سعد الدين/دمشق.
١٠٧- موطأ مالك/مالك بن أنس/تحقيق/عبد الوهاب عبد اللطيف/دار القلم/بيروت/الطبعة الاولى.
١٠٨-ميزان الاعتدال/شمس الدين الذهبي / تحقيق علي محمد البجاوي/دار المعرفة/بيروت الطبعة الاولى/١٩٦٣م.

(حرف النون)

١٠٩- النهر الماد من البحر المحيط/ لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي/دار الفكر/ بيروت/ الطبعة الاولى/ ١٩٨٧.

فهرست الموضوعـــات

الموضـوع		الصفحـة

الموضوع		الصفحة

الموضـــوع		الصفحـــة
	خلاصة القول في صفة الكلام	٢٠٣
المبحث السابع:	السمع والبصر	٢٠٤
	الآيات الواردة في ذلك	٢٠٤
	موقف الإمام الطبري مـــن صفتـــي الســـمع والبصر في تفسيره.	٢٠٨
	أقوال المفسرين في صفتي السمع والبصر	٢١٠
المبحث الثامن:	الحياة	٢١٥
	الآيات الواردة في ذلك	٢١٥
	المعنى اللغوي لكلمة (حي)	٢١٦
	موقف الامام الطبري من تفسير الآيات التـــي ذكرت صفة الحياة	٢١٨
	أقوال المفسرين في صفة الحياة	٢١٩
المبحث التاسع:	الكلام في النفس	٢٢٢
	الآيات الواردة في ذلك	٢٢٢
	المعنى اللغوي للنفس	٢٢٣
	موقف الإمام الطبري من هذه المسألة	٢٢٥
	أقوال المفسرين في المسألة	٢٢٦

الموضـــوع		الصفحـــة